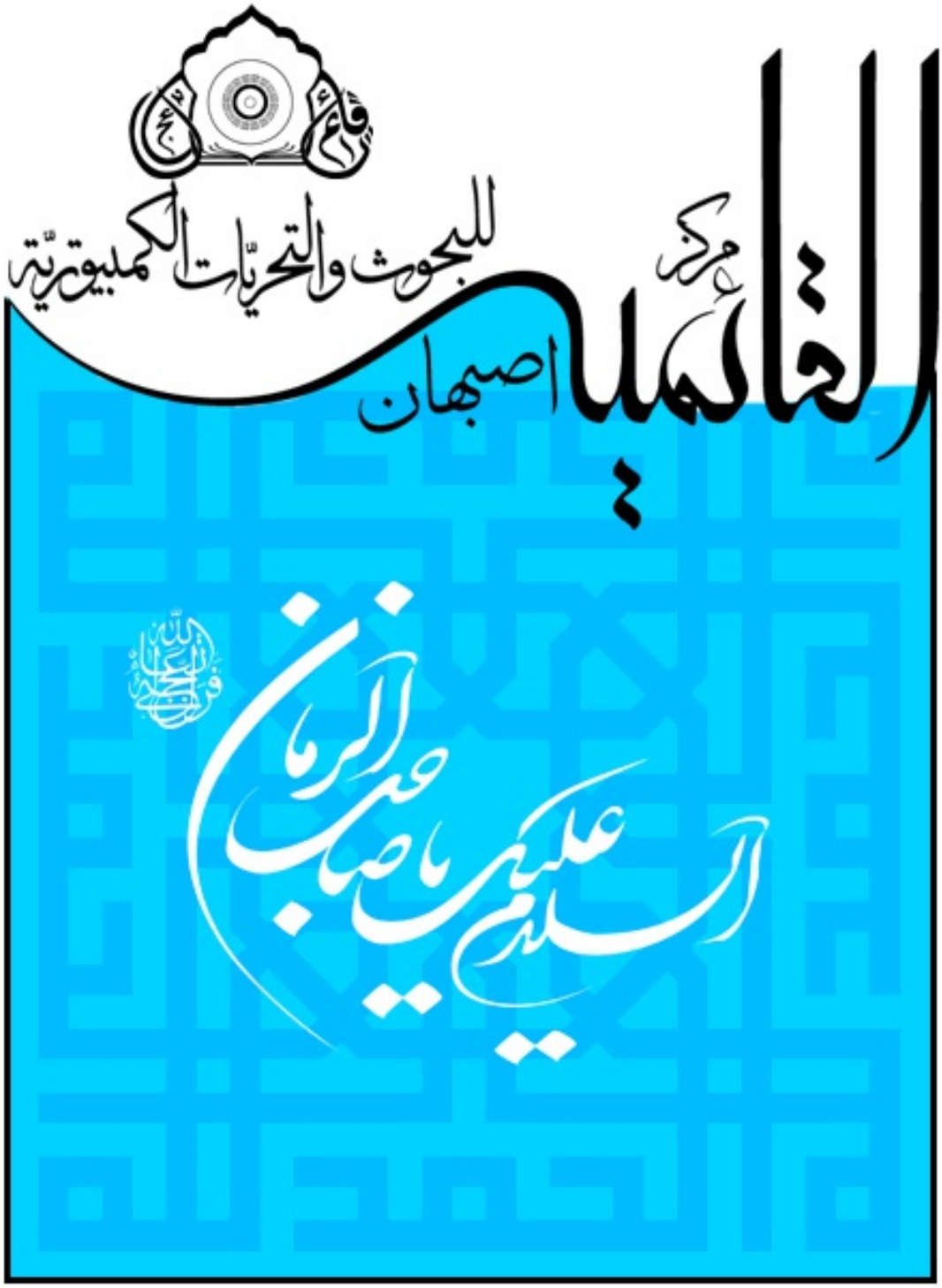

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

ميقات الحج

مجلة تعنى بدراسة شؤون الحج
بالمشاعر المقدسة والتاريخية
والسياسية والاجتماعية للحج

المحرم - جمادى الثانية
١٤٢٨هـ - السنة ١٤

١٢

- السعي قديماً و حديثاً وحكمه في الشريعة
- الحج الأفضل في السنّة النبويّة
- مكة والمدينة في علوم القرآن
- توسعة المسعى
- رسالة في العفواف
- مصعب بن عمير

بسم الله الرحمن الرحيم

دو فصلنامه « میقات الحج »

كاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
میقات الحج المجلد۱۲ ----- ۷
اشارة ----- ۷
من کلام الإمام قدس سره ----- ۷
الامام فی احادیث القائد آیة اللّه السیّد الخامنئی ----- ۱۲
الراحل العظیم ----- ۱۳
آیات الحجّ ومناسکه بین التفسیر الدلالی والتفسیر التطبیقی- فی نظر الإمام الخمینی- ----- ۲۵
فتاوی الإمام فی الحجّ ----- ۶۱
الابداع السیاسی عند الامام الخمینی قدس سره ----- ۷۰
معطیات الحجّ ومناسکه فی رؤیة الإمام ----- ۸۲
دور الحجّ فی تحقیق القیادة الموحّدة ----- ۹۷
الامام الخمینی والمشروع الحضاری للحج فی الحرم الآمن ----- ۱۰۷
الامام الخمینی قدس سره فی دیوان الشاعر جواد جمیل ----- ۱۲۹
البعد السیاسی للحج فی الرؤیة الخمینیة ----- ۱۳۶
الامّة القرآنیة ----- ۱۶۹
الابعاد الاجتماعیة لمناسک الحج ----- ۱۸۲
الإمام الخمینی رحمه الله والحج ----- ۲۱۱
کلمة التوحید وتوحید الکلمة ----- ۲۳۰
الحج الابراهیمی- رؤیة احیائیة جدیدة فی منظور الامام الخمینی ----- ۲۳۸
اثر الحج فی الوحدة السیاسیة والاجتماعیة والثقافیة ----- ۲۶۵
ابعاد الحجّ فی فکر الامام الخمینی قدس سره ----- ۲۷۱
فریضة الحجّ فی نظر الامام ----- ۲۹۳
الحج وآثاره التربویة والاجتماعیة والسیاسیة.. ----- ۳۰۴

وقفة مع مجتمع الحجّ ----- ۳۱۳
البعد الإجتماعی للحج فی نظر الإمام الخمینی قدس سره ----- ۳۲۰
هموم الوحدة ----- ۳۲۸
تعریف مرکز ----- ۳۵۷

ميقات الحج المجلد۱۲

اشارة

عنوان و نام پديدآور : ميقات الحج[پايند: مجله]

مشخصات نشر : تهران: منظمة الحج و الزيارة، ۱۴۱۷ ق. - = ۱۳۷۵ -

فاصله انتشار : شش ماه يكبار

يادداشت : عربی

فهرست‌نويسی براساس سال۳ شماره۵ سال۱۴۱۷ق.

يادداشت : اين نشريه در بيروت نيز منتشر می‌شود

يادداشت : المديرالمسؤول: محمد محمدی‌ری‌شهری

رئيس‌التحرير: علی قاضی‌عسكر

يادداشت : كتابنامه

ترجمه عنوان : Mighat al - haj

موضوع : حج -- نشريات ادواری

شناسه افزوده : محمدی ری‌شهری، محمد، ۱۳۲۵، -مدير مسئول

Muhammadi Reyshahri, Muhammad

قاضی عسكر، سيدعلی، ۱۳۲۵، - سردبير

شناسه افزوده : سازمان حج و زيارت

رده بندی كنگره : BP۱۸۸/۸

رده بندی د... : ۲۹۷/۳۵۷۰۵

ص:۱

من كلام الإمام قدس سره

ص:۲

ص:۳

ص:۴

ص:۵

ص:۶

العدد الثانیة عشر

من کلام الإمام قدس سره

کونوا یداً قرآنیةً واحدةً.

أیّها الحجّاج.. احملوا من ربّکم نداءً إلی شعوبکم ألّا تعبدوا غیر اللّه، وأن لا تخضعوا لغیره..

الإسلام دینٌ عبادتُه سیاسة وسیاستُه عبادة.

الحجّ الخالی من الروح والحرکة والقیام والبراءة والوحدة،

والحجّ العاجز عن هدم صروح الکفر والشرک، لیس هذا حجّاً.

إنَّ صرخة البراءة من المشرکین فی مواسم الحج هی صرخة سیاسیة- عبادیة قد أمر بها رسولُ اللّه صلی الله علیه و آله، ولیست مختصّةً بزمان خاصٍ، وإن انقرض المشرکون من الحجاز، فنهضة الناس لیست مختصّة بزمان بل هی دستور کلّ زمان ومکان، وفی هذا التجمّع البشری العام سنویّاً تعدّ من جملة العبادات المهمّة الخالدة إلی الأبد.

الامام فی احادیث القائد آیة اللّه السیّد الخامنئی

ص: ۷

الإمام فی أحادیث القائد آیة اللّه السیّد الخامنئی

لابـدّ أن نـذعن بمرارةٍ إلی أنّ الفاصـلة کبیرة بین الشـکل الحالی لأداء هـذه الفریضـة الإلهیّـة، فریضة الحجّ، والشـکل المطلوب للحجّ الإبراهیمی المحمّدی.

الإمام الراحل العظیم وبنیّته الخالصـة للّه‌تعالی وبعمله الصادق بـذل جهوداً جدّیة وفعّالة- طول حیاته المبارکة- فی هذا السبیل، ووضـع نصب أعین الأمّة الإسـلامیّة وشعوبها صورةً واضحةً عن الحجّ الإبراهیمی المحمّدی؛ حجّ العظمة والعزّة، حجّ الرفض، والتحوّل والتغییر سواءً علی مستوی الأفراد أو المجتمعات.

وکـان طرح الإمـام لهـذا التصوّر للحـجّ بحـدّ ذاته مبعث خیر وعطاء وبرکات وافرة فی العالم الإسـلامی، إلّاأنّ نشـر هـذه الفکرة وهـذا المنهـج العملی بین جمیع الشـعوب المسـلمة بحاجـة إلی جهود مخلصـة یبـذلها علماء الـدین وینهض بها المخلصون الواعون من هذه الأمّة. وهی بحاجة إلی ما یبدیه حکّام کلّ البلدان الإسلامیّة من تعاون ووعی لهذا المنهج. آمل أن تکون هذه المهمّة الحسّاسة موضع اهتمامهم وعملهم جمیعاً.

الراحل العظیم

ص: ۸

الراحل العظيم

محسن الأسدى

إليك يا روح اللَّه

إلى مَنْ كانت روحه نفحةً من نفحات السماء، وروضةً من رياض الإيمان، ومدرسةً لمبادئ القرآن، ودوحةً للخير والعطاء.

إلى مَنْ ذابت روحه فى الإسـلام فكان بحقّ إسلاماً يلوى رقاب الظالمين، وكان بحق إسلاماً ينتشل المعذَّبين، وكان بحقّ إسلاماً نصيراً للمستضعفين.

إلى من ثار فلم يستأثر، وحكم فلم يستبد، وقضى فلم يظلم، ومات فلم يورّث.

إلى مَنْ كانت روحه ينبوعاً ينتهل منه الأحرار والكادحون.

إلى مَنْ كانت روحه ملجأً يلوذ به الثوّار والمجاهدون.

إلى مَنْ كانت روحه بلسماً لجراح المجاهدين والمعذَّبين.

ص: ۹

إلى مَنْ كانت روحه ركناً شديداً يأوى إليه المستضعفون.

إلى مَنْ خَلُد أنشودةً تردّدها الشفاه، ويتسلّى بها المحرومون والمضطهدون، ويتغنّى بها الأحرار والمجاهدون.

إلى مَنْ أرعبت روحه الطغاة والمستكبرين.

إلى مَنْ لم تَعرف روحه الخنوع والانصياع إلّاللّه.

إلى مَن كان كلّ همّه أن يعالج الجراح الغائرة فى الجسد الإسلامى.

إلى مَنْ انتفت من نفسه كلّ أشكال العنصرية وأحقاد القومية.

إلى مَنْ أراد لإيران أن تكون قلعةً للإسلام، ومثابةً للمجاهدين، وبلداً آمناً للمهاجرين و الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقّ إلّاأن يقولوا ربّنا اللّه.

إلى مَنْ أراد لإيران أن تكون أُمَالقرى وأبى آخرون إلّاأنتكون غير ذلك.

إليك يا روح اللّه بضاعتى المزجاة، فلعلّها تفى ببعض ما عليك فى رقابنا.

فميقات الحجّ وهى تتربّع فى عامها السادس، تقف اليوم- فىذكراك المئوية- لتساهم بجهد متواضع قد لا يفى إلّا بجزء بسيط من معروفك علينا، وممّا لك من دَين طوّق أعناقنا وفضل قيّد أيادينا.

أيّها الحىّ فى نفوسنا، والماثل فى أرواحنا، والمتجسّد فى مشاعرنا.

يا مَن فقدنا بفقده الأسوة الحسنة، ويا من خسرنا بغيابه المَثَل الأعلى..

ص: ۱۰

هيهات سيّدى أن نلحق بركبك، فهو ركب الصالحين والمجاهدين..!

هيهات سيّدى أن نسمو إلى ما سموت إليه، فكلّ ما سموت إليه عظيم وجميل..!

فسلامٌعليكَ يا روحَاللَّه يومَ ولدتَ، ويومَ متَّ، ويومَتُبعثُ حيّاً.

هويّة الإمام

مقتطفات من حياة الإمام الخمينى قدس سره، أدلى بها ودوّنها نجله المرحوم السيّد أحمد الخمينى، وأعاد سماحة الإمام تصحيحها.

كانت ولادتى حسب ما تفيد الجنسية المرقّمة ۲۷۴۴ فى عام ۱۲۷۹ للهجرة الشمسيّة فى مدينة خمين (ولكن فى الواقع فى ۲۰ جمادى الثانية عام ۱۳۲۰ للهجرة القمريّة)

والتاريخ القطعى هو ۲۰ جمادى الثانية المصادف للأوّل من مهر عام ۱۲۸۱ للهجرة الشمسيّة.

اللقب مصطفوى، واسم الأب مصطفى، واسم الأم هاجر (كريمة المرحوم الميرزا أحمد مجتهد الخوانسارى الأصل الخمينى السكن).

محلّ صدور الجنسيّة هو مدينة گلپايگان، وموقعّة من قبل صفرى‌نجاد مدير دائرة الأحوال الشخصيّة فى گلپايگان.

بدأت درسى بمدينة خمين على يد المرحوم «أبوالقاسم» وأكملت دراستى الابتدائيّة على يد المرحوم الشيخ جعفر والمرحوم الميرزا محمود (افتخار العلماء)، ثمّ درست المقدّمات على يد خالى المرحوم الحاج الميرزا محمّد مهدى، وبدأت بدراسة المنطق على يد المرحوم النجفى الخمينى، وعلى يد (آية اللَّه بسنديده) السيوطى وشرح الباب الحادى عشر والمنطق على ما يبدو، وشيئاً من المطوّل

ص: ۱۱

مسلّماً.

وفی عام ۱۳۳۹ ه. ق. ذهبت إلی أراک لغرض الدراسة، ودرست المطول عند المرحوم الشیخ محمّد علی البروجردی، والمنطق عند الشیخ محمّد الگلپایگانی، وشرح اللمعة عند المرحوم عبّاس الأراکی.

وفی أعقاب هجرة الشیخ عبدالکریم الحائری (رحمة اللّه علیه)، إلی قم فی عام ۱۳۴۰ ه. ق. الذی صادف مع بدایة السنة الهجریّة الشمسیّة عام ۱۳۰۰، أتممت دراسة المطوّل عند المرحوم أدیب الطهرانی الموسوم بالمیرزا محمّد علی، ودرست شیئاً من مرحلة السطوح عند المرحوم سیّد محمّد تقی الخوانساری وأکملت القسم الأعظم عند المیرزا سیّد علی الیثربی الکاشانی حتّی نهایة مرحلة السطوح، وذهبتُ وإیّاه سویّة لدراسة مرحلة البحث الخارج عند الشیخ عبدالکریم الحائری، وأنهینا معظم بحث الخارج علی یده. ودرست الفلسفة عند المرحوم السیّد أبوالحسن القزوینی، والریاضیات (الهیئة والحساب) عنده أیضاً وعند المرحوم المیرزا علی أکبر الیزدی، وکان أکثر ما جنیناه من فائدة فی العلوم المعنویّة والعرفانیّة من المرحوم المیرزا محمّد علی شاه آبادی.

وبعد وفاة المرحوم الحائری انهمکنا أنا وبعض الأصدقاء بالبحث والتدریس إلی حین قدوم المرحوم البروجردی إلی قم، ومن أجل توجیه الأنظار إلیه أخذت أحضر فی دروسه، ومع ذلک استفدت منها کثیراً.

کنت قبل مجیء المرحوم البروجردی إلی قم أدرس المعقول والعرفان والسطوح العالیة فی الأصول والفقه، ولکن من بعد مجیئه استجبت لطلب بعض الأخوّة ومنهم المرحوم المطهّری وأخذت أدرّس الفقه لمرحلة البحث الخارج وترکت دراسة العلوم العقلیّة، وبقیت علی هذا الحال طوال مدّة إقامتی فی قم وفی النجف. وبعد هجرتی إلی باریس حرمت من کلّ هذه الأمور وانشغلت بأمور أخری وبقیت علی هذا الوضع إلی یومنا هذا.

ص: ۱۲

اسم زوجتی خدیجة الثقفی المعروفة بقدس إیران، وهی من مواليد ۱۲۹۲ للهجرة الشمسیّة، وهی کریمة الحاج المیرزا محمّد الثقفی الطهرانی. کان زواجی منها فی عام ۱۳۰۸ ه. ش. ورزقت بأوّل مولود فی عام ۱۳۰۹ ه. ش. وسمّیته مصطفی.

ولدیّ حالیاً ثلاث بنات علی قید الحیاة، إضافة إلی أحمد وهو من مواليد عام ۱۳۲۴ ه. ش. أسماء بناتی وفقاً لترتیب السنّ: صدیقة، وفریدة، وفهیمة، وسعیدة، ومن بعد أحمد بنت أخری اسمها لطیفة. وآخر ابن لی علی قید الحیاة هو أحمد.

قراءة فی حیاته المبارکة

قبل مئة عام، فی العشرین من شهر جمادی الآخرة من عام ۱۳۲۰ من الهجرة النبویة المبارکة، وفی مدینة خمین التابعة لمحافظة أراک فی إیران ولد روح اللَّه الموسوی الخمینی لأبوین کریمین وفی اسرة عرفت بالعلم والاستقامة والفضل والجهاد ومقارعة الظالمین، فأبوه هو آیة اللَّه السیّد مصطفی الموسوی عالم فقیه تلقّی أعلی دروسه فی النجف الأشرف، بعد أن قضی فیها سنوات عدیدة حتی نال رتبة الاجتهاد، وعاد بعدها إلی حیث مدینته خمین؛ لیواصل فیها دروسه بحثاً وتدریساً کما راح یأمر بالمعروف وینهی عن المنکر بقوّة وبشکل تمیّز به وعرف ذلک عنه، وقد حدی به ذلک إلی أن یخطو خطوات ویتّخذ مواقف لم ترق للسلطة یومذاک، فدبّر أعوانها وعملاؤها مکیدةً أدّت إلی استشهاده علی أیدٍ غادرة اعترضته حینما کان فی طریقه من مدینة خمین قاصداً مدینة أراک.

کان عمره المبارک یوم استشهاد والده رحمة اللَّه علیه أقلّ من خمسة أشهر، فانبرت لرعایته کلّ من عمّته وهی امرأة صالحة تقیّة وامّه السیّدة هاجر التی کانت من أحفاد آیة اللَّه الخونساری، وهی أیضاً سیّدة تقیّة ورعة یعمر قلبها الإیمان، راحت تربّی ولیدها منذ نعومة أظفاره علی مخافة اللَّه تعالی، وقد ظلّت هذه الصفة

ص: ۱۳

البارزة تواكبه فی سلوكه، ولم يتخلّف عنها أبداً طيلة عمره المديد.

نشأ سيّدنا فی كنف هذه الاسرة المحافظة، وتربّی علی تقاليدها، وتخلّق بأخلاقها التی كان محورها تقوی اللَّه، وبفضل اللَّه تعالی ورعاية هذه الاسرة الكريمة راح سيّدنا- بعد أن أبصر نور الهداية، وتنشق هواءَها العطر، ورشف أوّل قطرة من مائها العذب- يتسلّق شجرة الإيمان ويتفيّأ ظِلالها حتی وثب إلی أعلاها، فكان بحقّ ذلك العبد الصالح الأوّاب، الذی عرف قيمة الإيمان، وتجلّی فی قلبه حبّ الرّحمن، فغدا لا- يهاب إلّااللَّه، ولا يخشی إلّاعدله وحسابه وعقابه، ولا يرجو إلّا رحمته وثوابه، فكان من الذين يجاهدون فی سبيل اللَّه ولا يخافون لومة لائم، وكان من الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار....

عرف سيّدنا رضوان اللَّه عليه بقوّة القلب وصلابته فی الحقّ، فراح يواجه الحياة بكلّ مفاصلها فی سرّائها وضرّائها برأی ثاقب وحكمة عالية خاصةً وهو يواجه نظاماً طاغوتياً آزرته كلّ الدول الكبری بكلّ ما اوتيت من قوّة.

لقد كانت لمواقفه الجهادية فی سبيل اللَّه تعالی- إضافةً إلی قوّة إيمانه وقوّة شخصيته- جذورٌ قويّة تمتد بعيداً إلی الطبيعة الجهاديّة لأسرته وقوّة إيمانها، ولما كان يحيطه من ظروف سياسية واجتماعية اكتنفت حياته المباركة، فغدت ملامح الجهاد تصقل شخصيته منذ صباه، وراحت تتكامل فی جميع أبعاده العلمية والروحية والسياسية جنباً إلی جنب تطوّر ما حوله من أوضاع وتغيّرات سياسية واجتماعية، فخلقت فيه روحاً قيادية عظيمة شكّلت هی مع إسلامية الثورة المباركة عنصرين رئيسيين فی نجاح الثورة الإسلامية فی ايران وديمومتها..

هذا عن نشأته وإيمانه، وجهاده، أما عن حياته العلمية التی بدأها فی مدينته فقد واصل- بعد أن منَّ اللَّه تعالی عليه بذكاء حادّ وذهن وقّاد وصبر عجيب- دروسه الحوزوية التی كان شغوفاً بها محبّاً لها، فشرع بدراسة اللغة العربية

ص: ۱۴

وآدابهـا، ودراسـة القرآن والمنطق والفقه والاـصول وباقى العلوم الاخرى، وواظب على حضور بحوث أساتـذة مدينـة خمين حتى عام ۱۹۱۹ م، فانتقل بعدها إلى مدينة أراك؛ ليواصل دراسته الحوزوية هناك قبل أن يأتى إلى مدينة قم لينضمّ إلى حوزتها عالماً واستاذاً، فساهم مساهمة بارزة فى نظم شؤونها، وكان عضواً رئيسـياً فى الوفد الذى شـكّل لإقناع آية اللَّه السـيّد البروجردى بالمجىء إلى مدينة قم واستلامه زعامة حوزتها بعد تفرّق كلمتها واضطراب أمرها ثمانى سنوات، إثر وفاة زعيمها ومؤسّسها الشيخ عبد الكريم الحائرى.

وظلّ يـدعم- رعايـة للمصـلحة الإسـلاميّة- زعامـة السـيد البروجردى طيلـة مرجعيته على الرغم من أنّ هـذا الأخير لم يدعم- اسـتجابة لأطراف أخرى- مشروعه الاصلاحى لتنظيم شؤون الحوزة، الذى قدّمه مع ثلّة مخلصة من علماء الحوزة يومذاك.

بقى عالماً فذّاً واسـتاذاً بارزاً فى حوزة قم وفى حوزة النجف الأشـرف بعد رحيله إليها، يحضر دروسه ما لا يقل عن ألف شخص حظى بعضهم بمكانة مرموقة فى الحياة العلميّة والسياسيّة والجهاديّة، فيما صار بعضهم من المجتهدين والفقهاء والمراجع فى وقتنا الحاضر.

وخلاصة الأمر أنّ هذه النشأة المباركة تركت بصـماتها عليه، وعلّمته كيف يكون الاعتزاز بالإسـلام وبالأصالة، وأن يأخذ بالامّة إلى ما فيه خيرها وسؤددها.

حقّاً: «إنّ اللَّه سيبعث لهذه الامّة على رأس كلّ مئة سنة مَن يجدّد لها دينها».

لقـد كان سـيّدنا الإمام الخمينى رضوان اللَّه عليه عالماً مجـدّداً، ومجاهـداً عنيداً، وكان ركناً متيناً من أركان الامّة، وكان فقيهاً ومرجعاً كبيراً من مراجع التقليد الكبار، الذين ازدهرت بهم الحوزات العلمية فى مدينتى قم المقدّسة والنجف

ص: ۱۵

الأشرف، وكان زعيماً إسلامياً قلَّ نظيره بل زعيماً فريداً وقائداً فذّاً لا يشقّ له غبار، بسطت له الوسادة بعد أكثر من ألف وأربعمائة سنة على غياب الزعامة السياسية الدينية، وغياب الدولة الإسلامية عن الساحة السياسيّة، فكان فى شؤونه الشخصية والدينية والعلمية والسياسية.. نموذجاً رائعاً للقائد الإسلامى الذى لم تغرّه الدنيا بملاذها، ولم تلنه بمطامعها، ولم يبتغ منها نفعاً، ولم يخرج منها بشىء...

ظلّ هذا العظيم هكذا كفاءات عالية وهمماً دؤوباً وعطاء خصباً ثرّاً طيلة حياته الممتدة قرابة التسعين عاماً.

كما ظلَّ طيلة عمره المبارك وفيّاً لدينه ومبادئه، يكدح ويكافح بعلمه ومنهجه وجهاده وبمشاريعه وآثاره، التى كان أهمّها تأسيسه للجمهورية الإسلاميّة فى إيران.

كانت مواقفه جليلةً، وكانت كلماته وأحاديثه ووصاياه نابعةً من قلب يخفق حبّاً للّهوخشيةً منه؛ لهذا كانت مرآةً صادقةً لسلوكه المبارك وسيرته العطرة وإيمانه وتقواه وزهده وإخلاصه.

كان همّه أن تبقى راية الإسلام مرفوعةً خفّاقةً، لا يحجبها شىء أبداً، ولا يمنعها كيد كائد وحقد حاقد...

وكان همّه أيضاً أن تعيش الامّة الإسلامية همّ الإسلام، وأن تبقى عزيزةً كبيرةً سيّدةً فى مواقفها لا تابعة للآخرين ولا ذيلًا لأحد.. وأن تبقى قويةً بوجه أعدائها لا ضعيفةً ذليلةً كما أراد لها أعداؤها والمتخاذلون ممّن ينتسبون إليها.

لقد عرف سيّدنا دينه وعرف قدره وعرف تكليفه وعرف ما حوله .. وأدرك بكلّ وعى ودقّة مسؤوليته إزاء دينه وإزاء امّته، فتولّدت مواقفه وآراؤه من خلال ذلك كلّه، وتجلّت مواهبه، وصقلت شخصيته، فكان بحقّ العبد الصالح والعابد الزاهد والعالم المجاهد والرجل الشجاع المتفانى فى خدمة دينه وامّته، فاقتدى به

ص: ۱۶

المخلصون، وبايعته الجماهير بإرادتها واختيارها وبشكل يبعث على الفخر والعجب؛ لأنها وجدت فيه الإخلاص كلّه والصدق كلّه والزهد كلّه.. واندفع بكامل وعيه لوظيفته الشرعية وللغة عصره وتناقضاته.. لتحمّل مسؤولية السماء وأمانتها على عظمتها وخطورتها.. وراح يشقّ طريقه بكلّ ثقة واطمئنان لموقفه وسلامته مهما كانت التضحيات، والصعاب التى نصبها أعداء الإسلام، مستفيداً من كلّ الطاقات التى حوله، وموظّفاً كلّ المفاصل والمحاور الإسلامية، وما توفّرت عليه الشريعة من فرص سواء أكانت عبادية أو غيرها.. وفريضة الحجّ كانت ولا زالت واحدةً من أهمّ العبادات الإسلامية وأوسعها وأعظمها، رأى فيها موتمراً سنويّاً عظيماً وقوّة ووسيلة دينية وسياسية وإعلامية يستطيع من خلالها توعية المسلمين وشدّهم إلى دينهم، وأن يضع عنهم إصرهم والأغلال، ومعالجة الجراح الغائرة فى جسم هذه الأمّة عبر سنين الظلم والحيف والاضطهاد بسبب إبعادها عن منزلتها ومكانتها...

يقول سماحته عن فريضة الحج: «الجميع يعلم أنه ليس بمقدور أى إنسان وأية دولة عقد مثل هذا المؤتمر الكبير، وأنّ أمر اللّه تعالى هو الذى صنع هذا الاجتماع العظيم، إلّا أنّه مع الأسف لم يستطع المسلمون على مرّ التاريخ أن يستفيدوا من هذه القوّة السماوية، وهذا المؤتمر الإسلامى كما ينبغى لصالح الإسلام والمسلمين».

فوضع ثقله فيها وصبّ جهوده على إقامتها بشكلها القائم على محورين أساسيين:

وحدة المسلمين. وإعلان البراءة من المشركين.

وواصل تحرّكه هذا على كلا المحورين بكلّ قوّة وإصرار.

يقول السيّد الإمام فى خصوص الوحدة بين المسلمين:

هذه الوحدة التى يؤكّدها ويكرّرها الإسلام الشريف والقرآن الكريم، ويجب

ص: ۱۷

تحقيقها فى الواقع من خلال الـدعوة والتبليغ بها بشـكل واسع، ومركز هذه الدعوة مكة المعظّمة عندما يجتمع المسـلمون لأداء فريضـة الحج..

الـذى يقتلع كلّ المآسـى ويقطع دابر الفساد هو طريق واحد: الوحدة بين المسـلمين بل وحدة جميع المستضـعفين، وكلّ المستضـعفين والمكبلين بالسلاسل فى العالم.

الحجّاج المحترمون الموجودون فى جوار بيت اللَّه ومحـل رحمته، تعـاطوا برفق ومروءة وإخوّة إسـلامية مع جميع عبـاد اللَّه، واعتبروا الجميع ودون النظر إلى اللون واللسان والمنطقـة والمحيط منكم، وكونوا جميعاً يـداً قرآنيـةً واحـدةً حتى تسـيطروا على أعداء الإسـلام والإنسانية.

يجب أن نعلم أنّ إحـدى الفلسـفات الاجتماعيـة لهذا التجمّع العظيم من جميع أنحاء العالم توثيق عرى الوحدة بين أتباع نبىّ الإسـلام، أتباع القرآن الكريم فى مقابل طواغيت العالم.

كما حذّر سماحته الحجّاج من مغبّة التساهل فى هذا الأمر أو إيجاد خلل فيه:

وإذا لا سـمح اللَّه أوجـد بعض الحجّاج من خلال أعمالهم خللًا فى هـذه الوحدة أدّت إلى التفرقة، فذلك سـيوجب سـخط رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعذاب اللَّه القادر الجبّار.

أما بخصوص المحور الثانى وهو البراءة من المشركين فيقول سماحته:

إنّ إعلاـن البراءة من المشـركين تعتبر من الأركـان التوحيديـة والواجبـات السياسـية للحـج.. فهـل تحقيق الـدين هو غير إعلان المحبّة والإخلاص للحقّ، وإعلان الغضب والبراءة من الباطل؟

فحاشـا أن يتحقّق إخلاص الموحّدين فى حبّهم بغير إظهار السـخط على المشـركين والمنافقين، وأى بيت هو أفضل من الكعبـة البيت الآمن والطاهر، بيت الناس لنبذ كلّ أشكال الظلم والعدوان والاستغلال والرقّ والدناءة واللا إنسانية قولًا وفعلًا، وتحطيم

ص: ۱۸

أصنام الآلهة تجديداً لميثاقه: ألست بربّكم وذلك إحياء لذكرى أهم وأكبر حركة سياسية للرسول، التى عبّر عنها القرآن الكريم بقوله: وآذان من اللَّه ورسوله إلى الناس يوم الحجّ الأكبر أنّ اللَّه برىءٌ من المشركين ورسولُه...

أيّها الحجّاج.. احملوا من ربّكم نداءً إلى شعوبكم أن لا تعبدوا غير اللَّه، وأن لا تخضعوا لغيره.

نعم كونوا دعاةً للَّهمخلصين له الدين ولو كره المشركون.

وهكذا راح سماحته فى كلّ خطاباته يؤكّد على هذين المحورين لهذه الفريضة المقدّسة، ويقف بكلّ قوّة مدافعاً عنهما منددّاً بمن يريد تضعيفهما أو النيل من الذين ينادون بهما، وبقى- رغم شيخوخته ومتاعبه الصحية والصعاب الكثيرة، وما تكنّه الدول الكبرى ومؤسساتها وعملاؤها من عداء لتحرّكاته، وحقد دفين على الإسلام والمسلمين الواعين- على موقفه هذا حتى آخر عمره الشريف لم يغيّر ولم يبدّل.

فسلام عليه من رجل صبور وقائد جسور، وسلام عليه من راحلٍ عظيم!

الهوامش:

ص: ۱۹

آیات الحجّ ومناسکه ...

آیات الحجّ ومناسکه بین التفسیر الدلالی والتفسیر التطبیقی- فی نظر الإمام الخمینی-

آیات الحجّ ومناسکه بین التفسیر الدلالی والتفسیر التطبیقی- فی نظر الإمام الخمینی-

عبدالسلام زین العابدین

أهمّ ما یمتاز به تفسیر الإمام الخمینی للقرآن الکریم أمران أساسیان:

الأوّل: الأبعاد المتعدّدة، والاتجاهات المتنوّعة، التی تنطلق مع الآیات القرآنیة فی آفاقها الرحبة، وأبعادها الواسعة التی تتجاوز الفرد إلی المجتمع والأمّة والدولة.

الثانی: التطبیق والتجسید، وهو عملیة تلمّس المصادیق الحیّة المعاصرة، والنماذج الفاعلة الحاضرة لما تطرحه الآیات القرآنیة.. وهو ما یعرف ب (التفسیر التطبیقی).

ویعطی الأمر الأوّل للتفسیر طابع الشمولیة والامتداد لکلّ ساحات الحیاة، ومواقع التدافع: الاجتماعیة والسیاسیة والاقتصادیة والثوریة.. فیما یُعطی الأمر الثانی طابع الواقعیّة والعصریّة.. بعیداً عن التجریدیة والماضویّة.

من هذا المنطلق یأسف الإمام الخمینی علی تلک النظرات التفسیریة الضیّقة للآیات المبارکة التی تجعلها محصورة فی زاویة معتمة، وبُعد ضیّق، وافق قریب لا- یتجاوز دائرة المحلّة التی یصلّون فی مسجدها، أو علی حدّ تعبیر الإمام «لا یتجاوز محور تفکیره محیط المسجد».

ص: ۲۰

فإذا أرادوا أنْ يطبّقوا- مثلًا- آية أكل السحت فى سورة المائدة: لولا ينهاهم الرّبانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون، «لا يخطر ببالهم سوى البقّال القريب من المسجد الذى يطفّف فى البيع مثلًا... فلا يلتفتون إلى التطبيقات الواسعة والكبيرة لأكل السحت والنهب، التى تتمثّل ببعض الرأسماليين الكبار أو من يختلسون بيت المال، وينهبون نفطنا، ويحوّلون بلادنا إلى سوق لبيع المنتوجات الأجنبية غير الضروريّة، والغالية الثمن؛ لكونهم يمتلكون وكالات الشركات الأجنبية، ويملأون جيوبهم وجيوب المتموّلين الأجانب من أموال الشعب غير هذا السبيل».

يؤكّد الإمام على هذا النمط المغفول عنه من السحت، بقوله: «هذا أكلٌ للسحت على مستوى واسع ودولى»!

كما يدعو الناس- وهم يقرأون آية أكل السحت- إلى تطبيق الآيات فى واقعنا المعاصر لتشمل المصاديق الكبيرة، قائلًا:

«ادرسوا أوضاع المجتمع وأعمال الدولة والجهاز الحاكم بشكلٍ دقيق؛ لتروا أنّ (أكل السحت) مرعب يجرى عندنا».

وإذا أرادوا أن يفسّروا آيات (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) ويطبقوها على المجتمع، فإنّهم لا يرون المنكر إلّافى «نطاق دائرة صغيرة»، ك «سماع الموسيقى فى الباصات، أو ارتكاب بعض المخالفات فى المقاهى، أو تجاهر بعض الناس بالإفطار» فى الساحات، من دون أن يلتفتوا إلى «تلك المنكرات الكبيرة»، وإلى «أولئك الذين يقومون بضرب الإسلام معنوياً، وسحق حقوق الضعفاء».

ولم تشذّ آيات الحجّ عن تلك النظرة الضيّقة لبعض الناس، ممّا أدّى بنا الأمر إلى حصرها فى آفاق ضيّقة سواء على صعيد التفسير الدلالى أو التطبيقى.

كما لم تشذّ تلكم الآيات عن ذلك المنهج التفسيرى القيّم للإمام الخمينى، بل إنّها تشكّل مصاديق بارزة، ونماذج حيّة، تؤكّد على طابعى الشمولية والمعاصرة

ص: ۲۱

فى منهجه التفسيرى.

ينطلق الإمام فى تفسيره لآيات الحج ومناسكه فى آفاق رحبة بعيدة؛ ليكتشف أبعادها السياسية والاجتماعية والثورية، إضافة إلى أبعادها الروحية العرفانية.

المبحث الأوّل: آية شهود المنافع

وأذِّن فى الناس بالحجِّ يأتوك رجالًا وعلى كُلِّ ضامرٍ يأتينَ من كُلِّ فَجٍّ عميق* ليشهدوا منافع لهم....

لماذا هذا الإعلام الإبراهيمى برفع الصوت بالحجّ عالياً، والنداء؟

لماذا كلّ هذا الحرص على حضور الناس وحشدهم فى زمان واحد وفى مكانٍ واحد وفى مناسك موحّدة؟

لماذا كلّ هذا الحشر فى ذلك المكان المقدّس الطاهر؟

ما هو سرّ هذا الحشد المليونى الهائل لهؤلاء المسلمين الآتين من شرق الأرض وغربها؟

ما هى المقاصد والأهداف والغايات التى تجعل هؤلاء الملايين من المسلمين يهجرون أوطانهم وأهليهم، ويعطّلون أعمالهم ومشاريعهم، ليلتحقوا بركب الحجيج المقبلين من أقطار بعيدة، وأصقاع نائية؟

إنّ الآيه الثانية تعطى لنا الجواب الشافى عن هذه الأسئلة المتعدّدة مبنى، المتّحدة مضموناً ومعنىً، حيث ترسم لنا فلسفة الحجّ، وعلّته أو غايته- على اختلاف اتجاه التفسير فى حرف (اللام)- بقوله: ليشهدوا- ذلك التجمّع المليونى للمسلمين الآتين من كلِّ فجٍّ عميق، راجلين وراكبين: ليشهدوا منافع لهم!

(التجارات) هى المنافع الدنيويّة: بين الأمس واليوم!

يتساءل الإمام الخمينى: ما هى هذه (المنافع) التى تمثِّل العلّة أو الغاية من حضور هذا الحشد المليونى الهائل؟

ص: ۲۲

ماذا يتصوّر المسلم القارئ للقرآن الكريم من دلالات وأبعاد وآفاق لهذه (المنافع) التى أراد اللّه تعالى أن يشهدها الملايين الوافدون من أصقاع الكرة الأرضية؟

هل نكتفى بتفسير (المنافع) بكونها منافع اخروية فى الجنّة فيما يعطيه اللّه للحجّاج من الثواب الجزيل كما ذهب بعض المفسّرين، أو نفسّرها ب (التجارات فى الدنيا كما ذهب بعض آخر، أم نجمع بين التفسيرين (التجارات فى الدنيا، والمغفرة فى الآخرة)؟! وكأنّ (التجارات) هى المنافع الدنيوية الوحيدة التى من أجلها فرض اللّه عزوجل فريضة الحجّ، وأوجب على المسلمين أن يحقّقوا ذلك الاجتماع المليونى الكبير!!

وإذا كان السابقون يدركون المقاصد التجارية للحج باعتباره يمثّل- فيما يمثّل- سوقاً إسلامية عالمية رائجة، فنحن- فى واقعنا المعاصر- لا يمكن أن نعتبر هذه السوق من (المنافع) التى ذكرتها الآية المباركة، وجعلتها علّة أو غاية للحكم...

ذلك لأنّ السوق فى مكّة والمدينة أصبحت (أمريكية- أوروبيّة- يابانية) بكلّ معنى الكلمة!!

وقد نبّه الإمام الخمينى إلى هذه الظاهرة الخطيرة وحذّر الحجّاج المسلمين، الذين تركوا الأهل والديار، وأتوا ملبّين دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام، من أن يكونوا «مستهلكاً» ممتازاً للبضائع الأمريكية، بقوله:

«أسواق البلدان الإسلامية أصبحت مركز تنافس بضائع الغرب والشرق، حيث تتجه إليها سيول البضائع الأمريكية والأوروبية واليابانية الكمالية واللعب والاستهلاكيات.

ومع الأسف الشديد فانّ مكّة المعظّمة وجدّة والمشاهد المشرّفة فى الحجاز..

حيث مركز الوحى ومهبط جبرائيل وملائكة اللّه، ومحلّ تحطيم الأصنام والبراءة منها، أصبحت مملوءة ببضائع الأجانب، وغدت سوقاً رائجاً لأعداء

ص: ۲۳

الإسلام وأعداء الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله».

وقد حذّر الإمام بصورة متكرّرة من هذه الظاهرة السيئة الخطيرة التى تحوّل (المنافع) التجارية- التى ذكرها المفسِّرون المتقدّمون- إلى مضار كبيرة، بحيث نرى أنّ الحجيج يستغرقون الليالى والأيّام فى أسواق مكة والمدينة ليشتروا تلك البضائع، يقول الإمام: «كثير من حجّاج بيت اللّه الحرام الذين يذهبون لأداء فريضة الحج، ومن المفروض بهم أن يلبّوا استغاثة المسلمين لما يحيط بهم من مؤامرات، نراهم يتجوّلون غافلين فى الأسواق بحثاً عن البضائع الأمريكية والأوروبية واليابانية، وبذلك يُؤلمون قلب صاحب الشريعة بعملهم هذا المسيء إلى كرامة الحج والحجّاج معاً».

وفى خطابه للعام التالى (۱۴۰۶ ه) ركّز الإمام فى تحذيره على البضائع الأمريكية خاصة، وذلك فى النقطة الثالثة من توصياته السنوية إلى الحجّاج الايرانيين، معتبراً عرضها مخالفاً لمقاصد الحج وأهدافه، كما أنّ شراءها يُعدّ دعماً ومساندةً لأعداء الإسلام، بقوله:

«بالنسبة للبضائع المعروضة فى الحجاز للحجّاج المحترمين ما كان يرتبط منها بأمريكا، فانّ عرضها مخالفٌ للأهداف الإسلامية، بل مخالفٌ للإسلام تماماً، وشراءها دعمٌ لأعداء الإسلام، وترويجٌ للباطل، فيجب الاجتناب عن ذلك».

واعتبر الإمام- إبّان الحرب المفروضة- أنّه «ليس من الإنصاف أن يقدّم شبابنا أرواحهم فى الجبهات ويضحون، بينما أنتم تساعدون مجرمى الحرب بشرائكم هذه البضائع.. فإنّ فى ذلك إساءة إلى الإسلام والجمهورية الإسلامية وشعبكم المظلوم».

وقد أشار إلى أنّ هذه المسألة قد ذكرها فى السنوات السابقة، بيد أنها تستحق التكرار والتأكيد لأهمّيتها، حيث يقول:

«لقد ذكّرت بهذا فى السنوات الماضية لأهمية الموضوع وحسّاسيته، ومن واجبى أن اكرّر ذلك».

ص: ۲۴

(المنافع) بنظر المفسّرین المعاصرین

رکّز بعض المفسّرین المعاصرین علی التعلیل أو الغایة: لیشهدوا منافع لهم، ورسموا الأبعاد المتنوّعة والمتعدّدة لهذه المنافع، التی أراد اللّه تعالی أن یشهدها موسم الحج فی مکّة المکرّمة.

العلّامة الطباطبائی فی تفسیره (المیزان) نبّه إلی إطلاق تعبیر (منافع)، وعدم تقییده بالدنیویة أو الأخرویة، ممّا یعنی شمولهما معاً، وقد عرّف المنافع الدنیویّة بأنّها تلک «التی تتقدّم بها حیاة الإنسان الاجتماعیة، ویصفو بها العیش، وترفع بها الحوائج المتنوعة، وتکمل بها النواقص المختلفة من أنواع التجارة والسیاسة والولایة والتدبیر وأقسام الرسوم والآداب والسنن والعادات، ومختلف التعاندات والتعاضدات الاجتماعیة وغیرها».

ثمّ أعطی العلّامة مصادیق هذه المنافع الدنیویة مشیراً إلی الأمور التالیة:

أولًا: التعارف بین المسلمین القادمین من أصقاع الأرض المختلفة.

ثانیاً: اتحاد المسلمین علی کلمة واحدة هی کلمة الحق.

ثالثاً: التعاون فیما بینهم فی سبیل حلّ مشاکلهم.

رابعاً: امتزاج المجتمعات الإسلامیة لتکون «مجتمعاً وسیعاً له من القوّة والعدّة ما لا تقوم له الجبال الرواسی، ولا تقوی علیه أیّ قوّة جبّارة طاحنة، ولا وسیلة إلی حلّ مشکلات الحیاة کالتعاضد، ولا سبیل إلی التعاضد کالتفاهم، ولا تفاهم کتفاهم الدِّین».

ومن المفسّرین المعاصرین الذین أعطوا لآیة المنافع دلالاتها وأبعادها، هو صاحب (فی ظلال القرآن) سیّد قطب، حیث یقول:

«والمنافع التی یشهدها الحجّ کثیرة، فالحجّ موسمٌ ومؤتمر. الحجّ موسم تجارة وموسم عبادة. والحجّ مؤتمر اجتماع وتعارف، ومؤتمر تنسیق وتعاون، وهو الفریضة التی تلتقی فیها الدنیا والآخرة، کما تلتقی فیها ذکریات العقیدة البعیدة والقریبة.

ص: ۲۵

ثمّ يعدّد هذه المنافع الكثيرة، ويرسم بريشته الفنّية الأرواح وهى ترفّ حول بيت اللّه وتستروح الذكريات التى تحوم عليه وترفّ كالأطياف.

طيف إبراهيم الخليل عليه السلام وهو يودّع البيت فلذة كبده إسماعيل وأمّه، ويتوجّه بقلبه الخافق الواجف إلى ربّه: ربّنا انّى أسكنت من ذرّيتى بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرّم....

وطيف هاجر، وهى تستروح الماء لنفسها ولطفلها الرضيع فى تلك الحرّة الملتهبة حول البيت، وهى تهرول بين الصفا والمروة وقد نهكها العطش، وهدّها الجهد وأضناها الاشفاق على الطفل.. ثمّ ترجع فى الجولة السابعة وقد حطّمها اليأس لتجد النبع يتدفّق بين يدى الرضيع الوضيء. وإذا هى زمزم ينبوع الرحمة فى صحراء اليأس والجدب.

وطيف إبراهيم عليه السلام وهو يرى الرؤيا، فلا يتردّد فى التضحية بفلذّة كبده...

وطيف إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يرفعان القواعد من البيت، فى إنابة وخشوع ...».

ويستمرّ (سيّد) فى رسم تلك الأطياف.. إلى أن يقول:

«والحجّ بعد ذلك كلّه مؤتمر جامع للمسلمين قاطبة. مؤتمرٌ يجدون فيه أصلهم العريق الضارب فى أعماق الزمن منذ أبيهم إبراهيم الخليل: ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفى هذا.. ويجدون محورهم الذى يشدّهم جميعاً إليه:

هذه القبلة التى يتوجّهون إليها جميعاً، ويلتقون عليها جميعاً.. ويجدون قوّتهم التى قد ينسونها حيناً. قوّة التجمّع والتوحّد والترابط الذى يضمّ الملايين. الملايين التى لا يقف لها أحد لو فاءت إلى رايتها الواحدة التى لا تتعدّد.. راية العقيدة والتوحيد».

«وهو مؤتمر للتعارف والتشاور وتنسيق الخطط وتوحيد القوى، وتبادل المنافع والسلع والمعارف والتجارب، وتنظيم ذلك العالم الإسلامى الواحد الكامل

ص: ۲۶

المتكامل مرّة فى كلّ عام...».

ويرى صاحب (فى ظلال القرآن) أنّ كلّ ذلك يمثِّل «بعض ما أراده اللَّه بالحجّ يوم فرضه على المسلمين، وأمر إبراهيم عليه السلام أن يؤذن به فى الناس» ليشهدوا منافع لهم.. فإنّ كلّ جيل يشهد تلك المنافع «بحسب ظروفه وحاجاته وتجاربه ومقتضياته»!

(المنافع) بنظر الإمام الخمينى

ركّز الإمام على آية (شهود المنافع) كثيراً، وذكرها فى العديد من خطاباته السنوية التاريخية فى موسم الحج، وأعطى دلالاتها وتطبيقاتها معاً.

وقد أكّد على شمولية هذه المنافع؛ لتشمل كلّ نفع للمسلمين والامّة الإسلامية على جميع الأصعدة الروحية والسياسية والثورية والاجتماعية والاقتصادية، وقد دعا- بقوّة- الحجيج جميعاً إلى تحقيق تلكم المنافع المتنوّعة فى ذلك «المؤتمر الإسلامى الكبير، فى الأيام المباركة والأرض المباركة»، قائلًا:

«على المسلمين الملبِّين لدعوة اللَّه تعالى أن يستفيدوا من المحتوى السياسى والاجتماعى، إضافة إلى المحتوى العبادى، وأن لا يكتفوا بالشكل والصورة فحسب».

وقد أطلق الإمام فى خطاباته زفرات الأسف واللوعة على ما آل إليه المسلمون فى الغفلة عن تلكم (المنافع) العظيمة، التى توخّاها القرآن من تشريعه لفريضة الحجّ.. إلى درجة بدا فيها (الحجّ الإبراهيمى- المحمّدى) غريباً ومهجوراً، حيث يصرّح قائلًا:

«إنّ الحجّ (الإبراهيمى- المحمدى) غريبٌ ومهجور منذ سنين على الصعيد المعنوى والعرفانى، كما هو غريب ومهجور على الصعيد السياسى والاجتماعى، وعلى الحجّاج الأعزّاء من جميع أقطار العالم الإسلامى أن يزيلوا عن بيت اللَّه غربته على الأبعاد والأصعدة كافّة».

ص: ۲۷

ولهذا حذّر من أن يكون هذا الاجتماع المليونى للمسلمين الآتين من كلِّ فجٍّ عميق، مصداقاً للرواية القائلة:

«ما أكثر الضجيج وأقلّ الحجيج»!

وهناك مقولة رائعة للإمام تعبّر عن مدى المنافع والعطاءات لفريضة الحج، وعلى جميع الأصعدة، وهى: «الحجّ كالقرآن مائدة ينتفع منها الجميع»، ولذا فإنّه يرى الاستفادة من جواهر بحره تختلف بحسب اختلاف مستويات الناس الفكرية والثقافية، وحملهم لهموم الأمّة الإسلامية، وشعورهم بآلامها وآمالها.

كما يرى أنّ الحجّ يشبه القرآن فى غربته ومهجوريته، حيث يقول: «الحجّ مهجور كالقرآن».

من هنا ندرك أنّ الإمام يرى أنّ الحج كالقرآن فى أعماقه، وكالقرآن فى غربته.

من هذا المنطلق يوجب مفسّرنا الإمام على جميع المسلمين «أن يسعوا من أجل إعادة الحياة إلى الحجّ والقرآن معاً»، كما يدعو علماء الإسلام الملتزمين إلى «أن يضطلعوا بمسؤولية تقديم وإعطاء التفاسير السليمة والواقعية لفلسفة الحج ومناسكه، بعيداً عمّا تنسجه خيالات وتصوّرات (علماء البلاط) من خرافات».

(المنافع): البعد السياسى- الاجتماعى

لقد ركّز الإمام على البعد (السياسى- الاجتماعى) فى قوله تعالى: ليشهدوا منافع لهم؛ أكثر ممّا ركّز على البعد (النفسى- العرفانى)، رغم تصريحه بأنّ البعد الثانى هو الأساس، وهو المنطلق لكلّ الأبعاد الأخرى، حيث صرّح قائلًا:

«إنّ البعد (السياسى- الاجتماعى) لا يتحقّق إلّابتحقّق بُعده المعنوى الإلهى».

وقد كان يؤكّد فى كتبه أنّه: ما لم تتكسّر أصنام كعبة القلب، لا يمكن للإنسان أن يكسّر الأصنام الأخرى الحجرية والبشرية المتمثّلة بالطاغوت

ص: ۲۸

السياسى- الاجتماعى، ذلك لأنّ الإنانية هى امّ الأوثان وأعدى أعداء الإنسان، وأنّ «كلّ جهود الأنبياء من آدم حتّى الخاتم استهدفت كسر صنم الذاتية الذى هو أكبر الأصنام، ثمّ كسر بقية الأصنام».

ولهذا يرى أنّ الطواف حول الكعبة «يرمز إلى عدم الالتفاف حول غير اللّه»، كما هو «رمزٌ إلى عشق اللّه وتنزيهٌ للنفس من أن تخاف غيره تعالى»، كما أنّ الصفا والمروة يمثّل «السعى لإيجاد المحبوب».

بيد أنّ سر تركيز الإمام على البعد (السياسى- الاجتماعى) فى فريضة الحج يكمن فى إيمانه بأنّ أعداء الإسلام ما تآمروا على بُعد من أبعاد الحجّ أكثر ممّا تآمروا على هذا البعد السياسى الاجتماعى، من أجل أن يفرغوا فريضة الحج منه، حتى غدا الحج أبعد ما يكون عن السياسة والاجتماع!! يقول الإمام:

«إنّ من أكثر أبعاد الحجّ تعرّضاً للغفلة والهجران هو البعد السياسى لهذه المناسك العظيمة. ولقد عملت الأيدى الآثمة أكثر ما عملت- ولا زالت- على هجرانه».

ولهذا فإنّ «المسلمين اليوم، وفى هذا العصر- عصر الغاب- مسؤولون أكثر من أىّ وقتٍ مضى على إبرازه وإزالة الحجب عنه».

تغييب البعد السياسى: مؤامرة كبرى

يرى الإمام قدس سره أنّ تغييب البعد السياسى الاجتماعى الثورى لفريضة الحجّ ومناسكه إنّما هو مؤامرة كبرى تولّى كبرها عناصر ثلاثة:

العنصر الأوّل: الاستكبار العالمى (المتلاعبون الدوليون).

العنصر الثانى: الحكّام العملاء التابعون.

العنصر الثالث: العلماء (المزيّفون+ المتحجّرون).

ولا يخفى أنّ العنصر الثالث يتضمّن طائفتين:

أ- المزيّفون المأجورون (وعّاظ السلاطين)، أو (علماء البلاط).

ص: ۲۹

ب- المتنسکون المتحجّرون (المتزمتون).

ولا یکاد یخلو خطاب سنوی تاریخی من خطابات الإمام فی موسم الحج، من تسلیط الأضواء علی هذه المؤامرة الکبری بأطرافها الثلاثة، التی نجحت إلی حدٍّ کبیر فی إفراغ الحج من محتواه السیاسی، ومضمونه الاجتماعی الثوری.

ففی عام ۱۴۰۴ ه کشف الغطاء بصراحة عن مثلث التآمر، قائلًا:

«لقد عملت الأیدی الآثمة أکثر ما عملت- وما زالت- علی تغییبه وهجرانه، یساندهم فی ذلک- عن علم أو غیر علم- عملاؤهم الطامعون والغافلون الجهلة، وعلماء الدین المأجورون أو المنحرفون، والمتنسکون المتزمّتون المتحجّرون».

وهذا النصّ یشیر بصراحة إلی مثلث التآمر برؤوسه الثلاثة.

وفی بدایة ذات الخطاب أکّد علی العنصر الأوّل والثانی باعتبارهما الأخطر؛ لأنّ العدوّ الداخلی أخطر بکثیر من العدوّ الخارجی، حیث یقول:

«ومن المؤسف أنّ الأبعاد المختلفة والمتنوّعة لهذه الفریضة المصیریة العظیمة، بقیت مغیّبة من وراء حجب، بسبب انحرافات حکومات الجور فی البلدان الإسلامیة [العنصر الثانی]، ووعاظ السلاطین السافلین [العنصر الثالث- أ]، وسوء فهم بعض علماء الدین المتزمّتین المتحجّرین فی العالم الإسلامی [العنصر الثالث- ب]».

ومن دون شک فإنّ العنصر الأخطر فی هذه المؤامرة هو العنصر الثالث بکلا قسمیه، وقد عانی الإمام منهم- کما صرّح بذلک- أکثر ممّا عانی من أمریکا!!

یقول الإمام: «وقد بلغ الأمر بهؤلاء المنحرفین إلی أن وقفوا معارضین لإقامة الحکومة الإسلامیة، واعتبروها أسوأ من حکومة الطاغوت، وحصروا فریضة الحج الکبری بظواهر فارغة، واعتبروا طرح مشاکل المسلمین والبلدان الإسلامیة (فی هذا المؤتمر الإسلامی المیلونی) مخالفة للشریعة، بل یصل إلی حدّ الکفر!!

ص: ۳۰

هؤلاء العملاء المرتبطون بالحکومات الجائرة المنحرفة صوّروا صرخة المظلومین المجتمعین من أرجاء العالم، وفی مرکز النداء هذا، بأنّها زندقة مخالفة للإسلام!!

هؤلاء المهرّجون- من أجل إبقاء المسلمین علی تخلّفهم، وفتح الطریق أمام الغزاة والسلطویین... حصروا الإسلام فی زوایا المساجد والمعابد، واعتبروا الاهتمام بأمور المسلمین مخالفاً للإسلام ولواجبات المسلمین وعلماء الإسلام!!».

وعاظ السلاطین یدینون رسول اللّه صلی الله علیه و آله!

«إنّ الحجّ- منذ انبثاقه- لا یقلّ بعده السیاسی أهمیّةً عن بعده العبادی، بل إنّ البعد السیاسی هو بذاته عبادة»، وإنّ «البعد السیاسی» یمثّل «إحدی حکم الحجّ الکبری»، وإنّ «الحجّ إنّما هو لهذه المسائل (السیاسیة- الاجتماعیة..) إنّما هو لقیام الناس قیاماً للناس، لکی یدرک المسلمون مشاکلهم ویسعوا فی حلّها».

ولهذا فإنّه خاطب عام ۱۴۰۳ ه، أحد وعّاظ السلاطین الذی أفتی بمخالفة الهتاف ضد أمریکا وإسرائیل لمراسم الحج وقدسیّة بیت اللّه الحرام، قائلًا له:

«هل التأسّی برسول اللّه واتّباع أمر اللّه مخالف لمراسم الحجّ؟!

هل تنزهون مراسم الحج من البراءة من المشرکین؟!

أتکتمون أوامر اللّه ورسوله من أجل متاع الحیاة الدنیا، وترون إعلان البراءة من أعداء الإسلام والظالمین کفراً؟!»

وفی نفس الخطاب، أکّد علی الدور السیئ ل (وعّاظ السلاطین) فی إفراغ الحجّ من محتواه ومضمونه بإبعاده عن السیاسة والاجتماع، وأنّهم بمقولاتهم «یدینون رسول اللّه صلی الله علیه و آله، ویدینون أئمّة الهدی».

وفی عام ۱۴۰۷ ه، أشار الإمام فی خطابه التاریخی إلی تصاعد دور (العناصر الثلاثة) فی الوقوف أمام الوعی السیاسی لفریضة الحج ومناسکه، الذی بدأ ینتشر فی صفوف المسلمین، وحذّر من تسخیر (الناهبین الدولیین) لعلماء البلاط،

ص: ۳۱

السلاطین؛ لإشاعة فلسفاتهم وتحلیلاتهم الخاطئة والمنحرفة، التی تجرّد الحج من مقاصده السیاسیة وغایاته الاجتماعیة تحت شعار (قدسیة الکعبة وحرمتها). هذا إضافة إلی (المتنسکین الجاهلین) [العنصر الثالث- ب] الذین یرون أنّ الحج لیس له علاقة بالأمور السیاسیة.

یری الإمام أنّ مقولات هؤلاء هی «من إیحاءات ومکر السیاسات الخفیّة للناهبین الدولیین».

وفی آخر نداء تاریخی له وجّهه عام (۱۴۰۸ ه) إلی الحجیج الآتین من کلِّ فجٍّ عمیق، سلّط الأضواء علی الدور الخطیر لمن أسماهم ب (أحفاد بلعم بن باعورا) فی طمس فلسفة ومقاصد فریضة الحج، وتفریغها من محتواها الفاعل؛ لیکون الحج «ما هو إلّارحلة سیاحیة یتمّ فیها زیارة (القبلة) و (المدینة) لا- أکثر!، وذلک من خلال تساؤلاتهم التعجبیة الاستنکاریة حول علاقة الحج بالسیاسة ومشاکل المسلمین والناس المستضعفین فی العالم:

ما علاقة الحج بالبحث عن أسالیب الجهاد والنضال، وسبل مواجهة قوی الشرک والاستکبار؟!

ما علاقة الحج بالمطالبة بحقوق المسلمین والمستضعفین من الظالمین الجائرین؟!

ما علاقة الحج بمشاکل المسلمین ومعاناتهم، والتفکیر بإیجاد الحلول لها؟!

ما علاقة الحج بظهور المسلمین کقوّة کبری ومقتدرة فی العالم؟!

ما علاقة الحج بدعوة المسلمین إلی القیام والنهوض والانتفاضة ضدّ الأنظمة الطاغوتیة العمیلة التی تتحکّم علی رقابهم؟!».

أهم (المنافع) السیاسیة

فی کثیر من خطاباته السنویة فی موسم الحج أعطی الإمام أهم المفردات السیاسیة والاجتماعیة لمنافع ذلک الحشد الملیونی الهائل للمسلمین الملبّین نداء الحجّ، من شرق الأرض وغربها.

ص: ۳۲

ومن خلال استقراء تلك الخطابات والنداءات نستطيع أن نتلمس أهم تلك المنافع والمفردات:

المنفعة الأولى: قطع يد الاستكبار العالمى عن الامّة الإسلامية.

يصرّح الإمام فى أكثر من خطاب بأنّه لا توجد منفعة أعظم وأسمى من قطع يد الاستكبار العالمى عن أمتنا الإسلامية بل عن المستضعفين جميعاً:

«وأىّ منافع أعظم وأسمى من قطع يد جبابرة العالم والظالمين من السيطرة على البلدان المظلومة، ومن أن تكون الذخائر المادية العظيمة للبلدان ملكاً لشعوبها؟!».

وفى خطابٍ آخر يقول:

«على المسلمين المجتمعين فى مواقف هذه العبادة الرامية إلى تجميع المسلمين من كلّ أرجاء الأرض؛ ليشهدوا منافع لكلّ المستضعفين فى العالم، وأىّ منافع أعظم من قطع يد الطامعين عن البلدان الإسلامية؟!».

المنفعة الثانية: التفاهم وترسيخ الاخوّة بين المسلمين.

يعتبر الإمام «أنّ واحداً من أهم أركان فلسفة الحج هو إيجاد التفاهم وترسيخ الاخوّة بين المسلمين».

ولا يكاد يخلو خطاب للإمام فى موسم الحج من الدعوة إلى وحدة الكلمة بين المسلمين، وضرورة نبذ الفرقة والتمزّق والتشتّت الذى يسعى أعداء الإسلام إلى إبقائه والمحافظة عليه.

ولهذا يرى الإمام أنّ «من واجبات هذا التجمّع العظيم، دعوة الناس والمجتمعات الإسلامية إلى وحدة الكلمة، وإزالة الخلافات بين فئات المسلمين. وعلى الخطباء والوعّاظ والكتّاب أن يهتمّوا بهذا الأمر الحيوى، ويسعوا إلى إيجاد جبهة للمستضعفين للتحرّر- بوحدة الجبهة ووحدة الكلمة وشعار (لا إله إلّااللّه- من أسر القوى الأجنبية الشيطانية والمستعمرة».

ص: ۳۳

من هذا النص یظهر جلیّاً أنّ المنفعة الأولی (قطع ید الاستکبار) لا تأتی إلّا بتحقیق المنفعة الثانیة (الوحدة والتآزر).

من هذا المنطلق یخاطب الإمام حجّاج بیت اللّه الحرام کافة قائلًا:

«تبادلوا وجهات النظر، وتفاهموا لحلّ مشاکل المسلمین المستعصیة.

اعلموا أنّ هذا الاجتماع الکبیر الذی یعقد سنویاً بأمر اللّه فی هذه الأرض المقدّسة یفرض علیکم- أنتم المسلمون- أن تبذلوا الجهود علی طریق الأهداف الإسلامیة المقدّسة ومقاصد الشریعة المطهّرة السامیة، وعلی طریق تقدّم المسلمین وتعالیهم واتحاد المجتمع الإسلامی وتلاحمه».

المنفعة الثالثة: اجتماع رجال السیاسة فی العالم الإسلامی

یری الإمام أنّ هناک فرصة ذهبیة لزعماء السیاسة فی العالم الإسلامی أن یستثمروا موسم الحج؛ لیعقدوا فی مکّة مؤتمراً إسلامیاً عالمیاً یطرحوا فیه کلّ مشاکل المسلمین السیاسیة والاجتماعیة والاقتصادیة، لیکتشفوا لها الحلول الناجعة:

«علی زعماء القوم أن یجتمعوا فی مکّة المعظّمة استجابةً لأمر اللّه تبارک وتعالی، وأن یطرحوا مشاکلهم بینهم ویتغلّبوا علیها. ولو حدث ذلک ما استطاعت القوی الاخری أن تقف بوجههم مهما کانت عظمتها».

ویتساءل الإمام مستغرباً ومتعجّباً علی ما آلت إلیه أوضاع المسلمین:

لماذا یغفل المسلمون عن قدرة الإسلام العظیمة التی مکّنت شعباً لیغلب بید خالیة دولة غاصبة کبری؟

لماذا تعیش الحکومات الإسلامیة الغفلة عن هذه القوة العظیمة المقتدرة؟

لماذا تتلقّی الحکومات العربیة الصفعات خلال السنوات المتمادیة من الصهیونیة؟

لماذا کلّ هذا الاستسلام والرضوخ لسیطرة القوی الأجنبیة؟

لماذا لا یجتمعون ولا یتعاضدون لیکونوا تجسیداً لقول النبیّ الأعظم صلی الله علیه و آله: (وهم

ص: ۳۴

یداً علی من سواهم).

إنّ مشکلة المسلمین تکمن فی العداء المریر بین الحکومات الإسلامیة الذی أنشأه الاستعمار بعد الحرب العالمیة.

من هذا المنطلق یقترح الإمام ذهاب رجال السیاسة والفکر والأدب والثقافة إلی الحج، وأن لا یقتصر الحج علی عامة الناس.

إنّه ینفث زفرات اللوعة والأسف علی غفلة المسلمین عن هذا الأمر الحیوی والفاعل، حیث یقول:

«نحن الآن لیس لنا من التشرّف بمکّة وحجّ بیت اللّه الحرام سوی ذهاب مجموعة من عامة الناس إلی هناک، ومع الأسف الشدید فإنّ مسألة ذهاب أشخاص فاعلین من الحکومات ورجال القوم (من أصحاب الفکر والکتاب والثقافة)؛ لیجتمعوا هناک ویدرسوا مسائل الإسلام والمسائل السیاسیة والاجتماعیة للمسلمین، هذه المسألة مغفولٌ عنها.

إنّ مشاکل المسلمین کثیرة، ولکن مشکلة المسلمین الکبری هی أنّهم وضعوا القرآن الکریم جانباً وانضووا تحت لواء الآخرین».

«القرآن الکریم یقول: واعتصموا بحبل اللّه جمیعاً ولا تفرّقوا ولو عمل المسلمون بهذه الآیة الواحدة؛ لانحلّت جمیع مشاکلهم الاجتماعیة والسیاسیة والاقتصادیة من دون التشبّث بالآخرین».

المبحث الثانی: آیة البراءة من المشرکین

انطلاقاً من آیة البراءة: وأذانٌ من اللّه ورسوله یوم الحجّ الأکبر أنّ اللّه بریءٌ من المشرکین ورسولُه، دعا الإمام الخمینی الحجیج الآتین من کلِّ فجٍّ عمیق لیشهدوا منافع لهم، إلی ضرورة إعلان البراءة من المشرکین والمستکبرین فی موسم الحج، وفی مکة المکرّمة؛ لیطلقوا «بجوار بیت التوحید صرخة البراءة من المشرکین والملحدین من مستکبر رأسه أمریکا المجرمة».

ص: ۳۵

وما رکّز الإمام علی آیة من الآیات المبارکة فی فریضة الحج، کما رکّز علی آیة البراءة، حیث إنّه سلّط الأضواء الکاشفة علی هذه الآیة، ودعا بکلّ قوّة وإصرار إلی تجسیدها فی واقعنا المعاصر.. حتّی لا نعیش التفسیر الدلالی والمفاهیمی للقرآن بعیداً عن التجسید والتطبیق.

ولا یکاد یخلو خطاب من خطابات الإمام فی موسم الحج من ذکر لآیة البراءة ودعوة إلی تجسیدها فی واقعنا المعاصر.

ویمکن تلخیص تفسیره الدلالی والتطبیقی لآیة البراءة بالنقاط التالیة:

أوّلًا: إعلان البراءة: إحیاء لذکری حادثةٍ سیاسیة کبری

یری الإمام أنّ «إرسال سورة (براءة) لقراءتها فی ذلک الجمع إنّما کان یستهدف تعلیمنا ضرورة قراءة سورة براءة فی ذلک المکان».

کما یری أنّ إعلان البراءة فی موسم الحج یعتبر «إحیاءً لذکری أهمّ وأکبر حرکةٍ سیاسیةٍ للرسول صلی الله علیه و آله، التی عبّر عنها القرآن بقوله: وأذانٌ من اللَّه ورسوله إلی الناس یوم الحجّ الأکبر أنّ اللَّه بریءٌ من المشرکین ورسولُه، ذلک لأنّ سنّة الرسول صلی الله علیه و آله وإعلان البراءة لن یبلیا».

إنّ «إعلان البراءة من المشرکین فی موسم الحج، هو إعلانٌ سیاسی- عبادی».

ومهما اختلف المفسِّرون فی تعیین المراد من یوم الحجّ الأکبر- یوم النحر کما جاء فی روایات أهل البیت علیهم السلام أو یوم عرفة أو جمیع أیّام الحج- فإنّ الآیة المبارکة واضحة فی دلالتها فی إعلان البراءة من المشرکین فی أکبر یوم من أیّام الحج، حیث یجتمع المسلمون الآتون من کلّ فجٍّ عمیق؛ لیشترکوا فی مراسم إعلان صرخة البراءة تلک، ولیکونوا علی اهبة الاستعداد لإنفاذ أمر اللَّه فیهم بقتال أعداء اللَّه بعد انسلاخ الأشهر الحرم حیث وجدتموهم فی أی زمان ومکان، فی حلٍّ أو حرم، وبأیّ وسیلة ممکنة بالأخذ أو الحصر أو القعود لهم فی کلِّ مرصد وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم کلّ مرصد حتّی یفنوا عن آخرهم، وتطهر الأرض

ص: ۳۶

من وجودهم.

وقد ذكر المفسِّرون من الفريقين أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله كان قد بعث أبا بكر مع (براءة) ليقرأها على الناس فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: لا يبلِّغ عنك إلّاعلى، فأمر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليّاً أن يلحق أبا بكر ليأخذها منه ويقرأها على الناس.

فقد جاء فى الدر المنثور للسيوطى: أخرج عبداللَّه بن أحمد بن حنبل فى زوائد المسند، وأبو الشيخ وابن مردويه عن على رضى الله عنه قال: لمّا نزلت عشر آيات من براءة على النبى صلى الله عليه و آله دعا أبا بكر ليقرأها على أهل مكّة، ثمّ دعانى فقال لى؛ أدرك أبا بكر فحيثما لقيته فخذ الكتاب منه. ورجع أبو بكر، فقال: يارسول اللَّه نزل فىَّ شىء؟

قال: لا، ولكن جبريل جاءنى فقال لى: لن يؤدّى عنك إلّاأنت أو رجلٌ منك».

وفى الدرّ المنثور كذلك: أخرج ابن مردويه عن سعد بن أبى وقاص أنّ رسولاللَّه صلى الله عليه و آله بعث أبا بكر ببراءة إلى أهل مكة، ثمّ بعث علياً على أثره، فأخذها منه فكأن أبا بكر وجد فى نفسه، فقال النبى صلى الله عليه و آله: يا أبا بكر إنّه لا يؤدِّى عنّى إلّاأنا أو رجل منّى».

من هذا المنطلق يعتبر الإمام أنّ إعلان البراءة يمثِّل حدثاً تاريخياً عظيماً فى مسيرة الإسلام بقيادة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، قد حقّق انعطافة فى الموقف تجاه المشركين وأعداء الدين، وأننا إذا قمنا بإعلان البراءة فى موسم الحجّ فإنّما هو تأسٍ برسول اللَّه صلى الله عليه و آله وإحياء لسنّته.

ولهذا يستنكر الإمام على فتاوى (وعّاظ السلاطين) و (علماء البلاط) من تحريمهم إعلان البراءة فى مكة، وفى موسم الحجّ، بحجّة الأمن والسلامة وقدسيّة الكعبة المشرّفة!!

يخاطب الإمام ذلك «الواعظ العميل الذى يرى الهتاف ضدّ أمريكا واسرائيل مخالفاً لمراسم الحج»، قائلًا: «وهل التأسّى برسول اللَّه واتّباع أمر اللَّه مخالف لمراسم الحجّ؟!

ص: ۳۷

هل أنت وأمثالك من الوعّاظ الأمريكيين تخطِّئون فعل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأمر اللَّه؟!

هل التّأسّى بتلك الشخصيّة الكبرى، وإطاعة أمر اللَّه تعالى مخالف للإسلام؟!

هل تنزّهون مراسم الحجّ من البراءة من الكفّار؟!

أتغطون على أوامر اللَّه ورسوله من أجل مصالحكم الدنيوية، وترون البراءة من أعداء اللَّه من محاربى المسلمين ومن الظالمين ولعنهم كفراً؟!».

ولم يشجب الإمام (وعّاظ السلاطين) فحسب، بل هناك ممّن يسمّيهم «المتنسكين الجاهلين» يدّعون- كذلك- أنّ حرمة وقدسيّة الكعبة المعظّمة، تنتهك برفع الشعارات وإقامة التظاهرات والمسيرات وإعلان البراءة!!

ويعتبر الإمام أنّ «مثل هذه الأقاويل هى من إيحاءات وخبث السياسات الخفيّة للناهبين الدوليين، ولابدّ للمسلمين أن ينهضوا، وبكلّ ما لديهم من إمكانات... لخوض المواجهة الجادّة، والدفاع عن القيم الإلهية ومصالح المسلمين».

ثانياً: الكعبة أجدر وأنسب بيت لإعلان البراءة

يتساءل الإمام متعجّباً ومستنكراً على أولئك الذين يعتبرون إعلان البراءة فى موسم الحج يسيئ إلى فريضة الحج ومناسكها، كما يسيئ إلى قداسة البيت الحرام، قائلًا:

«وأىّ بيت أفضل وأنسب وأجدر من (الكعبة) المشرّفة، بيت الأمن والطهارة والناس؛ لإعلان البراءة، قولًا وعملًا، بوجه كلِّ أشكال الظلم والاستغلال والعبودية والدناءة واللاإنسانية؟!».

«إذا لم يعلن المسلمون براءتهم من أعداء اللَّه، فى بيت الناس وبيت اللَّه، فأين اذن يُعلنون البراءة؟!

وإذا لم يكن الحرم والكعبة والمسجد والمحراب معاقل وسنداً لجنود اللَّه والمدافعين عن الحرم وحرمة الأنبياء، فأين إذن يكمن مأمنهم وملجأهم؟!».

ص: ۳۸

ینطلق الإمام بنظرته هذه إلی دور الکعبة والمسجد الحرام، من منطلق القرآن، الذی تعطی آیاته بکلّ صراحة ووضوح ذلک الدور العظیم الذی لا ینفکّ عن القیام والنهوض والبراءة من المشرکین والمستکبرین.

الآیة الاولی: جَعَلَ اللَّه الکعبة البیت الحرام قیاماً للناس.

یری الإمام: أنّ اللَّه عزّوجلّ فی هذه الآیة المبارکة «یقرّر أنّ سرّ الحجّ وبواعثه والغایة من الکعبة والبیت الحرام هی نهوض المسلمین وقیامهم فی سبیل مصالح الناس والجماهیر المستضعفة فی العالم».

لقد بدأ خطابه عام ۱۴۰۱ والموجّه إلی حجّاج بیت اللَّه الحرام، بآیة القیام، أعطی فیه السبل التی تجعل من ذلک التجمّع المیلونی فی موسم الحج مصدر نهوض المسلمین وقیامهم فی سبیل مصالح الناس المستضعفین فی العالم.

ولن یتحقّق ذلک القیام إلّاإذا وعی المسلمون الآتون من کلِّ فجٍّ عمیق مقاصد وأهداف الحج الکبری، وعرفوا واجباتهم فی ذلک «التجمّع الإلهی العظیم الذی لا تستطیع أیّ قدرة سوی قدرة اللَّه أن تعقده».

ودراسة مشاکل المسلمین، وبذل الجهود فی سبیل إیجاد الحلول لها، هو الواجب الأوّل الذی یجب أن یضطلع به أولئک الحافّون حول بیت اللَّه الحرام.

ویری الإمام: أنّ «إحدی أکبر هذه المشاکل وأکثرها أهمّیة هی عدم الوحدة بین المسلمین وتمزّقهم وتشتّتهم».

«هذا المسجد الحرام ومساجد عصر رسول اللَّه صلی الله علیه و آله کانت مرکز الحروب، ومرکز السیاسات والشؤون الاجتماعیة والسیاسیة».

«لو أننا ذهبنا إلی الحج، ولم نأخذ بنظر الاعتبار مصالح المسلمین، بل وخلافاً لمصالح المسلمین نغطّی علی الجرائم التی ترتکب بحقّهم، ولاـ ندع المسلمین یتداولون ما ترتکبه بحقّهم الحکومات والقوی الکبری من جرائم ومظالم، فلیس هذا بحجٍّ؛ لأنّه صورة فاقدة للمعنی، وشکل مفرّغ من المضمون».

ص: ۳۹

الآيـة الثانية: وإذْ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى وعهدنا إلى إبراهيم وإسـماعيل أن طهّرا بيتى للطائفين والعاكفين والركّع السجود.

انطلاقاً من هـذه الآيـة المباركـة يرى الإمام أنّ «الكعبة التى هى أُمّ القرى وما امتدّ منها حتّى آخر نقطة فى الأرض- وإلى آخر يوم من حياة العالم- ينبغى أن تطهّر من لوثة الأصـنام مهما كانت هياكل أم شـمساً أم قمراً أم حيواناً أم إنساناً. وأىّ منهم أسوأ من (الطواغيت) على مرّ التاريـخ، ابتـداءً من زمـان آدم صـفى اللّه ومروراً بإبراهيم خليل اللّه ومحمّـد حبيب اللّه... حتى آخر الزمان، حيث يرفع محطّم الأصنام الأخير نداء التوحيد من الكعبة؟!».

ويشـجب الإمام النظرة الضـيّقة الخاطئـة للأصـنام، التى تحصـرها بالأصـنام الحجريـة فحسب، حيث يتساءل: «أَليست القوى الكبرى فى زماننا هذا أصناماً كبرى تدعو الناس إلى طاعتها وعبادتها والخضوع لها، وتفرض نفسها عليهم بالقوّة والمال والتزوير؟!

مكّة المعظّمة هى المركز الوحيد لتحطيم هذه الأصـنام. إنّ إبراهيم الخليل عليه السـلام، وحبيب اللّه محمّداً صـلى الله عليه و آله، وابنه العزيز المهدى الموعود- روحى فداه- رفعوا وسيرفعون نداء التوحيد فى آخر الزمان من الكعبة المشرّفة».

«والمهـدى المنتظر على لسـان كلّ الأديان وبإجماع المسـلمين يَرفع نـداءَه من الكعبـة، ويـدعو البشـرية إلى التوحيـد، والجميع يرفعون نداءهم من مكّة، وعلينا أن نتّبعهم، ونعلن كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة من ذلك المكان المقدّس».

«ومـا لم نعقـد الاجتماعات الحيّـة المدويّـة فى مركز تجمّع المسـلمين (مكـة المكرّمـة)، وما لم نكسّر الأصـنام ونرجم الشـياطين وعلى رأسـهم الشـيطان الأكبر فى (العقبات)، لن يكون حجّنا حـجّ خليل اللّه وحبيب اللّه ووليّ اللّه المهـدى العزيز، ولقيل فى حقّنا: «ما أكثر الضجيج وأقلّ الحجيج»!.

ص: ۴۰

الآية الثالثة: إنّ أوّل بيت وضع للناس للّذى ببكّة مباركاً وهُدًى للعالمين.

هذه الآية المباركة- كما يرى الإمام- تقرّر أنّه ليس هناك أولوية ببيت اللّه على سائر الناس، لشخص أو مجموعة أو طائفة.. فإنّ الناس جميعاً، أينما كانوا، وفى أىّ بقعةٍ من بقاع الأرض، فى مشارقها ومغاربها، مكلّفون أن يكونوا مسلمين، وأن يجتمعوا فى هذا البيت الذى وُضع للناس، وأن يزوروا هذا البيت المقدّس.

«بيت اللّه الحرام هو أوّل بيت وضع للناس، إنّه بيتٌ عام، ليس لشخص ولا لنظام ولا لطائفة حقّ الأولوية فيه، سواء فيه أهل البادية وسكنة الصحراء والمتنقلون، والعاكفون وسكنة المدن»: سواءً العاكفُ فيه والباد.

«هذا البيت المعظّم بنى للناس، ولقيام الناس، وللنهوض العام، ولمنافع الناس، وأىّ منافع أعظم وأسمى من قطع يد جبابرة العالم والظالمين من السيطرة على البلدان المظلومة».

ثالثاً: صرخة البراءة هى صرخة المستضعفين المظلومين.

يرى الإمام أنّ إعلان البراءة لا يتجزّأ؛ لأنّه يمثّل صرخة براءة المستضعفين والمحرومين بوجه المستكبرين الظالمين.. وبالتالى يُعبّر إعلان البراءة فى موسم الحج من قبل المسلمين الآتين من أصقاع الأرض الإسلامية عن الرفض لكلّ الظالمين الذين يتحكّمون برقاب المسلمين.

يقول الإمام: «إنّ صرخة براءتنا من المشركين والكافرين اليوم هى صرخة البراءة من الظلم والظالمين، هى صرخةُ امّةٍ ضاقت ذرعاً باعتداءات الشرق والغرب، وعلى رأسهم أمريكا وأذنابها، وغضبُ مَن نُهب بيتها وثرواتها». ثمّ يقول:

«إنّ صرخة براءتنا هى صرخة الشعب الأفغانى المظلوم ضد الاتحاد السوفيتى».

«وإنّ صرخة براءتنا هى صرخة الشعوب المسلمة المضطهدة فى أفريقيا».

ص: ۴۱

«إنّ صرخة براءتنا هی صرخة الشعبین اللبنانی والفلسطینی..».

«إنّ صرخة براءتنا هی صرخة جمیع الذین ما عادوا یتحمّلون فرعنة أمریکا وتواجدها السلطوی..».

«إنّ صرخة براءتنا هی صرخة الدفاع عن الشعوب والکرامات والنوامیس..».

«إنّ صرخة براءتنا هی صرخة الفقراء والجیاع والمحرومین الذین نهب الجشعون والقراصنة الدولیون حصیلة کدِّ یمینهم وعرق جبینهم».

المبحث الثالث: آیة سقایة الحاجّ

حرص القرآن الکریم علی تحدید مقاصد وأهداف فریضة الحج ومناسکها، والدور الذی یضطلع به بیت اللَّه الحرام، واستنکر المحاولات التی تجعل ما لیس فی المقاصد والأهداف والقیم مقصداً أکبر وهدفاً أسمی وقیمةً أعلی.

من هذا المنطلق نزلت آیة (سقایة الحاج) لتحبط إحدی تلک المحاولات الخاطئة فی تشخیص القیم والأولویات، علی أثر تلک الحادثة المعروفة التی یذکرها المفسِّرون فی أسباب نزول قوله تعالی:

أجعلتم سقایة الحاج وعمارة المسجد الحرام کمن آمن باللَّه والیوم الآخر وجاهد فی سبیل اللَّه لا یستوون عند اللَّه....

یری الإمام الخمینی أنّ هذه الآیة الشریفة کأنها نزلت الیوم، وفی واقعنا المعاصر، حیث اعتبر بعض أنّ سقایة الحاجّ وعمارة المسجد الحرام من أکبر الأعمال والمنجزات والمقاصد فی موسم الحج، وراح یفتخر بذلک.. من خلال الحدیث عن الخدمات التی یوفّرها، والتوسعات المعماریة التی أنشأها، وما إلی ذلک من الامور التی تدخل تحت عنوان (سقایة الحاج وعمارة المسجد الحرام).

ولهذا یقول الإمام:

«کأنّ هذه الآیة الشریفة نزلت فی عصرنا، وتحکی عن حالنا، وتصف الانشغال بسقایة الحاج وبعمارة المسجد الحرام- مع الغفلة عن الإیمان باللَّه وبالیوم الآخر،

ص: ۴۲

والابتعاد عن الجهاد فی سبیل اللَّه- بأنّه ظلم، وتعتبر الفاعلین لذلک ظالمین».

وقد نبّه الإمام إلی هذه الحقیقة القرآنیة، قائلًا:

«ها أنا أغتنم هذه الفرصة؛ لأشیر إلی إحدی آیات الکتاب الکریم، حیث یقول جلّ وعلا: أجعلتم سقایة الحاج وعمارة المسجد الحرام کمن آمن باللَّه والیوم الآخر وجاهد فی سبیل اللَّه لا یستوون عند اللَّه واللَّه لا یهدی القوم الظالمین.

ویوضّح الإمام دلالات الآیة المبارکة بقوله:

«إنّ اللَّه سبحانه وتعالی یقول فی هذه الآیة: أنتم ذوی القلوب العمیاء، أمِنَ الممکن أن تساووا بین سقایة الحجیج وعمارة المسجد الحرام، وبین أولئک الذین آمنوا باللَّه وبیوم الجزاء وجاهدوا فی سبیل اللَّه؟!

حاشا أن تتساووا أنتم وأولئک، فاللَّه لا یهدی القوم الظالمین».

ثمّ یستفید من سیاق الآیة المبارکة نکتة رائعة، بذکر الجهاد فی سبیل اللَّه بعد الایمان باللَّه والیوم الآخر، فیقول:

«إنّ ما یلفت النظر فی هذه الآیة هو أنّ اللَّه سبحانه قد ذکر الإیمان باللَّه والیوم الآخر، وقد اختار من بین کلِّ القیم الإسلامیة الإنسانیة، الجهاد فی سبیل اللَّه ضدّ أعداء اللَّه وأعداء البشریة، وجاء به مباشرةً بعد الایمان باللَّه ویوم الجزاء، وقد علم المسلمون کافّة من هذا الاختیار أنّ أهمّیة الجهاد تفوق کلّ شیء».

ویؤکّد الإمام- فی خطابٍ آخر، وانطلاقاً من آیة (سقایة الحاج)- أنّ «سدانة البیت وسقایة الحاج وعمارة المسجد الحرام غیر کافیة، ولا ترتبط بالهدف والمقصد».

ولهذا یری أنّ «بساطة البیت والمسجد- کما کانا علیه زمان إبراهیم علیه السلام وفی صدر الإسلام- مع تلاحم المسلمین الوافدین علی ذلک المکان البسیط، أفضل ألف مرّة من تزیین الکعبة والأبنیة المرتفعة فیها، مع الغفلة عن الهدف الأصلی، والمقصد الأساس المتمثّل بقیام الناس وشهود المنافع: أجعلتم سقایة الحاج وعمارة المسجد الحرام

ص: ۴۳

کمن آمن باللَّه والیوم الآخر وجاهد فی سبیل اللَّه لا یستوون عند اللَّه واللَّه لا یهدی القوم الظالمین، کأنّ هذه الآیة الشریفة نزلت فی عصرنا، وتحکی عن حالنا!!».

المسجد: مرکز انطلاق زحف القوّات الإسلامیة

«إنّ المسجد فی صدر الإسلام، کان دوماً مرکز النهضة والتحرّکات الإسلامیة.

من المسجد کانت تنطلق الدعوة إلی الإسلام. ومن المسجد کانت تزحف القوات الإسلامیة لقمع الکفّار، أو لجذبهم تحت رایة الإسلام».

«هذا المسجد الحرام ومساجد عصر الرسول صلی الله علیه و آله کانت مرکز الحروب والمعارک، ومرکز السیاسات والشؤون الاجتماعیة والسیاسیة. لم یکن مسجد النبی صلی الله علیه و آله مقتصراً علی المسائل العبادیة کالصلاة والصیام فحسب بل إنّ مسائله السیاسیة کانت أکثر، فمتی ما أرادوا إرسال المقاتلین إلی ساحات القتال والجهاد، وتعبئتهم فی الحروب والمعارک، کان المسجد هو المرکز والمنطلق».

لقد کان الإمام- وانطلاقاً من آیات القرآن التی تتحدّث عن الکعبة ودورها فی القیام والنهضة- یری أنّ البیت الحرام «اسس للقیام.. لقیام الناس، کما أُسس للنّاس.. فیجب- إذن- الاجتماع فیه لهذا الهدف الکبیر، ویجب تحقیق منافع الناس فی هذه المواقف المشرّفة»، ویؤکّد- انطلاقاً من آیة (سقایة الحاج)- علی أنّ «سدانة البیت وسقایة الحاج وعمارة المسجد الحرام غیر کافیة، ولا ترتبط بالهدف والمقصد».

ولهذا کان یخاطب الحجّاج الوافدین علی بیت اللَّه بأن یتجهزوا من (مرکز تحطیم الأصنام) لتحطیم الأصنام السیاسیة والطاغوتیة فی العالم، حیث یقول:

«أنتم یا حجّاج بیت اللَّه الحرام، یا من وفدتم من أقطار العالم وأکنافه علی بیت اللَّه، مرکز التوحید ومهبط الوحی ومقام إبراهیم ومحمد الرجلین العظیمین الثائرین علی

ص: ۴۴

المستكبرين، وسارعتم للوصول إلى المواقف الكريمة التى كانت فى عصر الوحى أرضاً يابسة وهضاباً قاحلة، غير أنّها كانت مهبط ملائكة اللَّه ومحلّاً لهجوم جنود اللَّه... اعرفوا هذه المشاعر الكبرى وتجهّزوا من مركز تحطيم الأصنام لتحطيم الأصنام الكبرى التى ظهرت على شكل قوى شيطانية، وغزاة يمتصون الدماء، ولا- تخشوا هذه القوى الفارغة من الإيمان. وفى هذه المواقف الكريمة، وبالتوكل على اللَّه العظيم، اعقدوا بينكم ميثاق الاتحاد والاتفاق فى مواجهة جنود الشرك والشيطان، واحذروا من التفرّق والتنازع ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم».

«إنّ ريح الإيمان والإسلام- التى هى أساس النصر والقوّة- تزول وتذهب بالتنازع والتشرذم المنطلق من الأهواء النفسية والانانيات».

إعلان البراءة: الخطوة الأولى فى طريق الجهاد والنضال

يؤكّد الإمام أنّ إعلان البراءة فى موسم الحج، فى مكة المكرّمة، ليس مجرّد «شعارات وهتافات» فحسب، بل إنّه يتعدّى ذلك «إلى تعبئة الأمة وتنظيم جنود اللَّه فى مواجهة جنود إبليس».

ويصرّح: بأنّ إعلان البراءة «هو المرحلة الاولى فى طريق الجهاد والكفاح، وأنّ مواصلة المراحل الاخرى هى من واجبنا، حيث إنّ أداءه فى كلّ عصر وزمان يختلف باختلاف الأساليب ومتطلّبات العصر».

ويشجب الإمام تلك المحاولات التى تريد تفريغ الحج من مضمونه الجهادى الثورى التعبوى، من خلال:

أوّلًا: «إلقاء روح اليأس والعجز والخنوع فى نفوس المسلمين».

ثانياً: «الإيحاء بأنّ محاربة ومقارعة الأنبياء للأصنام ولعبادة الأوثان، تنحصر وتقتصر على الحجارة والأخشاب الجامدة التى لا روح فيها، وأنّ أنبياء من مثل (إبراهيم) الذى كان سبّاقاً فى تحطيم الأصنام، قد اقتصر عمله- والعياذ باللَّه- على تلك الأصنام الحجرية، وترك ساحة الجهاد وميدان النضال ضدّ الظالمين».

ص: ۴۵

ویردّ الإمام علی هؤلاء المتآمرین علی الحقائق القرآنیة والتاریخیة بأنّ «کلّ ما أقدم علیه النبیّ إبراهیم من تحطیم الأصنام وجهاد النمرودیین وعبدة الشمس والقمر والنجوم، ما هو إلّامقدّمة لهجرة کبری، وإنّ کلّ تلک الهجرات والشدائد والصعاب والعیش فی وادٍ (غیر ذی زرع) وبناء البیت والتضحیة بإسماعیل، کانت مقدّمة لبعثه ورسالة ختمت فیها الرسل، وضمّت عودة لحدیث أوّل وآخر بناة ومؤسسی الکعبة، وأبلغت رسالتها الأبدیة بکلامٍ خالد: إنّی بریءٌ ممّا تشرکون!

مقارعة الأوثان المعاصرة

یری الإمام أنّ الاقتصار علی الرؤیة التاریخیة القدیمة للأصنام ومعابدها، یوصلنا إلی نتیجة خاطئة وهی: «عدم وجود صنم أو وثن وعبادته فی هذا العصر»، ولذا یری أنّه لا یوجد إنسان عاقل فی الدنیا «لا یدرک عبادة الأصنام الجدیدة وأحابیلها، ولا یعرف هیمنة معابد الأصنام فی واقعنا المعاصر- کالبیت (الأسود) الأمریکی- علی البلاد الإسلامیة، وعلی أرواح وأعراض المسلمین والعالم الثالث..».

یری الإمام أنّ عصرنا زاخرٌ بالأصنام والأوثان ومعابدها، وأنّ الطاغوت السیاسی هو الصنم الکبیر الذی دعانا القرآن إلی رفضه والثورة علیه:

فمن یکفر بالطاغوت ویؤمن باللّه فقد استمسک بالعروة الوثقی لا انفصام لها.

اللّه ولیّ الذین آمنوا یخرجهم من الظلمات إلی النور والذین کفروا أولیاؤهم الطاغوت یخرجونهم من النور إلی الظلمات.

إنّه الصراع التاریخی المریر بین أولیاء اللّه وأولیاء الطاغوت، وما صراعنا المعاصر إلّاامتداد لذلک التصارع والتدافع، وتبقی المصادیق للطاغوت والظلمات ثابتة فی مضمونها وإن اختلفت أشکالها.

ویعطی الإمام المصادیق المتنوّعة للظلمات:

ص: ۴۶

(الجهل) و (المعصیة) و (التبعیة للغرب والانبهار به)، ویعتبر الأخیر من أشدّ الظلمات «لأنّ جمیع مشاکلنا ومصائبنا تکمن فی أننا فقدنا أنفسنا، ونسینا مفاخرنا، وقضینا علی کرامتنا واستقلالنا ووطنیتنا. کلّ هذه ظلمات، والطاغوت هو الذی أخرجنا من نور الاستقلال والوطنیة والإبداع العلمی، إلی ظلمات التبعیة والذیلیة والشعور بالدونیة».

بید أنّ أکبر هذه الظلمات وأحلکها وأخطرها هی ظلمة (الأنانیة) لأنها «العدوّ الأسوء من کلّ الأعداء، والوثن الأکبر من کلّ الأوثان، بل هی امّ الأوثان، وما لم یحطِّم الإنسان هذا الوثن لا یمکن أن یُصبح إلهیاً؛ لأنّه لا یمکن الجمع بین اللّه والوثن، وبین الإلهیة والأنانیّة».

ومن منطلق هذه الرؤیة القرآنیة الرائعة والمعاصرة لمعنی (الطاغوت) و (الوثن) و (الصنم) یمتزج البعد السیاسی- الاجتماعی لفریضة الحجّ بالبعد النفسی- العرفانی؛ لیشهد الحجیج الآتون من کلّ فجّ عمیق منافع علی أصعدة متعدّدة، وساحات متنوّعة، ومیادین شتّی.

إنّ هذا الالتحام الرائع بین أبعاد الحجّ وآفاقه لا یتحقق إلّابوعینا لأبعاد (الطاغوت) ومصادیقه، التی تمتدُّ من میدان النفس إلی میادین القتال والجهاد والنضال.

ومن هنا ندرک مقولة الإمام ومدی دلالاتها العمیقة:

«إنّ البعد (السیاسی- الاجتماعی) للحج لا یتحقق إلّابتحقق بعده (المعنوی- الإلهی)»!

ولهذا یدعو حجّاج بیت اللّه الحرام قائلًا:

«لتکن تلبیاتکم تلبیة لدعوة اللّه، ولیکن إحرامکم من أجل الوصول إلی ساحة الحضور الإلهی. وأنتم تلبّون ارفضوا الشرک بجمیع مراتبه، وهاجروا من ذواتکم التی هی مصدر الشرک الأکبر إلی اللّه عزّوجلّ».

ص: ۴۷

ويتمنّى للحجّاج المهاجرين الوصول إلى «الوفاة التى تعقب الهجرة، لينالوا ما وقع على اللَّه من أجر».

وهذه إشارة واضحة إلى آية الهجرة: ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى اللَّه ورسوله ثمّ يدركه الموت فقد وقع أجره على اللَّه.

وآية الهجرة هذه طالما ركّز عليها الإمام فى خطاباته ورسائله وكتبه إلى درجةٍ تكاد تكون فى المقام الثانى بعد آية القيام، ذلك لأنه يؤمن إيماناً عميقاً بأنّ وصول السالك إلى مرحلة الفناء التام، والمحو المطلق، ثمّ الصحو بعد المحو، هو الذى يجعله ذا إرادة نافذة للحق تعالى، حينما يزول غبار الكثرة، وتتكسّر أصنام كعبة القلب، وما لم تتكسّر تلك الأصنام لا يمكن للإنسان أن يسعى فى تكسير الأصنام الاخرى الحجرية أو البشرية المتمثّلة بالطاغوت السياسى- الاجتماعى.

من هذا المنطلق يؤكّد الإمام على حقيقة بعثة الأنبياء والمرسلين، والمقصد الأساس وراء إنزال الكتب السماوية، قائلًا:

«لقد بعث الأنبياء كافّة، وأنزلت الكتب السماوية كافة، من أجل إخراج الإنسان من معبد الأصنام هذا- (الأنانية التى هى امّ الأوثان)- وتحطيمها، وتحويله إلى عابد للَّه»، وعندما يخرج الإنسان من ظلمات الأنانية «يصبح عاملًا للَّه، مقاتلًا فى سبيل اللَّه».

من هذا المنطلق- أيضاً- يخاطب الإمام حجّاج بيت اللَّه قائلًا:

«ما دمتم مكبّلين بأغلال ذاتياتكم وأهوائكم وأنانياتكم لا تستطيعون الجهاد فى سبيل اللَّه، ولا الدفاع عن حريم اللَّه».

«ولو تحقّق فى الإنسان هذا الجانب العرفانى والمعنوى وحده، واقترنت التلبية- (لبّيك اللهمّ لبّيك)- صدقاً بنداء اللَّه تعالى، فإنّ الإنسان سيحقّق الانتصار فى جميع الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية، وحتّى العسكرية.

وإنّ مثل هذا الإنسان لا يفهم معنى الهزيمة والفشل».

ص: ۴۸

«بتلبیتکم قولوا (لا) لکلّ الأصنام. وأی صنم أکبر من الشیطان الأکبر أمریکا الطامعة؟!

أرفضوا کلّ الطواغیت الصغار والکبار.

اجعلوا قلوبکم فی الطواف حول بیت اللَّه خالیة من غیر اللَّه، فإنّ الطواف یرمز إلی عشق اللَّه.

نزّهوا أنفسکم من أن تخاف من غیر اللَّه تعالی.

تبرّأوا- مع عشق اللَّه- من الأصنام الکبیرة والصغیرة، ومن الطواغیت وأتباعهم..

وفی لمسکم للحجر الأسود بایعوا اللَّه لأن تکونوا أعداءً لأعداء اللَّه ورسوله والصالحین والأحرار..

اقتلعوا جذور الخوف من قلوبکم فإنّ کید أعداء اللَّه- وعلی رأسهم الشیطان الأکبر- کان ضعیفاً، مهما تفوّقوا فی وسائل القتل والدمار والإجرام..

وفی السعی بین (الصفا) و (المروة) اسعوا- بصدق وإخلاص- لتجدوا المحبوب، فإن وجدتموه یتقطع کلّ انشداد إلی الدنیا، وینقلع کلّ شکٍّ وتردّد، وتنفصم کلّ القیود، وعندها تتفتّح براعم الحریة وتتحطّم الأغلال التی کبّل بها الطواغیت عباد اللَّه، وأسروهم واستعبدوهم.

واتّجهوا إلی (المشعر الحرام) و (عرفات) بشعورٍ وعرفان، وزیدوا دوماً من ثقتکم بوعد اللَّه وحکومة المستضعفین، وتفکّروا بآیات اللَّه فی هدوء وسکون.. وفکّروا فی إنقاذ المحرومین والمستضعفین من مخالب المستکبرین.

اذهبوا إلی (منی) لتنالوا فیها الأمانی الحقّة المتمثّلة فی تقدیم أعزّ ما عندکم قرباناً علی طریق المحبوب..».

«برجمکم (العقبات الثلاثة) عاهدوا اللَّه علی رجم وطرد شیاطین الإنس والقوی المستکبرة من بلدان العالم الإسلامی».

وهکذا تلتحم الثورة والعرفان، وتتعانق السیاسة والعبادة، ویتزامن السعی

ص: ۴۹

بين الصفا والمروة بالسعى نحو تحقيق الأمانى الحرّة، ورجم العقبات برجم الطاغوت، وطواف الكعبة بالقيام والنهضة والثورة.

وهكذا- أيضاً- يتحوّل عيد الأضحى المبارك إلى عيد التضحية والبذل والفداء والعطاء فى سبيل اللّه، ومقارعة الظالمين والطاعنين؛ لأنّه «العيد الذى يذكّر الواعين بالتضحية الإبراهيمية، ويقدّم دروس الفداء والجهاد فى سبيل اللّه إلى أبناء آدم وأصفياء اللّه وأوليائه».

لقد علّمنا إبراهيم- شيخ الموحّدين ومحطّم الأصنام ومؤسس الإيثار- كيف نعيّد ومتى، «علّمنا وعلّم الجميع أن نقدّم أعزّ ثمار حياتنا فى طريق اللّه، ثمّ نعيّد!!»:

فلمّا أسلما وتلّهُ للجبين* وناديناه أن يا إبراهيم* قد صدّقت الرؤيا إنّا كذلك نجزى المحسنين* إنَّ هذا لهو البلاءُ المبين* وفديناه بذبحٍ عظيم* وتركنا عليه فى الآخرين.

الهوامش:

ص: ۵۰

ص: ۵۱

ص: ۵۲

ص: ۵۳

ص: ۵۴

ص: ۵۵

فتاوى الإمام فى الحجّ

فتاوى الإمام فى الحجّ

فتاوى الإمام فى الحجّ

محمّد جواد الطبسى

عنـدما نتصـفّح الآراء الفقهيّـة للإمام الخمينى رحمه الله فى فريضـة الحجّ نظنّ أنّ شـطراً كبيراً منها صدرت طبقاً لرعاية الحاج وتسـهيلًا عليه فى بعض مناسكه.

ومن أجـل ذلـك تركـ كثيراً من الاحتياطـات، التى قالهـا بعض مراجع الإسـلام رعايـة لموقعهم المكانى والزمانى، فإننا وإن لم يسـعنا القول بأنّ كل فتاواه صادرة بالنظر إلى هذه المصلحة التسهيلية على العباد، ويمكن أن اجتهاده أدّى إلى هذا القول، ولكن بالقياس إلى كثرة احتياطات مراجع الإسـلام فى هـذا المجال وقلّـة احتياطاته، نخلص إلى هـذه النتيجـة: بأن فتاواه فى الحج أسـهل بكثير للعمل من فتاوى الآخرين.

ويشـهد بـذلك أنه أحـال كـلّ الاحتياطـات فى الحـج إلى من لاـ يحتاط فى ذلك، ممّا يؤكـد أنه كان يريـد التسـهيل عليهم حتى فى المواضع الاحتياطية بنحو الوجوب وإرجاعهم إلى الآخرين لئلا يقعوا فى الحرج مهما أمكن.

فقـال فى جواب السائـل: هـل يجب عنـدكم الترتيب بين الرمى والذبـح والحلق؟ وهل يمكن الرجوع إلى مجتهـد آخر لا يرى الترتيب لازماً حتى فى

ص: ۵۶

حال الاختيار؟ وهل تجيزون الرجوع فى حدّ المطاف إلى مجتهد قد توسّع فى أمره؟

قال: رعاية الترتيب واجبة على الأحوط، ويمكن الرجوع إلى الغير فى هذا الاحتياط وفى غيره من الاحتياطات».

وإليك جملة من هذه الفتاوى كما يلى:

۱- وجوب تبعية حكم القاضى بثبوت الهلال:

أفتى الإمام رحمه الله بمتابعة قول الحاكم فى ثبوت هلال شهر ذى الحجة وان لم يثبت عندنا، وإن لم يمكن العمل على طبق المذهب الحق بلا تقية وخوف.

وقال فى بحث الوقوف بعرفات فى المسألة السابعة: لو ثبت هلال ذىالحجة عند القاضى من العامة وحكم به ولم يثبت عندنا، فإن أمكن العمل على طبق المذهب الحق بلا تقية وخوف وجب، وإلّا وجبت التبعية عنهم وصح الحج لو لم تبين المخالفة للواقع، بل لا يبعد الصحة مع العلم بالمخالفة، ولا تجوز المخالفة، بل فى صحة الحج مع مخالفة التقية إشكال...

وأجاب سماحته فى المسألة ۱۸ عن هذا السؤال:

ذكرتم أنه إذا حكم قاضى مكة بأنّ اليوم عيد ولم تكن على يقين بخلافه، تجوز لنا متابعته، فإذا كنّا نستطيع فى هذا الفرض الاحتياط والإتيان بوقوف عرفات والمشعر وأعمال منى بدون محذور حتى نحرز الواقع، فهل يكون ذلك واجباً أم لا؟

قال رحمه الله: تجب التبعية حتى مع العلم بالخلاف.

۲- كفاية الصلاة جماعة مع المسلمين:

وأفتى الإمام رحمه الله بجواز الصلاة خلف العامة، وبكفاية كلّ صلاة صلّاها فى المسجد الحرام والمسجد النبوى الشريف جماعة معهم ولا يحتاج إلى إعادة ذلك. فنراه حين سئل: هل يجب على من يصلّى الصبح جماعة مع المسلمين أن يعيدها بعد أن تضىء السماء أم تكفى تلك الصلاة؟

فيجيب الإمام رحمه الله: الصلاة فى الفرض المذكور جماعة صحيحة ولا إعادة.

ص: ۵۷

۳- جواز الصلاة بنحو دائرى فى المسجد الحرام:

وسُئِل: لو صلّى فى المسجد الحرام جماعة بنحو دائرى بحيث كان واقفاً مقابل إمام الجماعة أو على جانبيه هل تحتاج الصلاة إلى إعادة؟

فأجاب رحمه الله: لا تجب إعادة الصلاة مع هذا الوضع الفعلى.

۴- جواز السجود على السجّاد فى مسجد النبى صلى الله عليه و آله

وأفتى سماحته بجواز السجود على السجّاد المفروش فى المسجد النبوى الشريف، وبعدم وجوب اختيار مكان آخر غير مفروش، أو استصحاب حصير للسجود عليه، فقال: لا مانع من السجود فى مسجد النبى على السجّاد، ولا يجوز وضع التربة، ولا يجب عليه اختيار المكان الموجود فيه حجر للصلاة، ولا يجب عليه أيضاً أن يأخذ معه حصيراً ونحوه، ولكن إن روعى ذلك بحيث لا يوجب الوهن، وأخذ معه حصيراً للصلاة وصلّى عليها بحيث يكون ذلك متعارفاً عليه عند سائر المسلمين فلا إشكال، لكن يؤكّد الاجتناب عن كلّ عمل يوجب الهتك والشهرة.

وأجاب عن السؤال التالى أيضاً:

هل يجوز بعد الإنتهاء من صلاة الجماعة فى مسجد النبى السجود على سجّاد المسجد، أم يجب الذهاب إلى حيث يوجد حجر والصلاة عليه؟

فقال رحمه الله: لا يجب إختيار مكان يوجد فيه حجر.

۵- عدم لزوم مراعاة مكة القديمة:

ومن فتاواه الميسّرة فى مكة هو عدم وجوب مراعاة مكة القديمة لمسائل منها الإستظلال محرماً إلى المسجد الحرام وركوبه السيارات المسقفة وغير ذلك كما سيأتى، فعلى حسب رأى الإمام رحمه الله أنّ المحرم لو نزل مكة وإن كان البيت الذى نزل فيه بعيداً عن المسجد الحرام، فبما أنه يصدق أنه مكة ومن بيوت مكة، فلا بأس بالاستظلال منها نهاراً إلى المسجد الحرام، وهذه الفتوى فى مقابل من احتاط بدخول المحرم من مكة القديمة ومن ذلك المكان، لا بأس بالاستظلال إذا اتجه إلى المسجد الحرام لأداء المناسك وإتيان العمرة. وإليك

ص: ۵۸

بعض فتاواه:

أ- جواز الاستظلال من منزله وإن كان بعيداً:

قال الإمام رحمه الله: بعد وصول المحرم إلى المنزل ولو إلى الأماكن الجديدة فى مكة البعيدة عن المسجد الحرام، يجوز الذهاب منها إلى المسجد بسيارة مسقوفة كما يجوز الاستظلال.

ب- جواز الاستظلال من التنعيم إلى مكة

وهكذا أفتى بجواز الاستظلال من التنعيم إلى مكة لو أحرم منها وأراد الاستظلال، أو أراد أن يركب السيارات المسقفة للذهاب إلى المسجد الحرام.

وأجاب عن سؤال السائل: ما حكم الاستظلال لمن أحرم فى التنعيم؟

قال: حيث إنّ التنعيم جزء من مكة ومكة منزل من المنازل، فلا مانع من الاستظلال فى فرض السؤال.

وأجاب عن السؤال التالى: ميقات العمرة المفردة مكة، فهل يستطيع من أحرم فيها لعمرة مفردة أن يركب سيارة مسقوفة أم لا مع الالتفات إلى أن مكة محل سكنه؟

الجواب: لا مانع منه فى الفرض المذكور.

ج- جواز إحرام الحج من كل مكان يصدق عليه مكة:

قال فى مناسكه: محل الإحرام للحج مدينة مكة فى أى موضع منها حتى الأمكنة الجديدة.

وأجاب عن هذا السؤال بأنّ: هناك أماكن جديدة مستحدثة فى مكة تبتعد عن المسجد الحرام أكثر من ۱۸ كيلومتراً، ولعلّها عرفاً من توابع مكة دون أن تكون من مكة؛ لأنهم عندما يضعون اللافتات يحدّدون فيها أين تبدأ مكة، فهل يمكن الإحرام فى تلك الأماكن؟

الجواب: إن كانت من محلّات مكة فلا مانع، وإن لم تكن أو شكّ فى كونها كذلك فلا يصح.

وسُئل أيضاً أنه: تحيط بمكة عدّة جبال شاهقة ومرتفعة وقد بنى على طرفى الجبل، فأحياناً يحتاج الذاهب من أحد الجانبين إلى الآخر لاجتياز عدّة كيلومترات، علماً بأن سكان أحد الجانبين منفصلون عن الجانب الآخر

ص: ۵۹

مثل شعب بنى عامر القريبة من المسجد الحرام والعزيزية التى هى فى الجانب الآخر على بُعد ۹ كيلومترات أو أكثر، لكن حسب المسافة العرفية يقال لجميع هذه النقاط مكة، فهل يصح الإحرام لحج التمتع من هذه النقاط وشبهها أم لا؟

الجواب: إن كانت من مكة صحّ الإحرام منها للحجّ، وإن كانت الأبنية حديثة البناء.

۶- جواز الاستظلال فى الليل

وأفتى سماحته بجواز الاستظلال ليلًا لمن أراد السير من مسجد الشجرة أو الجحفة فى حال الإحرام إلى مكة فى مقابل من قال بالاحتياط الوجوبى فى ذلك.

فقال: يجوز الاستظلال فى الليل، فيجوزللمحرم الذهاب إلى مكة بسيارة مسقوفة فى الليل لكن لا يجوز فى النهار، وإن كان هناك كثافة غيوم، إلّا إذا كانت هناك ظلمة بحيث لا يصدق الاستظلال.

۷- عدم لزوم إعادة الأعمال لثلاث طوائف لو انكشف الخلاف:

وقال عند البحث عن جواز تقديم أربع طوائف المناسك الخمسة الباقية بعد أيام التشريق من الطواف وصلاته والسعى وطواف النساء.

المسألة ۳: لا يجوز تقديم المناسك الخمسة المتقدّمة على الوقوف بعرفات والمشعر ومناسك منى اختياراً ويجوز التقديم لطوائف:

الأولى: النساء إذا خفن عروض الحيض أو النفاس عليهنّ بعد الرجوع ولم تتمكّن من البقاء إلى الطهر.

الثانية: الرجال والنساء إذا عجزوا عن الطواف بعد الرجوع لكثرة الزحام، أو عجزوا عن الرجوع إلى مكة.

الثالثة: المرضى إذا عجزوا عن الطواف بعد الرجوع للازدحام أو خافوا منه.

الرابعة: من يعلم أنه لا يتمكن من الأعمال إلى آخر ذى الحجّة.

مسألة ۴: لو انكشف الخلاف فيما عدا الأخيرة من الطوائف، كما لو لم يتفق الحيض والنفاس أو سلم المريض، أو لم يكن الازدحام بما يخاف منه، لا تجب عليهم إعادة مناسكهم وإن كان أحوط.

ص: ۶۰

۸- من خالف الترتيب يوم العيد سهواً أو جهلًا:

لا ـ يخفى أنّ على الحاج فى يوم العيد ثلاثة أعمال: الرمى والهدى والحلق أو التقصير، فيجب عليه أن يأتى بهذه الأعمال بالترتيب المذكور، فلو قدم كلًّا من الحلق والهدى على الرمى عمداً، يجب عليه الإعادة بنحو الترتيب المذكور إلّاالساهى والجاهل على فتوى الإمام رحمه الله فإنه لا يجب عليه إعادة الأعمال للحصول على الترتيب المذكور.

قال الإمام الخمينى رحمه الله: الأحوط تأخير الحلق والتقصير عن الذبح وهو عن الرمى، فلو خالف الترتيب سهواً لا ـ تجب الإعادة لتحصيله، ولا يبعد إلحاق الجاهل بالساهى.

۹- جواز الرمى من الطابق الأعلى:

ومن فتاواه الميسّرة فى الحج أنه أفتى بجواز الرمى من الطابق الأعلى بخلاف من احتاط فى ذلك، وقال: يجوز الرمى فى الطابق الثانى للجمار، ولا يجب الرمى فى الطابق الأوّل.

۱۰- جواز الحلق فى الليل:

وقال رحمه الله فى المسائل المتفرّقة فى الحلق فى المسألة الثانية:

والحلق فى الليل صحيح أيضاً ومجزٍ.

۱۱- كفاية الذبح فى الليل:

وأفتى أيضاً بكفاية الذبح فى الليل فى مقابل من احتاط أو قال بعدم الإجزاء، فقال فى المسائل المتفرّقة فى الهدى فى المسألة الخامسة:

لا يجوز تأخير الذبح عن يوم العيد عمداً على الأحوط، لكن لو أخّر عمداً أو جهلًا أو نسياناً يكفى الذبح فى الليل.

۱۲- كفاية الذبح فى المسلخ الجديد:

قال رحمه الله: يقال: إنّ المسلخ الفعلى قد أخذ شيئاً من وادى محسر، وفى هذه الحال ليكن الذبح فى منى إن أمكن ولو بالتأخير إلى آخر ذى الحجّة، لكن الذبح فى المسلخ الجديد مجزٍ.

۱۳- كفاية صلاة الملحون لمن لا يقدر على التصحيح:

وأفتى الإمام أيضاً بكفاية صلاة الطواف للذى حاول على تصحيح صلاته، أو ضاق الوقت ولم يقدر على

ص: ۶۱

إتيان الصلاة الصحيحة من حيث القراءة فإنّه قال بكفاية صلاة الملحون ولم يحتط كما احتاط الآخرون من إتيان الصلاة جماعة، أو من يصلّى عنه نيابة وأنه وإن احتاط فى صورة الإمكان لتلقين هذا الشخص هذه الصلاة أو الاقتداء بشخص عادل، ولكن صرّح بأنه لا يكتفى به ولا- بالنائب، ويجب عليه إتيان الصلاة بنفسه بأى صورة أمكن. فقال: لو لم يتمكّن من القراءة الصحيحة ولم يتمكّن من التعلّم، صلّى بما أمكنه وصحّت ولو أمكن تلقينه فالأحوط ذلك، والأحوط الاقتداء بشخص عادل، لكن لا يكتفى به كما لا يكتفى بالنائب.

۱۴- كفاية طواف نساء واحد عن عمرات متعدّدة:

وأفتى أيضاً بكفاية طواف نساء واحد عن عمرات متعدّدة فى مقابل من احتاط بعدم كفاية طواف نساء واحد وقال: لكلّ عمرة طواف نساء.

وقال: إذا أتى الشخص بعدّة عمرات مفردة، لكن من دون طواف النساء يكفىعن الجميع طواف نساء واحد.

۱۵- عدم وجوب الرجوع إلى منى لمن خرج قبل الزوال وإن عصى:

وأفتى أيضاً بعدم وجوب رجوع الحاج إلى منى للنفر فى اليوم الثانى عشر بعد الزوال لمن خرج من منى قبل الزوال، وإن عصى بخروجه قبل الزوال.

فى قبال من احتاط لذلك وقال برجوعه ليصدق النفر.

قال رحمه الله: إذا أتى الحاج إلى مكة قبل الزوال لا يجب عليه العود إلى منى للنفر بعد الظهر، وإن كان لا يجوز له الذهاب إلى مكة قبل الزوال.

۱۶- جواز خروج من لم يأتِ بأعمال مكة:

وأفتى أيضاً بجواز خروج من فرغ من أعمال منى ولم يأتِ بعد، بأعمال من بعد منى، أن يخرج من مكة ويرجع متى شاء ويأتى بأعمال مكة، وله أن يؤخّر الأعمال إلى آخر ذىالحجّة.

فقال فى جواب السائل: هل يمكن الخروج من مكة بعد الإتيان بأعمال منى وقبل الإتيان بأعمال مكة؟

فأجاب رحمه الله أنه: لا مانع فيه.

ص: ۶۲

۱۷- عدم وجوب تثليث الهدى:

ومن فتاواه الميسرة فى هذا المجال عدم إلزام تقسيم الهدى إلى ثلاثة أقسام، كما ألزمه بعض ولو بنحو الاحتياط.

فقال رحمه الله: لا يجب تقسيم الهدى ثلاثة أقسام وبيع حصّة الفقير أو هبتها قبل الذبح وبدون القبض باطل، وعليه فما يقوم به البعض إذ يدعون الفقراء أو الوكالة عن فقير ويبيعون ثلث الفقير من الذبيحة للحاج أو يهبونه إيّاه غير صحيح.

كان هذا عرضاً موجزاً لبعض الفتاوى الفقهية الميسّرة للإمام رحمه الله فى الحج، ومن أراد أكثر من ذلك فعليه بالمناسك وسائر الاستفتاءات المخصّصة بذلك.

الهوامش:

ص: ۶۳

ص: ۶۴

الابداع السياسى عند الامام الخمينى (قدس سرّه)

الابداع السياسى عند الامام الخمينى قدس سره

الابداع السياسى عند الامام الخمينى قدس سره

خضير جعفر

الفرادة التاريخية التى اتسمت بها شخصية الإمام الخمينى قدس سره صيّرت منه رجلًا استثنائياً بكلّ ما تحمل الكلمة من معان فرضت نفسها على الواقع، الذى أطلّ عليه الإمام رضى الله عنه ليهبه من روحه ما لوّن به وجه الحياة وألبسها من برود الثورة وأردية الثوار أكاليل فخار سوف تظل معالم مجدها تحكى قصة الثورة الاسلامية، التى فجرها الخمينى الخالد فى عصر جديب راهن فيه الكثيرون على استحالة عودة الاسلام الى صلب الحياة برنامج عمل ونظام حكم ومنهج حياة، وإلى الحد الذى كان يتراءى للمحلّلين السياسيين أنّ هذا الثائر المارد لا يمكن إلّاأن يكون أحد الساسة اليساريين، وإلّا كيف يمكن لعالم دين يناهز السبعين عاماً أن ينطلق فى نهايات القرن العشرين من خارج اللعبة الدولية؛ ليؤسس نظاماً إسلامياً فى منطقة امتيازات استراتيجية لا يمكن أن تغفل الدول الكبرى عنها لتنتصب بؤرة ثورة ومثابة ثوار يتبنون الاسلام فكراً وعقيدة ونظاماً، ولذلك جاءت الثورة الاسلامية مباغتة للعالم الذى صحا فى الحادى عشر من شباط ۱۹۷۹ م على صوت زلزال هزّ العالم.

ص: ۶۵

وكما حيّر الخمينى العظيم دهاقنة السياسة وأساطينها عند انتصاره، فقد حيّرهم أيضاً أداؤه السياسى بعد الانتصار حينما قلب الطاولة على رؤوس المنظّرين السياسيين وأثبت بطلان مقولاتهم، فظلّوا أمام إبداعاته مبهورين، قد سمّرت عمامته السوداء أبصارهم، وهم فى حالة ذهول لا يدرون ماذا تخفى تلك العمامة من أفكار فى رأس رجل أبى إلّاأن يتمرد على الدنيا، ويلوى أذرع الممسكين بأسباب القوة فيها؛ ليعلن عندها قانون (عجز القوة المادية) عن قهر إرادة الشعوب وقادتها الأحرار الكبار.

فلقد كانت ولادة الثورة الاسلامية بقيادة ربّان سفينها الامام الخمينى ولادة قيصرية عسيرة راهن الكثيرون على إمكانية إجهاضها من قبل القوى الكبرى، التى لا يروق لها ولادة ثورة خارج رحم اللعبة الدولية فى عالمنا الاسلامى، لكن الخمينى العظيم الذى أصرّ على الإبحار باتجاه معاكس لمجارى المياه الاستكبارية وتياراتها الجارفة كان مع النصر على موعد قد آمن به من الأعماق معتمداً على الأمل بنصر اللَّه ومتوكئاً على الثقة التى منحتها له الجماهير.

فانطلق الإمام عملاقاً مارداً لا يعرف التوقف ولا الالتفات الى الوراء؛ ولذلك تميّز بصلابة المواقف رافضاً أنصاف الحلول أو الهدنة المؤقتة رغم علمه بفداحة الخسائر، وأنهار الدماء التى سالت فى شوارع طهران والمدن الايرانية الأخرى، وكأنه يعلم أنّ شجرة الثورة عطشى لتلك الدماء النازفة، ولا يمكن أن يتوقف النزف إلّاعند الانتصار، أو كأن شجرة الثورة لا يمكن أن تثمر نصراً حتى ترتوى؛ ولذلك كلما أصرّ شاه ايران على تصفية الحساب مع الشارع الثائر بالمزيد من الرصاص والموت والدماء أصرّ الخمينى على المواجهة ومهما كانت التضحيات الى أن أبطل نظريّة الحكم الشاهنشاهى القائمة على القمع والمراهنة على العنف، فسقطالشاه بسقوط تلك النظرية، التى لم‌تقوَ على مقاومة تيار الثورة الهادر والمصمم على مواصلة الدرب حتى النهاية. عندها لم يجد الشاه مخرجاً من هذا النفق

ص: ۶۶

المسدود غير التوجه الى مطار مهرآباد ليترك إيران فارّاً بجلده غير مأسوف عليه.

وما إن انتهت ملحمة المواجهة الخمينية مع قوات الشاه، إلّالتبدأ مرحلة ثانية فى مواجهة واجهة أخرى من صنائع الشاه من عسكريين مغامرين ومدنيين طامحين فى السلطة، لكن الإمام ظلّ مصرّاً على المواجهة حتى أسقط من خلّفهم الشاه بطهران فسقطوا واحداً تلو الآخر؛ ليعلن عندها بثقة واطمئنان كلمته الشهيرة فى مقبرة (جنة الزهراء) بطهران: (أنا الذى سأعيّن الحكومة).

وما إن أعلن الحكومة المؤقتة حتى التفت الى الجماهير ليستفتيها فى نوع الحكم الذى تريد محدداً خياراتها بين أمرين: نعم للجمهورية الاسلامية أم لا.

فجاءت النتائج لتقول (نعم) وبنسبة تناهز الإجماع؛ ليثبّت بذلك حجر الزاوية للنظام الاسلامى، وليؤسس عليه دستور البلاد، فيقطع الطريق على كلّ محاولات الالتفاف المستقبلية، التى ربما يسعى لها الذين فى قلوبهم مرض يوماً ما، وليظل ذلك التصويت الجماهيرى وذلك الدستور صمام أمان وضمانة كبرى لديمومة الحكم الاسلامى الذى اختارته الأمة وصوّتت لصالحه الجماهير المسلمة، ومن هنا يمكن القول: إنّ الإمام الخمينى قد قسّم التاريخ المعاصر الى حقبتين: حقبة ما قبل الخمينى وحقبة ما بعده، وإذا ما كانت الحقبة الأولى قد تميّزت بالهيمنة الاستكبارية والتفرعن الطاغوتى فى مقابل الانسحاق والشعور بالتبعية من قبل المسلمين، وإذا ما اتسمت الحقبة الأولى أيضاً بالاستئثار؛ الاستكبارى والاستهتار؛ ليشعر معها المسلمون بالتهميش والإلغاء والمصادرة والحيف، فإنّ حقبة ما بعد الخمينى قد غيّرت المعادلة لصالح الاسلام والمسلمين، وحوّلتهم من مواقع الهزيمة الى خنادق المقاومة، ومن مواضع الإنزواء والإنكفاء الى خطوط التحدى والتصدى، بل ومن مواضع الدفاع الى مواقع الهجوم، وبذلك صيّر الإمام الخمينى من الأرقام المهمشة للجماهير رقماً صعباً يستعصى على الإلغاء والشطب والتغييب فى كلّ المعادلات السياسية، وكان رهان الإمام فى منازلته مع الحكم

ص: ۶۷

الطاغوتى على الأمة وحركتها ومقاومتها وتضحياتها، رافضاً ما تعارف عليه ثوار العالم الثالث من منطق الانقلابات العسكرية، التى لا دور فيها للجماهير إلّا الاستماع الى الراديو والتلفزيون، وهما يعلنان البيان الأول للثورة، وعندها تتساءل الجماهير عن هوية الثورة وقادتها الذين يمتطون ظهور الدبابات ويعلنون حالة الطوارئ ومنع التجول الى إشعار آخر. فى حين تحرك الإمام الخمينى من وسط الجماهير وقادها لمواجهة الدبابات والقوات العسكرية، التى عجزت عن مواجهة الشارع حتى أذعنت لصموده وإصراره بعد حين.

عناصر القوة فى قيادة الإمام

يمكن إجمال عناصر القوة فى قيادة الخمينى للشارع الايرانى بما يلى:

۱- الشخصية الفذة للامام، التى امتلكت من قوة الايمان باللّه والثقة بالجماهير والوضوح فى الرؤية والفهم الواعى للواقع ما مكّنها من خوض معتركات الجهاد وسوح المنازلة دون تردد، غير هيابٍ مما لدى السلطة من وسائل ردع وأسباب قوة ودعم خارجى ووسائل إعلام قادرة على تزييف الحقائق وتضليل الجماهير.

۲- قدرة الإمام الخمينى على ربط الشارع بالشريعة، وتبنى الطرح الاسلامى حلّاً لمشكلات الحياة والمجتمع، وبذلك استطاع الإمام أن ينفذ الى عمق الانسان ويوظف كلّ قدراته فى هذا الاتجاه، ومن هنا فإنّ الإمام الخمينى تمكّن من أسلمة الصراع وإضفاء الطابع العقائدى والايديولوجى على حركته المباركة فتعامل الجمهور معها على أنّها تكليف شرعى يتطلب بذل المال والجهد والروح دونما منّة أو استكثار، وبذلك لم يُمنِّ الإمام أتباعه بمصالح دنيوية ومكاسب مادية، وإنما وضع مفهوم رضا اللّه نصب أعين جمهوره، وصيّر من ثقافة الاستشهاد فى سبيل اللّه منبعاً متدفقاً بالعطاء لا- يطاله الجدب ولا يخشى عليه الجفاف، ولذلك اندفع الشارع الايرانى باستبسال نحو فوهات المدافع والرشاشات والدبابات حتى إذا ما سقط شهيد برصاص قوات الشاه تدافع الجمهور على حمله وتشييعه وهم

ص: ۶۸

يصبغون أيديهم وثيابهم بدمه، عندها أدرك الشعب أنّ من يطلب الموت ستوهب له الحياة، كما أدرك الشاه أنّ المستميت لا يموت؛ ولذلك صار المواطن العادى يقع على الموت وهو يبحث عنه ولا ينتظر الموت لكى يقع عليه.

۳- اعتماد الإمام الخمينى على الامكانات الذاتية، ولم يفكر- مجرّد تفكير- بالاتكاء على الغير، فقد رفض الارتباط بأية قوة أجنبية، وتوجه للجمهور الذى لم يبخل على قائده بالغالى والنفيس فأعطاه من المال ما موّن الثورة بأسباب الديمومة والتصعيد، ومن الجهد ما دوّخ به النظام وأجهزته الأمنية، التى عجزت عن إيقاف عملية الثورة أو تعطيلها كما قدّم أنهار الدماء؛ ليصيّر منها زيتاً يتوقد بوعى وإيثار كى لا تنطفئ شعلة الثورة الوهاجة النيّرة.

إنّ الإمام الخمينى لم يكن يرى ضرورة للاعتماد على أية قوة خارجية، بل كان يرى فى ذلك خطراً على الثورة ومستقبلها خاصة وأن القوى الداعمة لأية ثورة لا يمكن أن تدعمها حُبّاً فى سواد عيون الثوار، وإنّما كان لها مصالحها وحساباتها، التى قد تتقاطع مع مصالح الثورة وطموحات جماهيرها، هذا فضلًا عن تشخيص الإمام بأنّ عالمنا المادى لا وجود فيه لقوة يمكن أن تناصر الاسلام وقيمه الخيرة وجماهيره الثائرة؛ ولذلك قطع الطريق على من كان يفكر بمدّ جسور التفاهم مع الآخرين لدعم الثورة، وبذلك تمكن من قطع الأيدى الخارجية عن التدخل بالثورة، وشؤونها، فحفظ للثورة أجيالها، ومنحها فضيلة الاعتماد على النفس والاكتفاء الذاتى، فعزّز قوتها وضمن ديمومة حركتها وسلامة خطّها من الانحراف، وقد انطلق الإمام فى هذا النهج من خلال رؤية قد تفرّد بها فى تقسيم العالم الى معسكرين:

أولهما: معسكر المستكبرين الذى يضم القوى الكبرى وعملاءها المحليين الذين تعاقدوا مع أسيادهم الكبار على خدمة مصالحهم فى المنطقة وحراستها حتّى لو اقتضى ذلك قمع شعوبهم واضطهادها ونهب خيرات بلدانهم وتسليمها للأجانب

ص: ۶۹

أولياء نعمة العملاء المتحكمين فى رقاب شعوبهم بقوة الحديد والنار.

وثانيهما: معسكر المستضعفين، والذى يضمّ كلّ ضحايا القمع والاضطهاد من شعوب الأرض المغلوب على أمرها والتواقة للتحرر والانعتاق، ووفق هذه الرؤية الموضوعية الجديدة يكون الإمام الخمينى قد صنّف الواقع السياسى بدقة لينحاز بشكل طبيعى للمعسكر الثانى، الذى لم يجد معه المستضعفون خياراً غير الانتماء لخط الإمام ومناصرته.

أمّا القوى الكبرى فلأنها متورطة بالأساس فى قمع الشعوب وقهرها؛ ولذلك لا يرى الإمام الخمينى فى الاتكاء عليها أو التعاون معها إلّاعملية تكريس للقمع والقهر والاضطهاد، ولا يمكن للمستكبرين أن يكونوا أنصاراً للثوار والأحرار والمستضعفين حينما يتورون على القهر ويتمردون على الطغيان، ولذلك لم يجد ضرورة ولا مبرراً للاعتماد على القوى الأجنبية ودعمها للثورة والثوار.

۴- مصادرة الإمام لكلّ الشعارات، التى طرحتها القوى السياسية إبّان الثورة رغم راديكاليتها، وبذلك استقطب اهتمامات الشارع الايرانى، الذى وجد فى نهج الإمام صلابة الموقف وأصالة التفكير والرؤية الواضحة للأهداف، وبالتالى لم تملك القوى السياسية غير خيار المتابعة واللحوق بركب الخط الخمينى المتسارع الخطى، كما فوّت الفرصة على الذين كانت أنفسهم تحدّثهم بالمرونة وترحيل المطالب والرضا ببعضها، وتأجيل البعض الآخر منها لوقتٍ قد يحين فيما بعد، فى حين كان الإمام الخمينى يرى أنّ الثمرة الناضجة قد حان قطافها، وأنّ التراخى فى حسم الموقف هو ضياع للفرص، ومنح النظام الطاغوتى مجالًا لترتيب اوضاعه المنهارة وإعطاؤه فرصة مثالية لإعادة تنظيم قواه، ومن ثم الإجهاز على الثورة وتشتيت قواها.

۵- استحضار الإمام الخمينى للرمز الاسلامى الأمثل، الذى يشكل فى وعى الجماهير، وفى عمق تفكيرها النموذج الاسلامى الجدير بالاقتداء به، فكانت

ص: ۷۰

شخصية الرسول صلى الله عليه و آله وحكومة الإمام على وعدله، وتضحيات الإمام الحسين وصحبه، ومواقف الزهراء البتول وجهادها حاضرةً فى ميدان المواجهة وشاخصةً فى الذاكرة. ولم يترك الامام الخمينى فرصةً إلّاويذكّر الأمة بمواقف هذه الشخصيات العظيمة، ودورها فى معركة الحق ضد الباطل، وبذلك يكون الإمام قد قفز بأفكار الجماهير وعنفوانها الثورى الى القمة، وهى ترى نفسها على نفس الخط الذى سار عليه النبىّ وأهل بيته الكرام عليهم السلام. مما موّن النهضة الخمينية بزخم ثورى هائل لا يمكن توفيره دون استحضار تلك القمم الشامخة، واستذكار مواقفها التاريخية الرائعة.

۶- التنظيم الهرمى للثورة الذى اعتمده الإمام الخمينى كان له أكبر الأثر فى ربط مفاصل التحرك الجماهيرى، حيث تربّع الإمام على قمة الهرم وأشرف عليه بشكل مباشر من خلال دائرة الخبراء والمقربين من أنصاره ومؤيديه من رجال الثورة وعلماء الحوزة العلمية، الذين شكلوا الدائرة الأقرب للإمام، والذين ارتبطوا بوكلاء السيد الإمام فى كلّ المدن والقرى الايرانية، والذين كان لهم تماس يومى مع الجماهير هناك، وبذلك التنظيم أوجد الإمام عملية ارتباط مباشرة ومتبادلة بينه وبين الجماهير من خلال النسغ النازل، الذى كانت تمثله تعاليم الإمام للجماهير وتوجيهاته لها سواء عبر النقل الشفوى أو التحريرى أو الصوتى المباشر من خلال (الكاسيت) فكانت تعاليمه رضوان اللّه عليه تصل إلى أقصى نقطة فى ايران بوقتٍ قياسى، بينما تواصل النسغ الصاعد من القاعدة الجماهيرية الى الإمام القائد من خلال قنوات التوصيل، التى وفّرها هذا التنظيم الهرمى المتماسك، وبذلك كان الإمام على بيّنة من نبض الشارع وأحاسيسه ومشكلات الثورة وإنجازاتها وهمومها واهتماماتها.

أما الجماهير التى تتابع حركة الإمام وتنفّذ قراراته فقد كانت تدرك أيضاً متابعة الإمام لحركتها، وبالتالى فقد أدى هذا التواصل الى تعميق الصلة بين

ص: ۷۱

الجماهير والقيادة، واختزل بينهما المسافات والفواصل، وصيّر من قرارات الإمام وتوصياته مواقف ميدانية تلامس الواقع وتساير ايقاعاته عن كثب.

۷- الروح الاستيعابية للإمام جسدت مقولة السياسيين وهم يعرّفون السياسة بأنها فنّ الممكنات فى إدارة التناقضات، فقد تمكّن الإمام الخمينى من ادارة الثورة واستيعاب كل مفردات التحرّك من خلال انفتاحه الايجابى على كلّ الممكنات تاركاً لنقاط الاختلاف مجالها النظرى خارج إطار حركة الثورة المتفاعلة ميدانياً وفقاً للأهداف الستراتيجية المشتركة، وبذلك استطاع الامام أن يستقطب أقصى اليمين وأقصى اليسار، ويصب جهود الجميع فى بحر الثورة الذى أتسع أُفقه ليشمل كلّ أعداء السلطة، وبغض النظر عن نقاط الاختلاف بين تلك الفصائل، وبذلك جمع كلّ الطاقات وصبّها فى الاتجاه الصحيح، وجنّب الثورة كلّ الصراعات الداخليّة والنزاعات الهامشية التى لا تخدم إلّاالعدو المشترك. كما قرر الإمام عدم الدخول فى صراع مع أولئك الذين وقفوا ضده، ولم يترددوا فى استخدام كلّ الأسلحة لمواجهته، وجرّ الثورة الى صراعات داخلية غير مبررة، وبذلك قضى الإمام بصمت على خصومه الذين أزاحتهم جرافات الثورة عن الطريق، ورمى بهم تيار الوعى خارج دائرة الأحداث، فلا تسمع لهم إلّاهمساً سرعان ما خفتت أصواته عندما لم تجد لها أذناً صاغية بين أبناء الشعب.

۸- نظرية ولاية الفقيه التى اعتمدها الإمام الخمينى أساساً لحركته ومنطلقاً لثورته، ومن ثم اعتبارها الركيزة الكبرى للنظام السياسى الاسلامى والتى تمثل ركناً أساسياً يقوم عليه الحكم الاسلامى فى إيران، هى النظرية التى جنّبت تطبيقاتها النظام الاسلامى الكثير من المطبّات، وشكّلت ضمانة كبرى لسلامة الوطن من التشرذم والتمزق والانقسام، خاصة وأنّ القوى الاسلامية جميعها تؤمن بهذه النظرية، وترى فى الولى الفقيه مرجعية سياسية ودينية يحتكم إليها فى حالة بروز أى خلاف، ويؤخذ برأيها عند كلّ تقاطع، وتمارس الإشراف على مجمل

ص: ۷۲

السياسة العامة وخطوطها الكلية.

وبالرغم من المكانة المهمة للولى الفقيه فى النظام الاسلامى، إلّاأنّ الإمام أصرّ على ضرورة الرجوع الى رأى الأمة فى اختيار الشخصية المؤهلة لمثل هذا الموقع الحساس، فكان انتخاب مجلس الخبراء من قبل الشعب تصويتاً شعبياً على الولى الفقيه، الذى أعطى المجلس صلاحيات اختياره وعزله بوصفه ممثلًا لإرادة الشعب واختياراته.

۹- الرؤية الاسلامية الأصيلة للإمام قد أمدّت الثورة برصيد إسلامى وانسانى هائل حينما طرح الاسلام مشروعاً حضارياً لقيادة الحياة متجاوزاً كلّ الأطر القوميّة والاقليمية وهو يصرخ بأنّ (وطننا هو الاسلام وليس البصرة أو الشام) ولذلك انطلق من هذا الفهم لمناصرة الشعوب وقضاياها العادلة سواء فى العراق أو فلسطين أو كشمير أو لبنان وغيرها، بل تجاوز ذلك الى ما هو أكثر بعداً حيث يخاطب مستضعفى العالم وأبناء الشعوب المقهورة وهو يدعوها الى الثورة والتحرر ويمدّ يده اليها دون أن يعير أى اهتمام لردود فعل القوى الاستكبارية، التى ترى فى مشروع تصدير الثورة خطراً حقيقياً على مصالحها وامتيازاتها وأطماعها الاستعمارية مما أكسب الإمام الخمينى رصيداً بشرياً هائلًا غيّر الكثير من معادلات السياسة وحسابات السياسيين، الذين هرعوا لمحاصرة الثورة الاسلامية والوقوف بوجه أعاصيرها الهادرة، ولم يدّخروا وسعاً فى محاربتها وتشويه سمعتها والقضاء عليها، لكن إرادة اللّه ووعى الجماهير وإيمانها بالثورة والاسلام كان أكبر من كلّ كيد وعدوان؛ ولذلك سقطت المؤامرات كلّها، وبقيت الثورة رقماً صعباً وواقعاً يفرض نفسه على الدنيا بأسرها شاء من شاء وأبى من أبى.

۱۰- شكّلت القراءة الجديدة الواعية لمفهوم الحجّ إحدى أهمّ تجلّيات الإبداع السياسى لدى الإمام الخمينى قدس سره مع الإصرار على ضرورة الاحتفاظ بالأطر التعبّدية لهذه الفريضة المقدّسة، الأمر الذى جمع بين قداسة الحجّ من جهة

ص: ۷۳

والتعاطى مع الواقع الجديد بكلّ ما فيه من معطيات وتداعيات ومتغيّرات من جهة أخرى، وهو ما أضفى على هذه الشعيرة بعداً سياسياً قد غُيّب عنها زمناً ليس بالقصير، لكن مبادرة الإمام الخمينى انطلقت هادفةً لكى يعود الحجّ حجّاً إبراهيمياً يستوعب مفهوم قياماً للنّاس و مثابةً و أمناً ويتعاطى هذا الفهم القديم الجديد مع واقع الأمّة الإسلاميّة التى دبّت فى أوصالها عافية الوعى وحيويّة الإحساس بالعزّة والكرامة فى ظلال حضارة الإسلام المنقذة.

ولذلك جاءت المبادرة الخميّنيّة ومعها كلّ أسباب نجاحها، الأمر الذى عضد من أواصر الترابط بين حجاج بيت اللّه الحرام ومتّن عرى التواصل بينهم من خلال الشعور المشترك بضرورة تحويل موسم الحجّ المبارك إلى مؤتمر شعبى تتلاقح فى أجوائه الرؤى والآمال المشتركة للمسلمين كافّة.

لذلك تحوّلت مسيرة البراءة من المشركين إلى ظاهرة سياسيّة مثيرة للاهتمام والاحترام بقدر ما هى مثيرة أيضاً للهواجس والجدل والخصام، وظلّت الشعارات المطروحة فى تلك المسيرة تمتلأ نضجاً سياسياً يغلق الطريق على كلّ أولئك الذين لا يروق لهم أن يتحوّل الحج المبارك إلى مدرسة وعى، وحلقة تواصل بين عموم المسلمين من خلال ممثّليهم الذين كتب اللّه لهم أن يكونوا ضيوفه فى الديار المقدّسة وفى أيّام معلومات، فجاءت تلك الشعارات المركزيّة مدروسة واعية ومعبرة عن الشعور بالكراهيّة للاستكبار العالمى من خلال شعار (الموت لأمريكا) وهو شعار لا يختلف على أهمّيته وجدواه مسلمان.

كما جاءت تحكى رغبة اسلاميّة عارمة من خلال تصعيد وتائر الكراهيّة للصهيونيّة العالميّة وكيانها الغاصب، ثمّ التشديد على ضرورة قيام الوحدة الإسلاميّة التى تمثل رغبة شعبيّة شاملة عبر شعار مركزى جادّ تهتف به الجماهير بحماس (يا أيّها المسلمون اتّحدوا اتّحدوا).

وقد شهدت شعاب مكّة وشوارعها حضوراً إسلامياً واسعاً اصطفّ فيه

ص: ۷۴

الطيف الإسلامى الملوّن من شرق الأرض وغربها هاتفاً بهذه الشعارات متبنياً لها مشيراً بضرورة العمل وفق سياقاتها، لكن تفجير هذا الوعى الشعبى فى مثل هذا المكان المقدّس والزمان المطلوب أرعب أطرافاً دوليّة وإقليميّة واستفزّها، فأبت إلا مواجهة الجماهير الملبّية لدعوة اللَّه سبحانه، وحالت دون سريان هذا الطوفان البشرى الواعد المتوعّد، وقد جسّدت هذه المواجهة أهمّية وخطورة المبادرة الخمينيّة الرائدة، إذ لو كانت حدثاً عابراً لما أثارت اهتمام أحد، لكن عمق مضامينها وسرعة الاستجابة لها وسعة مدياتها التى ملأ أجواءها الحماس، أفقدت صواب المتوجسين خيفةً منها، فأقدموا على المواجهة التى خسروا معها المصداقيّة، وأعانوا على أنفسهم فى فهم هويّتهم وتوجّهاتهم ونواياهم المبيّتة التى كاد الإعلام المضلّل أن يغطّى عليها، لكن الإمام الخمينى كان قد سلط عليها الأضواء الكاشفة فانجلت غبرة التضليل عن وقائع وحقائق ستظلّ تلاحق أعداء الوعى إلى أمد بعيد.

۱۱- مثل الإمام الخمينى النموذج الأمثل والقدوة الصالحة للأمة حينما وجدته خلال عقود جهاده سواء قبل انتصار الثورة الاسلامية أو بعدها رجلًا كامل الإيمان، لا يخشى أحداً غير اللَّه حيث عظم الخالق فى نفسه فصغر ما دونه فى عينه؛ ولذلك نازل الكبار واستخفّ بقدراتهم وتحداهم، وكأنه قوة كبرى قادرة على مواجهة الاستكبار كلّه.

فلقد عرفت الجماهير قائدها إنساناً يعيش للإسلام، ويضحى بوجوده من أجله، وظل مع الفقراء والمحرومين يعيش كما يعيشون ويحيى كما يحيون، رحل من الدنيا ولم يترك فيها داراً ولا عقاراً ولا ادخاراً؛ ولذلك ظلّ رمزاً للثورة وبقى سلوكه معياراً للثوار.

المصطلح السياسى عند الامام الخمينى

تفرد الإمام الخمينى فى الكثير من آرائه السياسية؛ ولذلك لا يمكن لأىّ من

ص: ۷۵

المحللين السياسيين أن يعتبره منتمياً لمدرسة سياسية معينة، وإنما أرسى بنفسه قواعد مدرسة سياسية جديدة يمكن أن نطلق عليها اسم (المدرسة الخمينيّة) التى اعتمدت الاسلام فكراً والقرآن دليلًا فى التنظير السياسى، ولذلك حينما نلقى حزمة ضوء على المصطلح السياسى عند الإمام الخمينى فإنّما نحاول من خلال ذلك أن نستكمل صور الإبداع السياسى لديه (رضوان اللّه عليه) إذ يشكل المصطلح السياسى عنده بعض مفردات تفرده السياسى الذى تميز به عن غيره من قادة الدنيا وساستها.

فهو يتبنى فكرة (اللاشرقية واللاغربية) التى تعنى فيما تعنى فك الارتباط التبعى بالشرق والغرب والوقوف على أرضية الثقة بالنفس والمبادئ والامكانات دون أن يعنى ذلك بالضرورة تقاطعاً مع الغرب والشرق، وإنما يعنى الاستقلالية الكاملة، التى لا يجوز فيها الانحياز لهذا المعسكر أو ذاك مع ضرورة الانفتاح على الشرق والغرب وفق صيغ متكافئة من الاحترام المتبادل، التى لا تتعرض فيها مصالح الأمة واستقلالها لابتراز وتأثيرات هذا الطريق أو ذاك، وبهذا يكون الإمام قد حدّد معالم الشخصية المستقلة للأمة، ووضعها على الطريق الصحيح، وقطع كلّ علاقة مذلة لها بالآخرين.

اما مصطلح الاستكبار والمستكبرين والاستضعاف والمستضعفين ومصطلح الشيطان الأكبر، فهى إن دلت على شىء فإنّما تدل على اهتمام الإمام بالرؤية القرآنية، ولفت أنظار المسلمين الى ما لديهم من خزين معرفى وفكر سياسى يؤهلهم للتميز والتفرد ليس فقط فى العمل والأداء السياسى، وإنما فى إطار التنظير والفكر السياسى القائم على أساس الاسلام والقرآن والسنة المطهرة.

وأخيراً وليس آخراً يظلّ الإمام الخمينى وأفكاره السياسية التى بشّر بها وجسّد مقولاتها شاهداً شاخصاً على عظمة النظرية الاسلامية وقدرتها على التصدّى لقيادة الحياة فى عصرنا الحاضر وفى المستقبل.

ص: ۷۶

معطيات الحجّ ومناسكه فى رؤية الإمام

معطيات الحجّ ومناسكه فى رؤية الإمام

معطيات الحجّ ومناسكه فى رؤية الإمام

محمّد سليمان

عنت لى- وأنا اهيئ نفسى لكتابة شىء عن رؤية السيّد الإمام إلى فريضة الحج مناسك ومفاهيم.. وهل هى رؤية فريدة من نوعها أم أنها تكرار لغيرها من الرؤى؟ وهل كانت رؤاه تتسم بالجدّية والارتقاء إلى مستوى تطبيقها العملى أم أنها مجرّد رؤًى لا غير؟- عنت لى ملاحظات تتعلّق بالفريضة نفسها، فهذا المنسك المبارك بكلّ مفاصله أستطيع أن أقول عنه:

إنّه من أعظم العبادات- على عظمتها وقدرها- سعةً وشمولًا وثماراً..

ليشهدوا منافع لهم ثمّ ويذكروا اسم اللّه فى أيّام معلومات.. فهو ينطوى- إضافة إلى عبادة اللّه تعالى فى الأيّام المقرّرة، وما أعظمه من هدف!- على هدف آخر عظيم وخطير طالما اشرأبت إليه الأعناق، وتطاولت إليه الرقاب، وعاشته النفوس أملًا عظيماً، وطموحاً كبيراً، وهدفاً مقدساً، وهو توحيد المسلمين شعوباً وقبائل بغضّ النظر عن مذاهبهم وقومياتهم.. وصهرها فى بوتقة التوحيد، هذه العقيدة التى تدل على الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم

ص: ۷۷

يولد* ولم يكن له كفواً أحد، بعيداً عمّا يفرّق الكلم، ويوغر الصدور، ويضعف الهمم ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وترفعاً عن التكاثر فى الأموال والأنفس والأنساب.. ليبقى ميزان التفاضل بينهم هو التقوى لا غير «لا فضل لعربى على أعجمى إلّابالتقوى»، هذا النصّ النبوى الذى لا يقبل الجدل والتأويل قبس من نور كتاب اللَّه تعالى إذ صرّح بكلّ قوّة: إنّ أكرمكم عند اللَّه أتقاكم وقد جسّد هذا الهدف مظاهر متعدّدة فى هذه الفريضة يلمسها كلّ واحد منّا، كما تكشف هذه المظاهر هى الأخرى عمّا تنطوى عليه فريضة الحج، هذه المناسبة المباركة، من قيم عليا ومبادئ كبرى وأهداف سامية قلَّ نظيرها فى أى عبادة وفى أى شعيرة من الشعائر السماوية الاخرى على قدرها وعظمتها وسموّها، فضلًا عمّا يشرّعه الآخرون ويسنّونه ويهيّئونه من مناسبات..

ومن تلك المظاهر التى صهرت فى وهج بوتقة عقيدة الواحد الأحد: وقوف الحجّاج فى جمعهم العظيم وحشدهم الهائل وفى كتلهم البشرية المتراصة يجمعها هدفٌ واحدٌ وزىّ واحدٌ خالٍ من التفاخر والتعاظم والاستعلاء، ومكانٌ واحدٌ فى عرفات وفى المزدلفة ومنى، ثم البيت المبارك والصفا والمروة، وفى مناسك واحدة فى إحرامهم وطوافهم وفى سعيهم.. إضافةً إلى تواجدهم فى أماكن أخرى من أضرحة الأولياء ومراقد الصالحين، ومعالم الرسالة وآثار النبوّة..

حقّاً إنّها صورة رائعة مهيبة تحكى لنا قيام مجتمع مسلم على ثوابت وأسس متينة من الحبّ والتعاطف والتسامح والتعاون والتآزر.. بعيداً عمّا يلوّث النفوس من رفث وفسوق وجدال فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحجّ، حتى تطهر النفوس والأرواح، وحتى تصان أجسادنا وأرواحنا وعقولنا من العبث والدنس، فتصل مناسكنا مع طهارة نفوسنا إلى ذروة كمالها الروحى والعبادى.. «من حجّ فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمّه» فكلّ شىء فى هذا الحرم المبارك ينبغى أن يكون فى طهر وأمن وسلام.. نموذجاً رائعاً تتجلّى فيه المحبّة والرحمة..

ص: ۷۸

أساس المفاهيم الإسلامية..

فإذا نظرنا إلى هكذا تجمّع عظيم فإننا نجد فيه ما يشدّ من عزائمنا، ويقوى، إيماننا ويحقّق آمالنا بإمكان قيام مجتمع مسلم كبير تذوب فيه الفوارق والطبقات، وتسود فيه بدل ذلك كلّه المحبّة والوآم والاخوّة والإلفة والعزّة والكرامة فى ظلّ إله عادل كريم رحيم، وتعاليم رسول صادق أمين وعلى خُلق عظيم.

إنّها حقّاً تجربة مصغّرة رائعة لدولة كريمة يعزّ بها الإسلام وأهله ويذلّ بها النفاق وأهله، ومجتمع نبيل موحّد طالما كان هدفاً للإسلام، وأنشودة يردّدها المسلمون الثوّار الواعون عبر كفاحهم المرير، وجهادهم الدؤوب، وتضحياتهم الجسيمة.

إنّ الحجّ لا يمكن أن يحقّق ذلك الهدف التوحيدى ولا أظنّه ينهض بذلك إذا لم يؤد إلّابصورته الإبراهيمية وهو ما سعى إليه الإمام. ولا يمكن فهم هذه الفريضة خارج تأريخها وبعيداً عن تشريعها وأهدافه.. ويجب أن تكون مواكبة لحركة الأنبياء والصالحين، وحرّة أى خالية من أىّ قيد فيما عدا قيود الشريعة وضوابطها.

فهى فريضة تتجه نحو تحقيق هدف إلهى، وهذا لا يتم إلّاعبر ما تريده السماء لا ما نريده نحن.

هذا مضافاً إلى أنها شعيرة يلتقى فيها- إضافة إلى أمور أخرى- جانبان رئيسيان: الجانب الروحى والجانب السياسى، فخلوها من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يعنى غياب الريادة للإسلام وتغييباً للجوانب الرسالية وللنموذج الإبراهيمى المحمّدى الأصيل، وعندها يكون الحج ليس مخالفاً للشرع فحسب، بل يكون معاكساً لحركة الحج التاريخية.

فيجب أن نعرف أنّ فريضة الحج كالإسلام نفسه يتقاذفها عاملان أو خطّان مهمّان:

خط الرسالة الأصيل.

ص: ۷۹

والخط المنحرف.

فإذا ما ابتعدنا عن الخط الأوّل خطوةً فإننا نقترب من الخط الثانى بقدرها وهكذا، فأى تنازل عن قيم الخط الأوّل معناه الانضمام إلى تبنى ما يريده الخطّ الثانى، وتدريجاً نصل إلى نتيجة لا تخفى على ذى عينين، أننا نؤدّى الفريضة لا بخطها المرسوم لها من قبل السماء الذى يمثّله الخطّ الأوّل، وإنما بشكل آخر يبتعد كثيراً عن روح الشريعة ومقاصدها وأهدافها، إنه شكل مفرغ من كلّ شىء ويبقى مجرّد إطار عام لا غير.

وبدلًا من أن يقود الحجُّ الانسانَ إلى ما فيه خيره، ويقتطف ثماره ويستحصل منافعه كما أرادته السماء، راح الإنسان يرسم للحج منهجه، وبالتالى يجعله وسيلة لتحقيق ما يبتغيه من طموحات دنيوية ومصالح نفعية قد يصبّ أغلبها بصالح المستكبرين والطغاة، ولم يكن للمستضعفين فيه نصيب يذكر.. إنما هو بخدمة الحكّام وأتباعهم وأنظمتهم. وبدلًا من أن تكون علاقة تعبدية واعية أى علاقة مبنية على تحرّك واضح مسؤول نحو اللّه تعالى ومنهجه، تكون علاقة غير واعية تنتج بالتالى تحرّكاً غير مسؤول، بل هو تحرّك ميّت لا غير.

ما أراده السيّد الإمام:

لأجل ذلك كلّه ولغيره كان عنصر البراءة الذى نادى بها السيّد الإمام إلتزاماً بما تريده الشريعة الأصلية، أساساً متيناً لهذه الفريضة، وروحاً وثّابة لها ولديمومتها وبقائها عبادةً حيّةً تؤتى أُكُلَها فى حياة الامّة، وتنمى مسارها، وتقوّى عزيمتها، وبالتالى تحول دون سقوطها بشباك الظلمة. إضافةً إلى هذا كلّه فإن البراءة تذكير للُامّة بالحج الإبراهيمى المحمّدى الأصيل، وهذا عامل مهم بل رئيسى فى شدّ الامّة بتاريخها وأمجادها وفكرها الأصيل، والوقوف عنده وعدم تجاوزه أو التخلّف عنه.

فعنصر البراءة- حقّاً- لم يعد بعداً أجنبياً عن الفريضة أو شيئاً دخيلًا عليها

ص: ۸۰

وإنما هو عنصر الوقاية وصمّام الأمان، وعنصر الثبات والاستقامة فيها.

من هنا نهض السيّد الإمام الخمينى ليعيد لهذه الفريضة صفاءَها وجوهرها وتأريخها المشرق، وأن يبعدها عن كونها ألفاظاً جوفاء، وحركات تؤدّى لا علاقة لها بروح الدين وروح الفريضة، وبما يعانيه المسلمون من مشاكل وأزمات وصعاب كان سبب أكثرها بُعد الامّة عن إسلامها، وحيلولة الحكّام عن انبثاق وعى الامّة وتطلعاتها.. لهذا راح رضوان اللّه عليه يصوغ نظراته وفق ما يريده الشرع المقدّس ووفق مثل عليا آخذاً بنظر الاعتبار واقعاً إسلامياً متدهوراً يريد إنقاذه.

لقد قاد حركةً تاريخية كبيرة وخطيرة هدفها التغيير الشامل لكلّ محاور ومفاصل حياتنا العبادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية... وإعادة صياغتها وفق ما تريده السماء بعد تغييب متعمّد للشريعة، وبعد إلغاء لدورها أو تحريف لها، وبعد غياب الحكم الإسلامى الفاعل لأكثر من ۱۴۰۰ سنة، ومن ضمن تلك المحاور فريضة الحجّ التى رأى فيها مجالًا واسعاً وساحة عظيمة لبثّ روح الإسلام من جديد، وإيقاظ المسلمين على واقع فاسد مريض آخذ فى التدهور، وتنبيههم إلى مخاطر ذلك على دينهم وعلى دنياهم.

لقد أراد الإمام الخمينى أن لا تكون هذه الفريضة تبريراً للواقع، وإنّما أرادها ثورةً تطيح بكلّ ما فى الواقع من مفاسد، وأيضاً أرادها أن تفجّر طاقات الامّة نحو البناء والجهاد، كما أرادها وسيلة للإطاحة بغطرسة وانحراف الحكّام، ومنقذةً من هيمنتهم، لا أن تكون وسيلة مهادنة لهم وللوضع القائم وتبريراً للأمر الواقع.

كان يقول: «حوّلوا وبالتنسيق مع الزوار الذين جاؤوا من أنحاء العالم مركزَ مكة المكرمة إلى مركز رفض للظلم والظالمين، حيث يعتبر هذا الأمر أحد أسرار الحج، وأن اللّه غنى عن التلبية وعبادات البشر».

وانظره يقول: من المسلم أنّ حجّاً دون روح ودون حركة ونهوض، وحجّاً دون

ص: ۸۱

براءة، وحجّاً دون وحدة، وحجّاً لا ينتج هدماً للكفر والشرك، ليس حجّاً.

دور القرآن:

وراح أيضاً يبيّن ما يجب على المسلمين من السعى لأجل تجديد حياة القرآن ودوره العظيم، وإعادته ثانيةً إلى ساحة حياتهم، بكلّ محاورها:

يقول سماحته:

إنّى أذكّر الحجّاج المحترمين أن لايغفلوا فى جميع المواقف المعظمة وطيلة فترة سفرهم إلى مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة عن الاستئناس بالقرآن الكريم... لأنّ كلّ ما عند المسلمين وما سيكون، على طول امتداد التأريخ الماضى وكذلك فى المستقبل، إنّما هو من بركات هذا الكتاب المقدّس. وراح سماحته يوصى العلماء والمفكّرين بأن يستفيدوا من هذه الفرصة، ولا يغفلوا عن هذا الكتاب المقدّس وهو تبياناً لكلّ شىء.. هذا الكتاب السماوى الإلهى الذى هو الصورة العينيّة والكتبيّة لجميع الأسماء والصفات والآيات البيّنات..

وفى رفضه لتحريف القرآن وهجرانه يقول سماحته:

.. والآن وهو فى صورته المدونة بعد نزوله بلسان الوحى وصلنا دون نقص أو زيادة حرف، معاذ اللّه أن يصبح مهجوراً.. ثمّ راح يوصى المخلصين من أبناء الإسلام:

بأن ينهضوا ويخلّصوا القرآن الكريم من شرّ الجاهلين المتنسكين والعلماء المتهتكين..

و على المحققين المؤمنين بالإسلام أن يبيّنوا التفاسير الصحيحة للقرآن والواقعية لفلسفة الحج، ويرموا فى البحر كلّ نسيج خرافات وادعاءات علماء البلاط.

وغير هذا الكثير وهو ما سنجده مفصّلًا فى كلماته وأحاديثه عن أبعاد فريضة الحج وعن مفاصلها ومعطياتها المختلفة.

رعايته للوحدة الإسلامية

أكّد الإمام فى كلّ كلماته ووصاياه بل وأوامره للحجاج جميعاً أن يطوفوا حول الكعبة المباركة «بالطواف المتعارف على النحو الذى يقوم به جميع الحجاج، وأن

ص: ۸۲

يحترزوا من الأعمال التى يفعلها الأشخاص الجاهلون..

كما أنه أكّد على الحجّاج الشيعة: أن يقفوا الوقوفين مع إخوانهم المسلمين من المذاهب الأخرى، فإن اتباع قضاة أهل السنّة لازم ومبرئ للذمّة. حتّى وإن قطع بالخلاف.

كما راح يبيّن لشيعة سائر البلدان ضرورة بل «وجوب الاحتراز من الأعمال الجاهلة التى تؤدّى لتفرقة المسلمين».

كما أكّد على أنه «ينبغى الحضور بين جماعات أهل السنّة» بل «واجتناب الصلاة جماعة فى المنازل».

وأما استعمال مكبّرات الصوت بشكل يخالف المتعارف فقد أكّد سماحته على وجوب اجتناب ذلك.

ولم يكتف بذلك كلّه بل راح يلاحق فى فتاويه بعض الشيعة، فى أن «يجتنبوا الارتماء على القبور المطهّرة»، بل واجتناب كل «الأعمال التى تكون أحياناً مخالفة للشرع الحنيف.

ولم يكتف سماحته عند الفتاوى، بل راح يحذّر- حرصاً منه على وحدة المسلمين- من التفرقة وأصحابها والمروّجين لها، يقول سماحته:

فى موسم الحج يمكن أن يقوم بعض الأشخاص حتى من المعمّمين بزرع بذور الخلافات بين الشيعة والسنّة، ويعملوا على اتساع هذه الظاهرة فيصدقهم بعض السذج، ويكونوا سبباً للتفرقة والفساد.

يجب على الاخوة والأخوات من كلتا الفرقتين أن يكونوا حذرين، وليعلموا أنّ هؤلاء أصحاب القلوب العمياء يريدون باسم الإسلام والقرآن المجيد والسنّة النبوية اقتلاع الإسلام والقرآن والسنّة من بين المسلمين أو على الأقل يسيرون باتجاه انحرافه...

إنّ التكليف الإلهى للحجّاج فى هذا المقطع الزمانى هو استنكار أى كلام يشمّون من خلاله رائحة الخلاف بين صفوف المسلمين، وأن يعلموا أنّ تكليفهم فى المواقف

ص: ۸۳

الكريمة هو البراءة من الكفّار وأسيادهم حتى يكون حجّهم حجّاً إبراهيمياً وحجّاً محمّدياً، وإلّا كانوا مصداقاً ل «ما أكثر الضجيج وأقلّ الحجيج».

وواصل الإمام حديثه بقوله:

ويجب أن تعلموا أنّ الطريق الأساس فى ظل وحدة المسلمين،.. هو فى قطع يد القوى العظمى عن الدول الإسلامية، وتطبيق ثمار المواقف الكريمة والمشاهد المشرّفة عملياً فى بلادهم والاستفادة منها فى حياتهم.

تشديده على إعلان البراءة من المشركين

وأذان من اللَّه ورسوله إلى الناس يوم الحجّ الأكبر أنّ اللَّه برىء من المشركين ورسولُه...

فبعد أن يصرح السيد الإمام بأن إعلان البراءة من المشركين يعدّ من الأركان التوحيدية والواجبات السياسية للحج؛ وأنّ حقيقة الدين هى أن تحبّ الحق وتبغض الباطل؛ لذا يجب أن تنظّم المسيرات والمظاهرات الكبرى فى أيام الحج بكل صلابة وعظمة يقول:

على الحجّاج أن يطلقوا بجوار بيت التوحيد صرخة البراءة من المشركين والملحدين والمستكبرين وعلى رأسهم أمريكا المجرمة، ولا يغفلوا عن إظهار حقدهم وسخطهم على أعداء اللَّه وأعداء خلقه، فهل تحقيق الدين هو غير إعلان المحبّة والإخلاص للحق وإعلان الغضب والبراءة من الباطل؟

فحاشا أن يتحقّق إخلاص الموحّدين فى حبّهم بغير إظهار السخط على المشركين والمنافقين، وأى بيت هو أفضل من الكعبة البيت الآمن والطاهر، بيت الناس؛ لنبذ كلّ أشكال الظلم والعدوان والاستغلال والرقّ والدناءة واللاإنسانية قولًا وفعلًا، وتحطيم أصنام الآلهة تجديداً لميثاقه: ألست بربّكم وذلك إحياءً لذكرى أهم وأكبر حركة سياسية للرسول التى عبّر عنها القرآن الكريم بقوله: وأذان من اللَّه ورسوله إلى الناس يوم الحجّ الأكبر..

ص: ۸۴

ذلـك أن سـنّة الرسول وإعلاـن البراءة لن يبليـا؛ لأنّ إعلان البراءة لا يقتصـر فقط على أيام الحـج. إذ على المسـلمين أن يملأوا أجواء العالم بالمحبّة والعشق للبارئ. وبالبغض والاستياء والرفض لأعداء اللّه، ويجب ألا يصـغوا إلى وسوسة الخنّاسـين وشـبهات المشـككين والجهّـال والمنحرفين، وألاـ يغفلوا لحظـة واحـدة عن هـذا النشـيد التوحيـدى المقـدّس والشامل. ومن المسـلّم به أنّ الطامعين وأعـداء الشعوب لن يكون لهم قرار بعد ذلك. وسيتمسكون بمختلف الأحابيل والألاعيب والوجوه المختلفة، كأن يتجه أدعياء الإسلام ووعّاظ السـلاطين ومرتزقة البلاطات والليبراليون والمنافقون إلى عرض فلسـفات وتحاليل واستنباطات خاطئة ومنحرفة ويمارسون كلّ عمل فى سبيل نزع سلاح المسلمين، وتوجيه الضربة إلى قدرة وعظمة وصلابة أمّة محمّد صلى الله عليه و آله وقد يقول الجاهلون:

إنه يجب عدم المساس بقداسة بيت اللّه والكعبة المشـرّفة بالشعارات والمظاهرات والمسيرات وإعلان البراءة من المشركين. وإنّ الحج هو مكـان للعبـادة وذكر اللّه وليس ساحـة للتنـاحر والاقتتـال. وقـد يعمـد العلمـاء المزيفون المتهتكون إلى طرح هـذه الفكرة وهى: أنّ الجهاد والبراءة من أعـداء اللّه والحرب والمواجهة هى من عمل أصـحاب الدنيا ومحبيها. وأن التدخّل فى المسائل السياسـية خلال أيام الحج ليس من شأن علماء الدين والروحانيين..

وهنا يقف بصـلابة ليجيب هؤلاء: إنّ هـذا هو أمر يعتبر بحـدّ ذاته من السـياسات الاسـتفزازية الخفية التى يخطّط لها أكلة العالم، وعلى المسلمين أن ينهضوا بجميع إمكانياتهم المتوفرة من أجل التصدّى لهذه المؤامرة، والدفاع عن القيم الإلهية ومصالح المسلمين، ويرصّوا صفوفهم الجهاديـة ويمـارسوا دفـاعهم المقـدّس، ولا يسـمحوا لهؤلاء الجهلـة الميتـة قلوبهم من أتباع الشـياطين بمهاجمـة عقائـد وعزّة المسلمين أكثر من هذا...

نعيش مع كلماته لنرى أنّه كم كان واثقاً من موقفه وسـلامته برغم كلّ ما أثير حوله من إشـكالات واتّهامات، وأنّ اصـراره على إعلان البراءة وإدامتها لم يكن مخالفاً للشرع بل هو واجب بقوله: إنّنا لا نستطيع أن نعدل عن هذا الواجب الذى حدّده

ص: ۸۵

لنا الإسلام. وإنّ البراءة من المشركين هى من وظائف الحجّ السياسية وبدونها لا يعتبر حجّنا حجّاً.

إنّ صرخة البراءة من المشركين فى مراسم الحج وهى صرخة سياسية- عبادية قد أمر بها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، لذا يجب أن نقول لذلك المعمّم العميل الذى يرى أن شعار الموت لأمريكا وإسرائيل والاتحاد السوفياتى خلاف الإسلام، هل التأسّى برسول اللَّه، واتّباع أوامر اللَّه تعالى خلاف مراسم الحجّ؟ فهل أنت وأمثالك أيّها المعمّم الأمريكى تخطئ فعل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وتعارض أوامر اللَّه؟ وهل ترى أن التأسّى بذلك الرسول العظيم وطاعة أوامر الحق تعالى مخالفة لذلك؟ وهل تتناسى أوامر اللَّه ورسوله من أجل مصالحك ومنافعك الدنيوية؟ وهل تعتبر أن البراءة من أعداء الإسلام واللعنة عليهم وعلى محاربى وظالمى المسلمين كفراً؟

إنّ صرخة البراءة من المشركين لم تختص بزمان خاص. هذا دستور خالد، وإن انقرض المشركون من الحجاز «فنهضة الناس» ليست مختصة بزمان بل هى دستور كل زمان ومكان. وفى هذا التجمّع البشرى العام تعتبر سنوياً من جملة العبادات المهمة الخالدة إلى الأبد. وينبغى على حجّاج بيت اللَّه الحرام أن يطلقوا بقوّة صرخة البراءة من الظالمين فى هذا التجمّع العام والسيل البشرى الهادر... حول المسجد الحرام- مركز ثقل الإسلام ومهبط ملائكة اللَّه ومحل نزول الوحى- فى سبيل إحياء مراسم الحج العبادية- السياسية ليقوموا بتكليفهم الإلهى والقرآنى، ويعلنوا ويطلقوا صرخة البراءة من المشركين التى نفّذها خاتم الأنبياء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بواسطة مولانا على بن أبى طالب عليه السلام فى الحج الأكبر.

أهداف البراءة من المشركين:

إنّ للبراءة- وهى صرخة جميع الشعوب- أهدافاً كثيرة ومنافع عظيمة، منها كما يقول السيد الإمام:

«وإذا ما أعلن ممثّلو المليار مسلم بالشكل والمضمون براءتهم من المعتدين على

ص: ۸۶

حقوق المظلومين والدول الإسلامية وطالبوا بقطع أياديهم سوف لن تتمكّن أى قوّة من الوقوف بوجههم ومقاومتهم...

هى صرخة مظلومى العالم الإسلامى والشعوب التى ترزح تحت سلطة قوى الجناة، وإيقاظ النائمين والساكتين أمام الجبابرة...

إنّ صرخة براءتنا هى صرخة الشعوب المسلمة فى أفريقيا. صرخة إخواننا وأخواتنا فى الدين الذين يكتوون بسياط ظلم الظالمين العنصريين بسبب لونهم الأسود.

إنّ صرخة براءتنا هى صرخة الشعبين اللبنانى والفلسطينى، وجميع الشعوب والبلدان الاخرى التى تنظر إليها القوّتان العظميان الشرقية والغربية، خاصة أمريكا وإسرائيل بعين الطمع.. إن صرخة براءتنا هى صرخة جميع الذين لم يقدروا على تحمّل تفرعن أمريكا وتواجدها السلطوى.

إن صرخة براءتنا هى صرخة الدفاع عن العقيدة والكرامات والنواميس، صرخة الدفاع عن الثروات. إنها صرخة المتألمين من الشعوب التى مزّقت قلوبها خناجر الكفر والنفاق. صرخة براءتنا هى صرخة الفقراء والجياع والمحرومين والمعدمين والحفاة الذين نهب الجشعون والقراصنة الدوليون ما حصلوا عليه بعرق جبينهم وتعب ليلهم ونهارهم، أولئك الذين امتصوا دماء قلوب الشعوب الفقيرة والفلّاحين والعمّال والكادحين باسم الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية.

فلسفة الحجّ

وقد بين سبب آلام ومشاكل العالم الإسلامى أنّهم لم يدركوا فلسفة ومعنى هذه العبادات وفلسفتها وأسرارها، وما خلقت الجنّ والإنس إلّاليعبدون، يقول رحمه الله:

إنّ من أكبر مصائب وآلام المجتمعات الإسلامية أنهم لم يدركوا حتى الآن الفلسفة الواقعية للأحكام الإلهية، والحج مع أهمية سرّه وعظمته ما زال عبارة عن عبادة جافّة وحركة لا فائدة منها وغير مثمرة، وإن إحدى الوظائف الكبيرة للمسلمين هى متابعة هذا

ص: ۸۷

الواقع، ما هو الحجّ؟ ولماذا على الإنسان أن يصرف قسماً من إمكاناته المادية والمعنوية لأجل القيام بهذا التكليف؟

والشيء الوحيد الذى يُقال عن فلسفة الحج من هؤلاء الجاهلين أو المحللين المغرضين النفعيين هو أن الحج عبارة عن عبادة جماعية ورحلة سياحية. وما شأن الحج فى كيف يجب أن نعيش وكيف يجب أن نقاوم؟ وعلى أى نحو يجب الوقوف فى مواجهة العالم الرأسمالى والشيوعى؟ ما شأن الحج فى كيفية استرداد المسلمين والمحرومين لحقوقهم من الظالمين؟ ما شأن الحج فيما ينبغى فعله لنفكّر بحلّ ما بخصوص الضغوطات الروحية والجسدية على المسلمين؟ ما شأن الحج فيما يجب فعله ليظهر المسلمون أنفسهم كقوّة كبيرة وقدرة فى العالم الثالث؟ ما شأن الحج فى كيف يثور المسلمون على الحكومات المرتبطة والعميلة؟ فهل الحجّ هو سفر سياحى لأجل رؤية القبلة والمدينة المنوّرة فقط؟

وهنا راح سماحته يرسم أهداف وفلسفة الحجّ ومنافعه فيقول: إنّ الحجّ هو للتقرّب واتّصال الإنسان بصاحب البيت، وأن الحج ليس ألفاظاً وحركات وأعمالًا فلن يصل الإنسان إلى اللّه بالكلام والألفاظ والحركات الجامدة. الحج هو مركز المعارف الإلهية التى تنبثق منها مضامين السياسة الإسلامية التى يجب البحث والتفتيش عنها فى جميع زوايا الحياة.

وهناك إرشادات أخرى ووصايا تفضّل بها سماحته للحجّاج ليبين فيها فلسفة كلّ عمل يؤدّونه وكلّ منسك يتواجدون عنده.

وكانت وصاياه تنبع من نفس اتصفت بالطهر والنقاء، وبثها لجميع الحجاج بكلّ صدق وإخلاص، وأكّدها فى كلّ كلماته وخطبه فما ترى كلمة له أو خطبة إلا ورأيته يوصى وينصح الحجّاج للاستفادة من هذه الأماكن المقدّسة والمواقف الشريفة:

ص: ۸۸

الطواف:

وإنّ الطواف حول الكعبة المشرّفة يعنى أنّ الإنسان لن يطوف لغير اللّه.

وأثناء الطواف فى حرم اللّه حيث يتجلّى العشق الإلهى، خلّوا قلوبكم من الآخرين، وطهّروا أرواحكم من أى خوف لغير اللّه.

الحجر الأسود:

وحين تلمسون الحجر الأسود أعقدوا البيعة مع اللّه أن تكونوا أعداءً لأعداء اللّه ورسوله والصالحين والأبرار. ومطيعين وعبيداً له أينما كنتم وكيفما كنتم. ولا تحنوا رؤوسكم واطردوا الخوف من قلوبكم، واعلموا أنّ أعداء اللّه وعلى رأسهم الشيطان الأكبر جبناء، وإن كانوا متفوقين فى قتل البشر وفى جرائمهم وجناياتهم.

الصفا والمروة:

أثناء سعيكم بين الصفا والمروة اسعوا سعى من يريد الوصول إلى المحبوب حتى إذا ما وجدتموه هانت كلّ الامور الدنيوية، وتنتهى كلّ الشكوك والترددات، وتزول كلّ المخاوف والحبائل الشيطانية، وتزول كلّ الارتباطات القلبية المادية، وتزدهر الحرية وتنكسر القيود الشيطانية والطاغوتية التى أسرت عباد اللّه.

المشعر وعرفات:

سيروا إلى المشعر الحرام وعرفات وأنتم فى حالة إحساس وعرفان، وكونوا فى أى موقف مطمئنى القلب لوعد اللّه الحق بإقامة حكم المستضعفين، وبسكون وهدوء فكروا بآيات اللّه الحق، وفكّروا بتخليص المحرومين والمستضعفين من براثن الاستكبار العالمى، واطلبوا من الحقّ تعالى فى تلك المواقف الكريمة تحقيق سُبل النجاة.

منى:

عندما تذهبون إلى منى اطلبوا هناك أن تتحقّق الآمال الحقّة حيث التضحية هناك بأثمن وأحبّ شىء فى‌طريق المحبوب المطلق. واعلموا أنه ما لم تتجاوزوا هذه الرغبات، التى أعلاها حبّ النفس وحبّ الدنيا التابع لها، فسوف لن تصلوا إلى المحبوب المطلق.

ص: ۸۹

الرجم:

وأنتم عندما ترجمون عاهدوا اللّه أن تقتلعوا شياطين الإنس والقوى العظمى من البلاد الإسلامية.. تبرّأوا من الأصنام الكبيرة والصغيرة والطواغيت وعملائهم وأزلامهم، حيث إنّ اللّه ومحبّيه تبرّأوا منهم، وإنّ جميع أحرار العالم بريئون منهم.

ارجموا الشيطان واطردوا الشيطان من أنفسكم، وكرّروا رجم الشيطان فى مواقع مختلفة بناءً على الأوامر الإلهية؛ لدفع شرّ الشياطين وأبنائهم عنكم.

فى هذا السفر الإلهى الذى تذهبون إليه وترجمون فيه الشيطان، إذا ما كنتم لا سمح اللّه من جنود الشيطان سترجمون أنفسكم أيضاً، يجب أن تكونوا فيه رحمانيين وأن تصبحوا رحمانيين، حتى يكون رجمكم رجمَ أتباع الرحمن ورجم جنود الرحمن الشيطان.

ومن وصاياه العامّة:

أنتم تقفون فى تلك المواقف والمواضع الكريمة، معاذ اللّه أن يتلوّث وقوفكم بشىء خلاف الشرع، أو يتلوّث بالمعصية، ففضلًا عن إراقة ماء الوجه أمام اللّه تسقط كرامة الإسلام فى الدنيا، اليوم كرامة الإسلام متقوّمة بوجودكم، أنتم الذين تذهبون جماعات جماعات إلى تلك المواقف الكريمة ويشاهدكم سائر المسلمين.

ظهر لنا إذن أنّ الحجّ الذى سعى له سيّدنا طيلة حياته قبل انتصار الثورة الإسلامية وبعدها هو الحجّ التوحيدى الخالص، البعيد عن الشوائب والتلوّث ومناهج الظالمين والمنحرفين الذين سعوا لأن تكون هذه الفريضة كما أرادوه لها، وأن يكون أداؤها بشكل يدرّ عليهم بالنفع، وتكريسها بما يثبت أنظمتهم ومصالحهم..

إنّ السيد الإمام كان صادقاً مع آرائه ونظراته لهذه الفريضة وهى تنسجم بل هى التطبيق الفعلى لأحكام الحجّ ومفاهيمه حتّى يؤتى ثماره ومنافعه.

حقّاً إنّها رؤية تتّسم بالفرادة من حيث إعلانها بعد سنين عجاف طويلة مرّت

ص: ۹۰

على المنهج المتبع فى أداء هذه الفريضة، ومن حيث إنّ الحجّاج والمسلمين عامّة قد تعوّدوا على نمط معيّن موروث لأدائها، ومن حيث سعى الإمام الجادّ لتطبيق رؤاه وتفانيه فى الدفاع عنها والوقوف بقوّة ضدّ كلّ من يريد العبث بمناسك هذه الفريضة وأهدافها أو تسخيرها لمنافعه.

الهوامش:

ص: ۹۱

دور الحجّ فی تحقیق القیادة الموحّدة

دور الحجّ فی تحقیق القیادة الموحّدة

دور الحجّ فی تحقیق القیادة الموحّدة

عباس علی عمید الزنجانی

قال اللّه الحکیم: جعل اللّه الکعبة البیت الحرام قیاماً للناس.

إنّ عبادة الحجّ قادرة علی أن تؤدّی الدور الکبیر علی صعید التوعیة والتوجیه الدینی، وتوطید عری التلاحم بین أبناء امّتنا الإسلامیة؛ ولأجل ذلک لقد أُعطی للحج مکانة خاصّة فی الشریعة الإسلامیة بین سائر الأحکام والفرائض، ولو ألقینا نظرة واسعة علی موقفه ومدی اهتمام القرآن والسنّة بهذه الفریضة الکبری وجذوره التاریخیة، والعلاقة الوطیدة المتشابکة بینه وبین أصل التوحید؛ لأمکننا أن نفهم الأبعاد الواسعة لفلسفة الحج والأسرار العمیقة، التی تنطوی علیها هذه العبادة الجماعیة، وبالتالی أن نتعرّف علی مکانة الحج ودوره الکبیر فی تمهید القدرات علی صعید تجسید الإسلام وتحقیق أهدافه السامیة، وأن تثیر الوعی الجدید الإسلامی فی الجیل المسلم الذی تحول إلی حرکة ثوریة إسلامیة، جعلت العالم یتطلّع إلی الإسلام کموقع جدید من مواقع الثورة وکحرکةرائدةمن أجل تفسیر المبادلات

ص: ۹۲

السیاسیة المعاصرة کقوّة جدیدة تستطیع أن تقضی علی جمیع القوی الشریرة شرقیها وغربیها فی العالم.

حین نتعرّف علی هذه المکانة للحج والفلسفة الکامنة فیه وسائر أهداف الشریعة الإسلامیة من هذه الفریضة الکبیرة، فسوف لا نسمح لأنفسنا أن نکتفی بأداء مراسیم شکلیة وأعمال خاویة غیر ذات محتوی، وأن نشهد کلّ عام إهدار کلّ هذه القوی والإمکانات ونمکث جالسین دون أن نستثمر المعطیات الحیاتیة العظیمة للحجّ.

نحن نتابع التحقیق فی هذه المعطیات وفی الوقت نفسه نؤمن أن الحج وسائر الفرائض الإلهیة أمر تعبّدی ونلزم أنفسنا بالامتثال المطلق لها، وهذه الدراسة لا تضعف روح التعبّد بل تتّجه إلی تقویتها.

لا شک أن مناسک الحج وأحکامه لها أشکال تعبّدیة ثابتة لا تقبل التغییر، فکل تغییر وتصرّف فی الشکل الظاهری لمناسک الحج وأعماله بحجّة التفلسف وتحقیق الأهداف والأسرار مرفوض.

لکن مع ذلک هلّما یلزمنا التعریف بما یحتویه قوله صلی الله علیه و آله: لو أنفقت جبل قبیس ذهباً فی سبیل اللّه ما أدرکت فضیلة الحج.

وما یعنیه قول الإمام الصادق علیه السلام: لا تماثل الحج عبادة. وحدیث علیّ علیه السلام یؤکّد عن عاقبة ترک الامّة للحجّ، قال علیه السلام: لا تترکوا حجّ بیت ربّکم فتهلکوا.

وفی حدیث آخر یحذّر المسلمین وقادتهم من ترک الحجّ، ویری أن ذلک یؤدی إلی سقوط شخصیة الامّة وزوال عزّها وشرفها وسیادتها أمام الأجانب، قال علیه السلام:

اللّه اللّه فی بیت ربّکم لا تخلوه ما بقیتم فإنّه إن ترک لم تناظروا.

والإمام الصادق علیه السلام یبیّن هذه الحقیقة بتعبیر آخر ویقول:

أما أن الناس لو ترکوا حج هذا البیت لنزل بهم العذاب وما نوظروا؟!.

ولاشک أن ترک الحج علی قسمین:

إمّا أن یترک العمل فلا یحجّ أحد، أو یحجّ بصورة شکلیة غیر ذات محتوی.

هذه الأخیرة هی التی ابتلی بها العالم الإسلامی الیوم، فبالتالی نزل بهم

ص: ۹۳

العذاب ألا وهو الأسر السیاسی والاقتصادی وسقوط شخصیة الامّة وزوال سیادتها. هذه الأحادیث- وما أکثر عددها- تدعو إلی التأمّل وتشیر إلی أنّ الحج مدرسة لتخریج رجال أکفّاء مع الغزاة فی سبیل اللّه، کما قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: الغازی فی سبیل اللّه والحاج وفود اللّه دعاهم.

الحجّ عامل قیام الامّة

انطلاقاً من قوله سبحانه وتعالی:

جعل اللّه الکعبة البیت الحرام قیاماً للناس نستطیع أن نستدلّ علی أن الحج له دور عظیم فی تمهید الطریق إلی قیام الامّة وإعطائها القدرة کی تحصل علی استقلالها وسیادتها وتحقّق أهداف الإسلام.

لأن کلمة القیام تنطوی علی الوجود والاستقلال والحرکة والسیادة والشخصیة والاتجاه والتنظیم ووحدة المسیر والمساهمة الجادّة والاعتماد علی الذات وعدم التبعیة، وکل المفاهیم السیاسیة المعاصرة للُامة لإیجاد الکیان الإسلامی الموحّد فی العالم.

کما أنّ کلمة المثابة والأمن فی قوله سبحانه وتعالی: وإذ جعلنا البیت مثابةً للناس وأمناً.

تتضمّن عدّة مفاهیم سیاسیة بارزة یلزمنا التعرّف علیها فی سبیل تحقیق الوحدة الإسلامیة والحکم الإسلامی الموحّد فی العالم الإسلامی.

لاشک أنّ مثل هذا الشعور له القدرة علی توحید صفوف المسلمین وعلی تنظیم شؤونهم الحیاتیة وإعدادهم لتحطیم کلّ الأغلال السیاسیة والعسکریة والاقتصادیة التی تکبّلهم.

عنصر الأمل فی التحرّک السیاسی

التحریک السیاسی مهما کان لونه وطبیعته واتجاهه یحتاج إلی عنصر الأمل کی یدفعه نحو غایاته المرجوة، والحجّاج الذین یقضون خلال موسم الحج دورة إعداد لتأهیلهم علی الحرکة السیاسیة فی مجتمعاتهم یبیتون لیال فی أرض الآمال (منی) حیث قیل لإبراهیم علیه السلام هناک: یا إبراهیم تمَنّ علی ربّک ما شئت؛ ولذلک سمّیت هذه الأرض (منی). إنّ عنصر الأمل من خصائص الامّة الإسلامیة یقول سبحانه وتعالی: ولا تهنوا فی ابتغاء

ص: ۹۴

القوم إن تکونوا تألمون فإنّهم یألمون کما تألمون وترجون من اللّه ما لا یرجون.

لابدّ من إحیاء عصر الأمل فی النفوس إلی جانب التضحیة ورجم الشیطان وتنقیة النفس والروح، وإذا ماتت الآمال تنتهی حیاة الإنسان کما قال الرسول صلی الله علیه و آله:

لا تقوم الساعة حتی لا تحجّ فی البیت.

إحیاء الأمل فی نفوس المستمعین یعطی لهم التأهیل للتغلّب علی مشاکلهم السیاسیة وعلی رأسها السیطرة الأجنبیة الشیطانیة علی مقدّرات المسلمین، وأن یتخذوا الخطوات اللازمة لإحباط مؤامرات الاستکبار العالمی عدوّ الإسلام والشعوب الإسلامیة وینسّقون مساعیهم علی هذا الطریق طریق النضال ضد عوامل السیطرة والنهب والدمار.

نظام الامّة والإمامة یتجلّی فی الحج

القرآن الکریم یُطلِق اسم الامّة الواحدة علی کلّ المسلمین بمختلف ألوانهم وقومیاتهم وثقافتهم وأصقاعهم، یقول سبحانه وتعالی:

إنّ هذه امّتکم امّة واحدة وأنا ربّکم فاعبدون.

عناصر هذه الامّة الواحدة تتجلّی فی العقیدة المشترکة والنظام المشترک والأهداف الموحّدة. مثل هذه الوحدة بحاجة طبعاً إلی تفسیر ومرکزیة وقیادة، وهذه القیادة ینبغی أن تکون بالقوّة وبالفعل علی مستوی دفع عجلة هذه الامّة نحو تحقیق أهدافها المنشودة علی أساس من العقیدة الإسلامیة والنظام الإسلامی.

هذه الحرکة المنسجمة السائرة علی خط واحد وفی إطار واسع من حیاة الامّة تحتاج إلی مرانٍ وتعوّدٍ.

ویعتبر الحج أروع صعید لهذا المران علی الحرکة الجماعیة المنسجمة، درجة تجلی روح الامّة فی الحج تستطیع أن نفهمها من حدیث الإمام الصادق علیه السلام حیث یقول: من عرف إمامه عرف اللّه ودینه ومن أنکره أنکر اللّه ودینه... فلذلک إن معرفة الرجال دین اللّه کما ان الأحکام

ص: ۹۵

کلمة انّما تعرف بالنبی صلی الله علیه و آله.. وإنما هذه الرجل.

فالإمام ضالة المؤمن فی الحج فیستمد القوّة من مناسک الحج لیضع کلّ إمکاناته تحت تصرّف القائد الذی سوف یجده حینما یسلک فی الحج سلوک امّة تحت قیادة إمامها.

کما کان المسلمون یلتقون حول الرسول صلوات اللّه علیه فی حجّة الوداع کالتفاف السوار بالمعصم ویسیرون خلفه مقتدین آثاره.

وهذا اللون من الحرکة فی موسم الحج یؤکّد دور القیادة فی هذا الموسم، وبغیر وجود القیادة فإنّ الحجّ افراد مبعثرون لا یجمعهم محور ولا یشدّهم رباط، وهم غثاء کغثاء السیل لا یتجه اتجاهاً واعیاً مدروساً کما أراده اللّه سبحانه وتعالی.

حجّة الإسلام وحجّنا

لقد کانت صیحة اللّه أکبر وحدها فی صدر الإسلام تبعث الرعب والفزع فی قلوب أعداء اللّه، فما بالک بصلاة الجماعة والجمعة بل ما بالک بالحج؟

لقد کان حجّ رسول اللّه صلوات اللّه علیه بدایةً لزوال الشرک فی الجزیرة العربیة، وإیذاناً بتزلزل عروش الکفر والشرک فی کل العالم.

فإذن ماذا یفعل حجّنا الیوم؟

هل یحرّک ساکناً؟

هل ینقذ مظلوماً؟

هل یجیب دعوة المستضعفین فی لبنان وفلسطین وأفغانستان والفلبین وفی معارک التضحیة والإیثار فی إیران الإسلام؟

هل یؤدّی الحجّ الیوم دوره فی التوعیة، وفی ترکیز التفاف الامّة الإسلامیة حول قیادتها الموحّدة؟ وهل نستطیع مع کلّ هذا أن ندّعی بأنّ حجّنا الیوم یقوم علی أساس القرآن والسنّة؟

ما هو معنی الجدال المحظورفی الحجّ؟

لاشک فی أن أعداء الإسلام ما کان بمقدورهم أن یقضوا علی ظاهرة الحج نهائیاً بین المسلمین، فعمدوا إلی إفراغها من محتواها ومن مبدإ البراءة، لتفقد عطاءها التغییری الفاعل، بل ولتکون أکثر من ذلک وسیلة بید الطغاة؛ لتعمیق غفلة المسلمین ولتعمیق انفصال الدین

ص: ۹۶

عن ساحة الحياة الاجتماعية.

والمرحلة الحسّاسة من مؤامرة الاستكبار والطواغيت تتمثّل فی البحث عن الصيغة الفقهية، التی تحوّل مراكز اليقظة إلی مراكز غفلة.

وما هذا بعسير فقد كان دوماً فی خدمة الظالمين فئة تشتری بآيات اللّه ثمناً قليلًا فتحرف الكلم عن مواضعه لتضلّ الناس:

ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون آخر ما أفرزته عقول المحاربين للصحوة الإسلامية المباركة المتجلية فی موسم الحج يتمثّل فی طرح خطر الجدال فی الحجّ مستندين إلی قوله سبحانه وتعالی: ولا جدال فی الحجّ متخذين قول اللّه وسيلة لإخماد الأصوات الإلهية المطالبة بالعودة إلی حج رسول اللّه صلوات اللّه عليه فی الشكل والمحتوی.

وهكذا تتكرّر تجربة ضربة الدين بالدين لإفراغ الدين من محتواه وللقضاء علی كل صحوة وتحرّك إسلامی أصيل.

ولاشك فی أن الجدال المحظور فی الحج هو الجدال الخاص أو المنازعة، أو ما يوجب الخصومة والبغضاء بين المؤمنين. كيف، والجدال فی الدين يعتبر طاعة وسبيلًا إلی معرفة اللّه؟ فالجدال فی الحجّ ضمّ طاعة إلی طاعة فكان أولی بالترغيب فيه.

فإذن الجدال المحظور فی الحج هو الجدال الذی يثير العداء بين المسلمين، وكلّنا نعلم أن هذه الحركة المقدّسة العبادية السياسية التی تحدث فی أيام الحج ببركة صحوة الشعوب المسلمة وبفضل انتشار الوعی الإسلامی لا تثير أی عداء بين المسلمين.

نعم قد تجرّ إلی العداء، ولكن ينبغی أن نعرف الجانب الآخر من هذه المعاداة، هل هی معاداة بين المسلمين أممعاداة بين أبناء الامّة من جهة وبين السلطويين المستعمرين الغزاة وكلّ أعداء الإسلام من جهة اخری؟

كيف، وهذه المعاداة من أهداف الإسلام وغاياته وليست حراماً، بل

ص: ۹۷

من واجبات الإسلام، قال سبحانه وتعالی: وقد امروا أن یکفروا به فمن یکفر بالطاغوت ویؤمن باللّه فقد استمسک بالعروة الوثقی أن اعبدوا اللّه واجتنبوا الطاغوت؟

نحن أیضاً نؤمن بضرورة السیطرة علی جوانب الحج، ولا نرید إیجاد جوّ مفتوح مضطرب ملیء بالارتباک والفوضی، ونلتزم بضرورة الوقوف بوجه العناصر الفاسدة المرتبطة بالسیاسات الشرقیة والغربیة، التی تریدأن تستغل اجتماع الحج العظیم لإثارة الحزازات وإلقاء الشبهات وخلق الفوضی والمشاکل.

لکن نحن وإخواننا من شتّی الشعوب الإسلامیة خلال تجربتنا قبل انتصار الثورة الإسلامیة فی إیران وخلالها وبعد انتصارها اکتسبنا اسلوباً ناجحاً ضمن إطار متعقّل ملتزم بتعالیم الشریعة وآدابها، وبهذا الاسلوب نستطیع أن نواجه الانحراف فی کلّ شؤون حیاتنا وعباداتنا بما فی ذلک أداؤنا لمناسک الحجّ.

الحرم یتعلّق بجمیع المسلمین

ان اللّه سبحانه وتعالی جعل الحرم وبیته للناس لیعبدوا اللّه فیه، وقد قال سبحانه: إنّ الذین کفروا ویصدّون عن سبیل اللّه والمسجد الحرام الذی جعلناه للناس سواء العاکف فیه والباد ومن یُرد فیه بإلحاد نذقه من عذاب ألیم.

إنّ الکثیر من المفسّرین یعتبرون أنّ حکم العموم الوارد فی هذه الآیة بخصوص المسجد الحرام یشمل أیضاً جمیع منطقة الحرم، وذلک لأن المشرکین کانوا قد منعوا الرسول صلوات اللّه علیه والمسلمین من الدخول إلی الحرم فضلًا عن منعهم من المسجد الحرام.

فقدسیة الحرم وتعظیمه واحترامه وخدمته لا ینحصر بشخص أو جماعة خاصة، بل إنّ هذا الحق یعبّر عن حقیقة عبادة الحج والعمرة ویتعلّق بالعالم الإسلامی، وجمیع المسلمین متساوون فی تمتّعهم بهذا الحق.

لاشک أن مفهوم هذه الآیة هو إخراج الحرم من احتکار مجموعة أو مذهب معیّن، کما أن مفهوم سواء

ص: ۹۸

العاکف فیه والباد هو تساوی الناس الموحِّدین والـذین یعبـدون اللَّه فی هـذه الأرض من حیث أداء المناسک العبادیـة، وإنّ هذا النوع من الحریة یشمل بالتأکید جمیع العقائد ووجهات النظر الموجودة بین المسلمین فی إطار المبادئ الإسلامیة والقرآنیة.

اسـتناداً إلی هـذا المبـدأ فإنّه عنـدما تحبس عبادات المسـلمین فی الحرم والمسـجد الحرام داخل إطار مبادئ مذهب معیّن ووجهة نظر خاصة، وعندما یفرض الطوق علی عقائد وآراء باقی المسـلمین، وتسلب حریة العمل فی العبادة لأتباع المذاهب الإسلامیة لصالح أتباع مذهب المجموعة الحاکمة، فإنّ ذلک یصبح مصداقاً آخر للآیة المبارکة:

ومن یُرد بالحاد بظلم نذقه من عذابٍ ألیم.

الحرم أرض إسلامیة حرّة

یعتقـد أکثر علماء المسـلمین أنّ منطقة الحرم تعدّ أرضاً حرّة، ویجوز لأیّ وافد لها أن یتّخذ منزلًا من أیة زاویة منها، ولقد کانت بیوت مدینة مکة المکرّمة مفتوحة علی مصراعیها بوجه الزائرین فی صدر الإسلام.

بل کانت تلک البیوت بلا أبواب، وکان الصـحابة یبدون انزعاجهم من بعض سکّان مکّة؛ لأنهم وضعوا أبواباً لبیوتهم خشیة أن تُسرق، وکانوا یقولون لهم بالحرف الواحد: هل تقفلون بیوتکم بوجه حجّاج بیت اللَّه الحرام؟!

وکان الخلفاء یصدرون أوامرهم فی موسم الحج بإزالة أبواب بیوت مکة، لکن تفتح البیوت بوجه الحجّاج.

وجـاء فی حـدیث عبـداللَّه بن عمر، قال رسول اللَّه صـلوات اللَّه علیه: «إنّ اللَّه حرم مکـة، فحرام بیع ریاعها وأکل ثمنها، ومن أکل من أجر بیوت مکة شیئاً فإنّما یأکل ناراً».

فی عهـد خلافـة الإمام أمیر المؤمنین علیه السـلام کان قثم بن عباس والی الإمام علی مکّة، وکان یضـطلع بمسؤولیة إدارة هذا المرکز بالنیابة عن الإمام.

وفی واحد من الأوامر التی أصدرها الإمام إلی حاکم مکة؛ طلب منه أن یدعو أهل مکة إلی عدم أخذ الاجور

ص: ۹۹

من الساکنین فیها، وقد استند الإمام فی هذا الأمر إلی ما جاء فی الآیة المبارکة:

سواء العاکف فیه والباد فقد أوضح الإمام ذلک قائلًا: «العاکف هو المقیم فی مکة، والباد هو الوافد إلی مکة لأجل الحج، ولا یحسب من أهلها».

إنّ مسألة جعل مکة والحرم حرّاً وعالمیاً للمسلمین لا تکتسب أهمیة من الناحیة الاقتصادیة فحسب، بل إنّ جوهر هذا الأمر وهدفه الرئیس هو حفظ هذه المنطقة المقدّسة التی وضعت للعبادة من أیّ نوع من الضغوط أو فرض الآراء، وخلق المضایقات المختلفة الهادفة إلی تجریدها من العبودیة الصحیحة.

إنّ الصحوة المبارکة التی نشاهدها الیوم فی أنحاء العالم الإسلامی ولا تزال تتزاید یوماً بعد یوم هی التی یعتبرها الاستکبار الأمریکی وأذنابه خطراً إرهابیاً فی العالم.

وقد مارس المؤامرات المتنوّعة الشیطانیة للقضاء علیها، وقد کان الهدف الأساسی لهذه المؤامرات القضاء علی قیادة علماء الإسلام وإخماد الثورة الإسلامیة وضربها فی مرکز انتصارها؛ کی لا تحصل تلک الیقظة لدی بقیة الشعوب والدول الإسلامیة کما حصلت لإیران بقیادة سماحة الإمام الخمینی، والتی أدّت إلی طرد القوی العظمی والتخلّص من هیمنتها فی هذا القطر الإسلامی.

لقد أعلن الإمام الخمینی قدس سره زعیم الثورة الإسلامیة ومؤسس الجمهوریة الإسلامیة فی إیران فی لقاءٍ مع ممثلی الدول الإسلامیة بمناسبة عید الأضحی بهذا الصدد وقال:

إنّنا عندما نقول: إنّ الثورة یجب أن تصدّر إلی کلّ مکان، لا ینبغی لکم تأویل ذلک علی أننا نرید فتح الدول.

إنّ المقصود من تصدیر الثورة هو أن یحصل نفس الشیء الذی حصل فی إیران من طرد القوی الاستکباریة والتخلّص من هیمنتها فی بقیّة الأقطار الإسلامیة.

ص: ۱۰۰

الهوامش:

ص: ۱۰۱

الامام الخمینی والمشروع الحضاری للحج فی الحرم الآمن

ص: ۱۰۲

الإمام الخمینی والمشروع الحضاری للحج فی الحرم الآمن

مائدة آل‌مرتضی

الثورات والحرکات الأصیلة... تغیر الواقع، وتبنی أمة... وتترک بصماتها علی الأجیال.. وتصنع العمالقة والأفذاذ، بعد أن صنعها وفجرها عملاق واحد، وهکذا رأینا ثورة الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله لتغییر الواقع الانسانی آنذاک بکلّ أبعاده، وکذا تبعه الأئمة الأطهار علیهم السلام.

وقد لمسنا فی الثورة الاسلامیة الایرانیة هذا الأمر، علی ید قائدها الفذ الامام الخمینی الکبیر قدس سره، رائد الصحوة الاسلامیة المعاصرة، الذی سعی جاهداً باعلانه للعالم، أن لا منهج لسعادته الحقیقیة إلّابالرجوع الی منهج الاسلام المحمدی الأصیل.

فأحیا رضوان اللّه علیه إیران الاسلام من وهدة الضیاع والانحراف بمواصلته المسیر، کما أحیاها الاسلام أول مرّة فی النصف الأول من القرن الأول لهجرة الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله. أحیاها بفکره ومعاناته ونضاله المریر، ودماء الأحرار، بتغییر الواقع المر الذی کانت تعیشه فی زمن الطاغوت الشاهنشاهی العمیل، انطلاقاً من

ص: ۱۰۳

قاعدة علمیة رصینة، ونظرة واقعیة تکوینیة، بدءاً بإیران الاسلام والی العالم الاسلامی ومن ثم الی العالم أجمع.

فشن حملة واسعة النطاق لتغییر بعض المناهج والأفکار المترسبة فی الذهنیة الاسلامیة، والتی باتت النزعة الاستصحابیة، والتحجر والجمود والانغلاق لدی البعض تخامر أذهانهم وعقولهم نحو فکرة البقاء علی ما علیه واقعهم المعاصر أو الرجوع الی الوراء بدون وعی متطلبات الواقع المعاش.

فاستطاع الإمام الراحل أن یحقق بعمله الجبار حلم الأنبیاء، وحلم الرواد الأوائل- قادة الاصلاح والتغییر- الذین ناضلوا من أجل تشکیل حکومة إسلامیة إلهیة، بدءاً بالسید جمال الدین الأفغانی (ت ۱۸۹۷)، ومروراً بالکواکبی عبدالرحمن (ت ۱۹۰۲) المعاصر للشیخ محمد عبده (ت ۱۹۰۵)، ومحمد اقبال (ت ۱۹۳۸) فی الباکستان، ثم بدیع الزمان النورسی (ت ۱۹۶۰ م) فی ترکیا، والشیخ مرتضی المطهری (ت ۱۹۷۹) فی إیران، والسید الشهید الصدر (ت ۱۹۸۰) فی العراق الذی تشاطر النهضة المبارکة مع الإمام الخمینی، وأذاب وجوده فیها.

وسواهم ممن سبقهم من المخلصین الأحرار.

ولما أخذ الإمام الخمینی رضی الله عنه علی عاتقه مسؤولیة التغییر والإصلاح ارتسمت فی ذهنه مجموعة من القواعد الاساسیة کان لها دور مهم وفعّال فی عملیة البناء الثوری، وإعطاء زخم للحیاة الروحیة والاجتماعیة، من هذه القواعد: (القضیة الحسینیة)، والأهم منها جمیعاً: (الحج الابراهیمی)، لما له من الدور الخطیر فی حیاة المسلمین. فأولاه عنایة ورعایة استثنائیتین وخصص له خطاباً یتلی علی ضیوف الرحمن کلّ عام؛ لاستکشاف أسرار هذه الفریضة (الاجتماعیة- السیاسیة- الاقتصادیة)، التی فرضها المولی سبحانه علی عباده، لما فیها من الفوائد والمنافع، والعزة والمنعة، والأساس المتین الذی‌به تظل أمة خاتم الأنبیاء صلی الله علیه و آله، تحمل لواء التوحید، وتجسد وحدة الانسانیة، وتحقق أسمی ما تصبو إلیه البشریة من التکامل

ص: ۱۰۴

الفردی والاجتماعی، والذی یؤدی بدوره الی تحقیق المشروع الحضاری الشامل لتحقیق إرادة السماء فی قضیة الاستخلاف.

ومن هذا المنطلق یؤکد الإمام القائد رضی الله عنه علی الحضور الواعی والفعال فی الساحة الاسلامیة، فی الجمعة والجماعة... فی التظاهرات والمسیرات... فی الحج (المؤتمر العالمی الکبیر)، وذلک لتعظیم حرمات اللَّه سبحانه وشعائره کما أرادها:

ذلک ومن یعظم حرمات اللَّه فهو خیر له عند ربّه.

ذلک ومن یعظم شعائر اللَّه فإنها من تقوی القلوب.

وباستشفاف حقیقة هذا الاستدعاء الإلهی ورد فی قوله تعالی: وأذّن فی الناس بالحج یأتوک رجالًا وعلی کلّ ضامر یأتین من کلّ فج عمیق، یتبیّن لنا أنه أداة لتحقیق الارتقاء العمودی نحو التکامل الاجتماعی والسیاسی، فیما لو أدی المسلمون مناسکه بالصورة التی رسمها المولی سبحانه لنبیه الکریم (صلوات اللَّه علیه وآله)، فکثیر من الأحکام العبادیة تصدر عنها خدمات اجتماعیة وسیاسیة، وعبادات الاسلام عادة «توأم سیاساته وتدبیراته الاجتماعیة، فصلاة الجماعة مثلًا واجتماع الحج والجمعه یؤدیان- بالاضافة الی ما لها من آثار خلقیه وعاطفیة- الی نتائج وآثار سیاسیة»، ولأجل هذه الامور «استحدث الاسلام هذه الاجتماعات، وندب الناس إلیها، وألزمهم ببعضها، حتی تعم المعرفة الدینیة، وتعم العواطف الأخویة، وتتماسک عری الصداقة والتعارف بین الناس، وتنضج الأفکار وتنمو وتتلاقح، وتُبحث المشکلات السیاسیة والاجتماعیة وحلولها».

من هنا یبیّن الامام القائد القدرة الالهیة فی عقد هذا الاجتماع الکبیر، الذی لا یشابه اجتماعات البشر الوضعیة بقوله: «فی الدول الاسلامیة تنفق الملایین من ثروة البلاد ومیزانیتها، من أجل عقد مثل هذه الاجتماعات، وإذا انعقدت فهی فی الغالب صوریة شکلیة تفتقر الی عنصر الصفاء وحسن النیة والإخاء المهیمن علی الناس فی اجتماعاتهم الاسلامیة، ولا تؤدی بالتالی الی النتائج المثمرة، التی تؤدی إلیها اجتماعاتنا

ص: ۱۰۵

الاسلامیة. فقد وضع الاسلام حوافز ودوافع باطنیة تجعل الذهاب الی الحج من أغلی أمانی الحیاة... فما علینا الا ـ أن نعتبر هذه الاجتماعات فرصاً ذهبیة لخدمة المبدإ والعقیدة».

المبحث الأول: حرمة الحرم الآمن

لعنصریّ الزمان والمکان بالغ الأهمیة فی هذه الفریضة الإلهیة، فمکان الحج له أهمیته الخاصة وموقعه التشریعی فی هذه العبادة، وهو أن جعل المولی- سبحانه- الکعبة المشرفة المکان المقصود فی الحج، فهی کما قال تعالی: إنّ أول بیت وضع للناس للّذی ببکة مبارکاً وهدًی للعالمین. وهذا البیت جعل اللّه سبحانه الحرمة ملازمة له ولا تنفک عنه أبداً منذ أن اختاره لعباده الی قیام یوم الدین.

وجعله حرماً آمناً ومن دخله کان آمناً لیحس الحاج بالسکینة والطمأنینة والراحة النفسیة عند لجوئه الی بیت اللّه الحرام.

وقد خاطب اللّه سبحانه نبیه آدم علیه السلام قائلًا: «اجعل ذلک البیت لک ولمن بعدک حرماً وأمناً، أحرم بحرماته ما فوقه، وما تحته، وما حوله، فمن حرمه بحرمتی فقد عظّم حرماتی، ومن أحله فقد أباح حرماتی، ومن أمّن أهله فقد استوجب بذلک أمانی، ومن أخافهم فقد أخفرنی فی ذمتی».

وقوله تعالی وإذ قال إبراهیم ربّ اجعل هذا البلد آمناً واجنبنی وبنیَّ أن نعبد الأصنام، إن دل علی شیء فإنما یدل علی قداسة هذا البیت وأهمیة استشعار الأمن فی ربوعه لیوحی للانسان قیمة هذه الحقیقة فی الحیاة... حقیقة الامن والسلام.

واللّه جعل لهذا البیت الحرمة الأبدیة- کما قلنا سابقاً- ولم یحلّها إلّامرة واحدة، وذلک لرسوله صلی الله علیه و آله عند دخوله مکة فی السنة الثامنة للهجرة المبارکة.

المبحث الثانی: انتهاک حرمة الحرم الآمن

علی الرغم من أن المولی سبحانه جعل لهذا البیت من الحرمة والقداسة

ص: ۱۰۶

الملازمتین له، وجعله بلداً آمناً، لکن الطغاة وعلی مرّ العصور تعمدوا هتک حرمته وعاثوا فیه فساداً بدءاً بولد اسماعیل الذین استبدلهم اللَّه سبحانه بقبیلة (جرهم) الذین فعلوا الأعاجیب فی القتل والنهب والسلب فی البلد الحرام، حتی سلط اللَّه سبحانه علیهم (العمالقة)، وهؤلاء لم یکونوا بأحسن حالًا ممن سبقهم، فانهم لم یرعوا لمؤمن إلّاً ولا ذمة، وما أبقوا للبیت قداسة وحرمة، وهم والذین من قبلهم علی علم بالنتائج المترتبة عن الظلم والطغیان، بأنه ما ظلم فیه من أحد إلّا وسلّط اللَّه سبحانه علیه معاول غضبه.

وهکذا نزل الغضب الإلهی علی (العمالقة) وقُطع دابرهم، بعد أن لم تنفع معهم نصیحة حکمائهم وتحذیرهم لهم، فنجد أحد عقلاء القوم یقف خطیباً ناصحاً، قائلًا: «یا قوم ابقوا علی أنفسکم، فقد رأیتم وسمعتم من هلک من صدر الأمم قبلکم...

فلا تستخفوا بحرم اللَّه وموضع بیته، وإیاکم والظلم والالحاد فیه، فإنه ما سکنه أحد قط فظلم فیه وألحد إلّاقطع اللَّه دابرهم واستأصل شأفتهم».

وبعد أن تمزّق (العمالقة) شرّ ممزّق علی ید (الجراهمة)- الذین عادوا مرة اخری- ذهبت جرهم هی الأخری علی ید خزاعة التی تمادت فی غیّها عدّة مئات من السنین حتی انهارت سلطتها علی ید (قریش)، وهذه الأخیرة هی کمن سبقها ممن توالی علی سدانة الکعبة، ولیست بأحسن حالًا منهم حتی بعث اللَّه رسوله الکریم (صلوات اللَّه علیه وآله)، فطهّر البیت وما حوله من الشرک والطغیان، وعبادة الأوثان وهدم اللَّه أرکان قریش، فکسر شوکتهم وجبروتهم، واستسلموا فی نهایة الأمر، وذلک عند دخول الرسول الاکرم (صلوات اللَّه علیه وآله) فی السنة الثامنة من الهجرة النبویة المبارکة- لفتح مکة- وهو یتلو قوله تعالی: وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل کان زهوقاً.

وشهدت مکة حالة من السکون والطمأنینة والاستقرار علی عهد الرسول الاکرم صلی الله علیه و آله، ومن بعده الخلفاء، الی أن اعتلی یزید بن معاویة سدة الحکم، وهو ممن

ص: ۱۰۷

عُرف باستخفافه وهتكه للحرمات، وممن لا يقيم لشيء وزناً، ولا يتورع حتى من إراقة الدماء على جدران الكعبة، فرمى عامله على المدينة (الحصين بن نمير)- بأمر منه- الكعبة بالمنجنيق حتى تهدمت جدرانها، وعلى السبيل ذاتها سار (عبدالملك ابن مروان) فتابع السُّنة التى استنها آل أمية، سنة (هتك الحرمات وسفك الدماء)، فأوعز إلى عامله (الحجاج بن يوسف الثقفى)، لقتل ابن الزبير وإن احتمى بالبيت وتعلق بأستاره.

هذا فى العهد الأموى المعروف بدمويته واستخفافه بالحُرم، أما فى العهد العباسى، والدور المرعب الذى قام به القرامطة فى قتل (۲۰ ألفاً) من الحجاج الخراسانيين بعد أداء فريضة الحج سنة (۲۴۹ ه).

وما فعله الطاغية (أبو طاهر القرمطى) مع أعوانه بضيوف الرحمن ما تصطك منه الأسماع، وتقشعر منه الجلود، برميهم جثث القتلى فى بئر زمزم فضلًا عن السرقة والنهب والسلب، وأهم ما سرقوه الحجر الأسود.

وأحفاد القرامطة واليزيديين ورثوا البغى والطغيان من أسلافهم وزادوا عليهم من ترويع ضيوف الرحمن، حتى أحصوا عليهم أنفاسهم.

وعشرات المرات تُنتهك حرمة البيت، والحكومات الاسلامية لا تنبس ببنت شفة حتى بزغ فجر الثورة الاسلامية فى ايران الاسلام على يد قائدها الخمينى الكبير رضى الله عنه، الذى قام بتغييرات واسعة النطاق فى كافة الجهات، فكان من أولى اهتماماته تصدّيه ل (فريضة الحج)، باعتبارها من القواعد الاساسية لنهضة الأمة وتطورها.

المبحث الثالث: انتصار الثورة الاسلامية

وما إن انتصرت الامة الاسلامية فى ايران، وعمّت الصحوة العارمة أكثر شعوب المنطقة بل كافة البلدان الاسلامية، حتّى حلّق الامام نظره الى ذلك الاجتماع الكبير والمنبر العظيم الذى سيؤدى الدور المبارك فيما لو انطلقت منه صرخة (اللّه أكبر) من حناجر المستضعفين.

ص: ۱۰۸

فأدرک الدور الخطیر للحج وما له من الأثر الفعال فی التغییر الاجتماعی الناتج من تفاعل الأفراد من مختلف الثقافات والعادات والطبائع البشریة، وذلک عن طریق تقریب الأفراد- بأجناسهم المتباینة- نحو بعضهم البعض، وتقصیر المسافة المکانیّة بینهم.

فحدث الثورة الاسلامیة المعاصرة، غیّر میزان القوی، وأربک المعادلات السیاسیة، وأعاد للاسلام مرکزه الرائد فی مسیرة الانسان، وحقق صحوة إسلامیة عارمة تحطم القیود والأغلال، التی کبلت الأمة آماداً طویلة. ولیستعید المشروع الحضاری الاسلامی الشامل روح الحیاة بالکامل، لابد من تکریس الصراع بین الحق والباطل، ومحاربة شیاطین الانس والجن؛ لإقامة حکم اللّه فی الأرض.

فانبری الامام القائد رضی الله عنه، وفی أول حج بعد الانتصار المبارک بإصدار بیان تاریخی مهم؛ لیوقظ المسلمین ویفتح أبصارهم وبصائرهم نحو الوضع المریر والواقع المر المخجل الذی وصلوا إلیه، من خلال الجهل والضعف والسکوت عن البغی والطغیان من أجل إمرار المعاش.

فکان بیانه یقرع القلوب، ویفتح الأذهان، فاستطاع أن یوصل صوت المستضعفین الی کافة أصقاع الأرض، کما استطاع أن یعید لهذه الفریضة الإلهیة- التی أُفرغت من محتواها بالکامل- دورها الدینامی الحرکی القادر علی تغییر الأمة نحو المستقبل المشرق، والی أمة قویة ذات عقیدة راسخة تحطم الأصنام وتفک القیود؛ لتتحرر من الظلم والاستضعاف، والتخلف والتبعیة للاستکبار العالمی، ومن کلّ ألوان الشرک.

فقد خاطب قدس سره المسلمین جمیعاً وفی کلّ مکان بقوله: «اعلموا أیها المسلمون، أنّ هذا التجمع الکبیر، الذی ینعقد کلّ عام بأمر من اللّه تبارک وتعالی، یفرض علیکم بصفتکم أمة مؤمنة ذات عقیدة راسخة، أن تبذلوا جهودکم فی سبیل تحقیق أهداف الاسلام السامیة

ص: ۱۰۹

وشریعته الغراء، وفی سبیل تقدم المسلمین وتضامنهم ووحدتهم الشاملة».

ویؤکد الامام فی کلّ رسالة سنویة یبعثها لضیوف الرحمان علی أخذ الفائدة التامة من هذه القدرة السماویة، فیقول: «هناک عوامل سیاسیة عدیدة وراء عقد الاجتماعات والمجامع وخاصة اجتماع الحج القیم، والتی منها التعرف علی المشاکل الأساسیة والقضایا السیاسیة للاسلام والمسلمین، ولا یمکن ذلک إلّاباجتماع رجال الدین والمفکرین والملتزمین الزائرین لبیت اللّه الحرام وذلک بعرض وتبادل الآراء لإیجاد الحلول، وفی العودة الی البلدان الاسلامیة یعرضونها فی المجامع العامة ویسعون فی رفع وحل مشاکلهم».

ثم یضیف فی خطابه السنوی محذراً الشعوب الاسلامیة من مغبة الرکون الی الظالم، فیقول: «دافعوا عن کرامتکم الاسلامیة والوطنیة وصدوا أعداءکم المتمثلین فی أمریکا والصهیونیة العالمیة والقوی الکبری سواء الشرقیة منها والغربیة، دونما خوف ووجل، ودون ملاحظة (بعض) الشعوب والدول الاسلامیة، واکتشفوا عن الظلم الذی یمارسه أعداء الاسلام».

ولو استقرأنا خطابات الامام السنویة الی ضیوف الرحمن؛ لتبین لنا أنها تکاد لا تخلو من وصایا وتحذیرات للشعوب الاسلامیة وقادتها من مکر الدول الاستکباریة، فنراه من جانب یوصی زعماء الخلیج الفارسی بألّا یعملوا علی تحقیر أنفسهم وشعوبهم من أجل عنصر أفلس سیاسیاً وعسکریاً واقتصادیاً، وأن لا یظهروا ضعفهم وعجزهم عن طریق اللجوء الی أحضان أمریکا، ولا یطلبوا العون من الذئاب والوحوش لرعیهم وحفظ مصالحهم، ومن جانب آخر یحذر جمیع القوی العظمی الشرقیة والغربیة من التدخل فی مقدرات الشعوب الاسلامیة بل وغیر الاسلامیة منها.

المبحث الرابع: مسیرة البراءة من المشرکین

أکثر ما أکد الامام علیه فی الحج هو: (مفهوم البراءة من المشرکین)، انطلاقاً

ص: ۱۱۰

من الآیـة المبارکـة وأذان من اللَّه ورسوله الی الناس یوم الحج الأکبر أنّ اللَّه برىء من المشـرکین ورسوله، وإحیاءً لذکری أهم وأکبر حرکة سیاسیة للرسول الاکرم (صلوات اللَّه علیه وآله)، أی براءة من کلّ الوان الشرک ونبذ کلّ أشکال الضلال والدناءة واللاإنسانیة.

وکما أدرک الإمام القائد رضـی الله عنه الدور التربوی للحج، باعتباره القاعدة والأساس والمنطلق لوحدة المسلمین، وبه یتحرر الانسان المسـلم آنـذاک من المحیط الضـیق، ومن الفکر العتیق، ویعیش حالة الشخصـیة العالمیة بصـفته جزءاً من أمة واسـعة مترامیة الأطراف.

کذلک أدرک الاسـتکبار الدور الأساس والنتائج الطیبة التی سـتجنیها الأمة الاسلامیة من هذا الاجتماع العظیم فی الحرم الآمن بإطلاق صرخـة البراءة من المشـرکین عن وعی وإدراک کـاملین، فحـاول- الاسـتکبار- الإخلال بمسـیرات البراءة منـذ انطلاقتها الأولی وحتی یومنـا هـذا بکـلّ الطرق والوسائـل الشـیطانیة المـاکرة، عـن طریـق عملائـه ومرتزقتـه؛ لإخمـاد صـرخة الـدفاع عـن الشـعوب المظلـومة والمحرومة، التی ضاقت ذرعاً باعتداءات الشرق والغرب، صرخة الدفاع عن الکرامات المسحوقة.. صرخة الدفاع عن الثروات المنهوبة.. صرخة أمة تصدح بشعار الاسلام الخالد (هیهات منا الذلة).

ولطالما بین الامام القائـد رضـی الله عنه طریقـة الـدفاع عن حیاض المسـلمین ومقـدساتهم، فیقول فی أحـد خطاباته لضـیوف الرحمن: «هیهـات أن یسـکت الخمینی، ویبقی ساکتـاً أمـام اعتـداءات الأشـقیاء.. لقـد وضـعت دمی وروحی الرخیصـة علی کفی بانتظـار الفوز بالشهادة العظیمة فی سبیل الواجب والحق وأداء فریضة الذود عن حیاض المسلمین».

ثمّ یقول قدس سره:

«فإعلان البراءة، یعتبر من الأرکان التوحیدیـة والواجبات السیاسـیة للحـج، ویجب أن تقام فی أیام الحج بکلّ صـلابة وعظمة، مسـیرات ومظاهرات کبری... ویطلقوا بجوار بیت

ص: ۱۱۱

التوحید صرخة البراءة من المشرکین والملحدین من مستکبرٍ رأسه أمریکا المجرمة، فهل تحقیق الدیانة هو غیر إعلان المحبة والإخلاص للحق، وإعلان الغضب والبراءة من الباطل؟

وعلی أی حال فإنّ إعلان البراءة فی الحج هو تجدید العهد بالجهاد وتربیة المجاهدین لمواصلة الحرب ضد الکفر والشرک وعبادة الاصنام وهو لا یقتصر علی الشعارات بل یتعداها لتعبئة جنود اللّه وتنظیمهم...

لیعرج الحجاج الاعزاء من أفضل أراضی العشق والجهاد وأکثرها قدسیة، الی کعبة أکثر رفعة حیث یتوجّهوا کسیّد الشهداء، (الامام الحسین علیه السلام) من احرام الحج الی احرام الحرب، ومن طواف الکعبة والحرم الی طواف صاحب البیت، ومن التوضوء بزمزم الی غسل الشهادة والدم، لیتحولوا الی أمة لا تقهر وبنیان مرصوص... لا شک أنّ روح الحج ورسالته، لن تتحققا إلّابعد أن یلتزم المسلمون بجهاد النفس، وجهاد الکفر والشرک».

وعلی هذا الأساس، نستطیع أن ندخل الی الواقع الاسلامی للإنسان المسلم، من خلال الحالة التکاملیة التی یحصل علیها وهو ینطلق لیؤدی مناسک الحج عن وعی لحقیقته وأسراره.

لو یتساءل الانسان المسلم، ماذا یعنی البیت؟ وماذا یعنی الطواف حوله؟

وماذا یعنی رمی الجمرات والنحر؟ و.. و.. الخ، ألیست هی التربیة الإلهیة للانسان من خلال رموز عینها له لیتوجه الیها بقلبه وعقله لیعی معنی الشیطان؟ فمن هو الشیطان الحقیقی إذن؟ ولماذا تجب محاربته؟ وکیف؟ أسئلة کثیرة ترد فی ذهن الحاج وهو فی حال الرمی أو غیره.

وعلی الرغم من کلّ الموانع والعوائق التی حالت دون أداء هذه المسیرة المبارکة، صمم الحجاج الایرانیون الأحرار وغیرهم علی إقامتها علی أتم وجه بما یرضی اللّه سبحانه ورسوله واستجابة لولی أمر المسلمین.

ولکن للأسف الشدید فی العام (۱۴۰۷) فی الیوم السادس من شهر ذی

ص: ۱۱۲

الحجة الحرام، اليوم الذى استباح فيه (أبو طاهر القرمطى) بيت اللّه الحرام، كانت مكة المكرمة (الحرم الآمن) على موعد مع انتهاك عظيم آخر لحرمتها وقداستها وأمنها. فسفك الدم الحرام فى الشهر الحرام فى البلد الحرام.

وفى الذكرى الاولى لهذا الحادث المؤلم، ألقى الامام القائد رضى الله عنه خطاباً مهماً، والألم يعتصر قلبه الشريف، وهو يكشف فيه عن خيوط المؤامرة، إذ يقول: «لابد من التعرف على واقع ما جرى من مؤامرة خطط لها الشيطان الأكبر لذبح ضيوف الرحمن، وتشويش سعى الحجاج لفهم فلسفة الحج الحقة».

وصمم الامام على تصدير الثورة، وإيصال صوت المستضعفين، خاصة عن طريق ذلك (المنبر المقدس العظيم)، فنراه يقول فى بيانه التاريخى الى حجاج بيتاللّه الحرام لعام (۱۴۰۷): «سنطلع العالم على تجاربنا وسنرسم لكلّ المجاهدين طريق الحق والحرية، بدون أى مقابل، وذلك باطلاعهم على حصيلة كفاحنا ودفاعنا ووقوفنا ضد الظالمين.

ولن تكون نتيجة الاستفادة من هذه التجارب الغنية سوى تحقيق الانتصار والاستقلال وانتشار تعاليم الاسلام بين الشعوب المضطهدة».

ويتكلم الامام الراحل بصلابة محمدية وروح حسينية قائلًا: «إنى أعلن للعالم وبكلّ حزم بأنه إذا ما أراد السلطويون دنياهم، والناهبون الدوليون الوقوف أمام ديننا فإننا سوف نقف بوجههم ولن نستكين حتى القضاء عليهم جميعاً، فإما أن نتحرر جميعاً، وإما أن نبلغ الحرية الكبرى ألا وهى الشهادة.

فإما أن نشدّ على أيدى بعضنا البعض فرحين بانتصار الاسلام فى أرجاء المعمورة كلّها، أو أن نتوجه جميعاً نحو الحياة الأزلية والشهادة، ونستقبل الموت بعزّ وشوق، وفى كلا الحالين سيكون النصر حليفنا.

إنّ أهم علل ما تعانيه المجتمعات الاسلامية، هى أنها لم تدرك الفلسفة لكثير من الاحكام الالهية، والحج بما يشتمل عليه من أسرار وعظمة، لا زال يُمارس كعبادة جامدة

ص: ۱۱۳

وحرکات غیر مثمرة؛ لذا فإنّ من الواجبات الکبری علی المسلمین أن یتوصلوا الی فهم حقیقة الحج...».

المبحث الخامس: معنی الحج عند الامام الخمینی رضی الله عنه

وهنا یطرح الامام القائد رضی الله عنه سؤالًا علی زائری بیت اللّه الحرام: ما هو الحج؟

ولماذا یجب علی الحجاج ان یخصصوا جزءاً من إمکاناتهم المادیة والمعنویة لأجل أدائه؟! فهل سیکون الجواب، وکما یصوره المغرضون، بأن الحج عبادة جماعیة وزیارة سیاحیة؟! فحقیقة الأمر یبینها الامام القائد فی خطابه فیقول:

«إنّ الحج هو:

اولًا: من أجل اقتراب الانسان من رب البیت وارتباطه به.

ثانیاً: الحج منبع المعارف الإلهیة، فیجب البحث فیه عن المحتوی الحق للسیاسة الاسلامیة لجمیع شؤون الحیاة.

ثالثاً: الحج مظهر تجلّ وإعادة تجسید جمیع ملاحم العشق الإلهی، عشق حیاة الانسان الکامل، والمجتمع الکامل فی هذه الدنیا.

رابعاً: مناسک الحج هی مناسک الحیاة برمتها، وعلی هذا یجب علی شعوب الامة الاسلامیة من أی قومیة کانت أن تصبح إبراهیمیة؛ لتلتحق بصف أمّة محمد صلی الله علیه و آله وتذوب فیه فتصبح معه یداً واحدة.

خامساً: الحج میدان لتجلی عظمة طاقات المسلمین ولاختبار قواهم المادیة والمعنویة.

سادساً: الحج تنظیم وتدریب وتأسیس لهذه الحیاة التوحیدیّة.

سابعاً: الحج کالقرآن... مبارک ینتفع منه الجمیع، ولکن العلماء والمتبحرین والعارفین بآلام الأمة الاسلامیة، إذا فتحوا قلوبهم لبحر معارفه ولم یرهبوا الغوص والتعمق فی أحکامه وسیاساته الاجتماعیة، فإنهم حاصلون من أصداف هذا البحر علی لآلئ الهدایة والوعی والحکمة والرشاد والتحرر أکثر

ص: ۱۱۴

من غیرهم، ولارتووا من خلال الحکمة والمعرفة الی الأبد.

ثامناً: أنّ الحج بغیر روح، ولا حرکة، ولا انتفاضة، وإنّ الحج بغیر البراءة من المشرکین، وإن الحج بغیر وحدة، وإنّ الحج الذی لا یؤدی إلی تدمیر الکفر والشرک، وإن الحج بغیر ذلک کلّه، ما هو بحجٍ».

هذا هو الحج عند الامام القائد الفذ رضی الله عنه، الذی ینبثق عنه المشروع الحضاری الکبیر الشامل حتی تحقیق الدولة العالمیة الإلهیة.

«فعلی کلّ المؤمنین الملتزمین، وعلی کلّ الباحثین المتعمقین أن یتصدوا لتبیان أسرار الحج وفلسفته الحقة. ومن دون معرفة ذلک کلّه، لا یمکن أن تقوم لهذه الأمة قائمة، ولابد لها من أن تطأطئ رأسها للأمم الکبری، بعد أن احتلت مکان الصدارة فی عصر الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله. ومن بعده- ولأجل إقصاء الأئمة علیهم السلام عن مناصبهم- بدت تلوح فی الأفق ملامح الانهیار والسقوط.

ومن خلال دخول مؤتمر الحج الکبیر، وارتقاء ذلک المنبر العظیم الذی من شأنه أن یسمع فی ذروة سنام الانسانیة صرخات المظلومین الی العالم أجمع، ویدوی منه فی الخافقین نداء التوحید». فالامام القائد رضی الله عنه، أراد انزال الاسلام المحمدی الأصیل الی واقع الأمة الاسلامیة، الإسلام الذی لا یعترف بوجود جانب واحد فی حیاة الانسان، أی الجانب المادی فحسب، بل هناک جانبان یصنعان شخصیة الانسان المتکاملة، ألا وهما الروح والمادة.

فالخطط الجهنمیة التی أثارها الکفر العالمی فی وعی الأمة، أدت دورها فی حرف الاذهان نحو الانعزال والفردیة والتقوقع والأنانیة، بقولهم: لیس لدینا دین ودنیا یشترکان معاً فی صنع حیاة الانسان، فإن للدین دائرته، وللدنیا دائرتها، وللدین ربّه وللدنیا ربّها، فمن یرتضی قول المسیح الوارد فی إنجیل متی «اعط إذن، ما لقیصر لقیصر، وما للّه للّه» فهل فی الاسلام یکون مثل هذا الفصل بین قیصر واللّه سبحانه؟ الاسلام دین العقل والتعقل، دین العلم والتدبر، وللعقل مکانة

ص: ۱۱۵

سامقة لا تضاهیها مکانة، مقابل الجوانب الانسانیة الأخری، والعقل یحکم (بأنّ الدنیا مزرعة الآخرة)، وأنّ الانسان خلیفة اللّه فی أرضه، یحکم فیها بإرادة المستخلِف لا بإرادة منفصلة عنه، کما هو الحاصل فی الغرب الظالم.

ولهذا حرص الاسلام علی أن تکون مبانی العقیدة قائمة علی رکن وثیق من العلم والمنطق والعقل السلیم، بل وعمد الی تفاصیل الحیاة الجزئیة، فأرفدها بنظم وتعلیمات جعلت من مسیرة الانسان تخطو خطواتها المتئدة، واثقة من سلامة مواطئ أقدامها، ومباهیة الأمم برزانة ورصانة المبادئ والمعتقدات والسلوک الذی بنت علیه بنیانها وکیانها الشامخ.

وعلی هذا الاساس المتین، نری الامام القائد رضی الله عنه، وهو الغیور علی مقدسات الاسلام والمسلمین، والحریص علی تراثه وحرماته، نراه حینما یُستفتی ویُسأل ویُستوضح، یکون جوابه جواب العارفین بمتطلبات الأمور، ومقتضیات المصالح، وما تحتاج تلک الفترة الزمنیة من تغییر وتبدیل فی الآراء والمواقف التی تعتبر من صلاحیة الحاکم الشرعی- الولی الفقیه- وبخصوص منطقة الفراغ.

فیوضّح للناس ما خفی عنهم من القضایا المحیطة بهم، بسبب مکر الجبابرة والطواغیت. ومنذ الیوم الأول لقیادة مسیرة الثورة سار الامام علی هذا المنوال، فمثلًا یبین للأمة مسألة الحصانة للأمریکان فی ایران بکلّ دقة وتفصیل. ویوضح للناس ولمن لم یدرک جیداً سرّ إصرار الجمهوریة الإسلامیة علی مسیرة البراءة من المشرکین فیقول: «وکانوا یسائلون أنفسهم والآخرین، ما هی الحاجة للمسیرة وإطلاق صرخة البراءة من المشرکین؟ وحتی لو أطلقت صرخة البراءة من المشرکین فما الضرر الذی یلحق الاستکبار منها؟ وما أکثر ما کان یتصور السذّج من أن عالم ناهبی المعمورة المسمی «بالمتحضّر» لیس قادراً علی تحمّل أمثال هذه القضایا وحسب. بل إنه وحتّی قبل ذلک سیعطی الإذن باحیاء التظاهرات والمسیرات لمعارضیه أکثر من هذا.

ویستدلون علی هذا المدعی بالسماح للمسیرات بالخروج فی بلدان ما یسمی

ص: ۱۱۶

بالغرب الحر، ولکن یجب أن تتضح هنا حقیقة أن لا ضرر من تلک التظاهرات علی القوی الاستکباریة وسائر القوی، أما مسیرات مکة والمدینة فهی تؤدی الی إبادة عملاء روسیا وأمریکا...».

فالظروف الحساسة والحرجة التی أحاطت بالثورة آنذاک، کانت تملی علی الامام القائد رضی الله عنه، أن یشن حملة تطهیر وتهذیب وتعدیل لکلّ الممارسات الدینیة- بالاخص مناسک الحج المفرغة من محتواها ومضمونها بالکامل- مما لحقها عبر سنین طوال من تفاعلات، وإرهاصات، تراوحت بین المد والجزر، والسلب والإیجاب، الأمر الذی أدی إلی إعطاء انطباعات سیئة علی مجمل العقیدة الاسلامیة فضلًا عن الشیعیة، والی بروز تیار أخذ بالتشهیر والتحریض بالشیعة؛ لذلک ارتأی الامام القائد رضی الله عنه أن تتسم حملته بطابع الهدوء والمرحلیة، محاولًا تهیئة الأذهان والأرضیة اللّازمة لطرح الحکم القاطع باستئصال تلک الممارسات فی مرحلة قادمة انطلاقاً من التحریم المرحلی لبعض الأمور فی القرآن الکریم کتحریم الخمر مثلًا.

فکانت الرسائل السنویة من قبل الامام القائد رضی الله عنه تؤکد علی أداء المناسک والشعائر وبالصورة التی تتطلبها المرحلة فی العصر الراهن، والتأکید علی استلهام الدروس والمعطیات التی من أجلها ضحّی سید الشهداء- الذی حلّ إحرامه وجعلها عمرة مفردة، وخرج من مکة قاصداً أرض الجهاد؛ للدفاع عن الحق والعقیدة، وحفاظاً علی الدین، وحرمة الحرم الآمن- وأکد علیها الأئمة الأطهار علیهم السلام؛ لکی لا تُهدر الطاقات والأوقات فی قضایا تشکیلیة عدیمة الفائدة، لا یصل النفع منها للاسلام والمسلمین اجتماعیاً وسیاسیاً.

المبحث السادس: السائرون علی خطی الامام

ثمة عصبة سارت علی نهج الامام القائد رضی الله عنه القویم، فنالت الخلود والحیاة باستشهادها علی طریق الثورة والاصلاح، وأخری واصلت المسیر مستلهمة من

ص: ۱۱۷

أصالة فكره، وقوة صبره، وشدة حزمه التى ورثها من جده السبط أبى الأحرار وملهم الثوار.

وبفضل المخلصين الواعين من رجال الأمة والمصلحين من العلماء والعاملين بدت تنجلى الغياهب وتنقشع السحب الكثيفة التى تحجب النور الطبيعى من النفاذ الى القلوب، ومن أولئك المخلصين الذين أفرزتهم مدرسة الامام، ومن سار على خطه ومنهجه، فكان العضد المساعد والامتداد للامام الرحل رضى الله عنه وثورته هو:

(السيد على الخامنئى حفظه اللَّه تعالى)، فتسلّم المسؤولية الكبرى لقيادة الأمة.

ومن أجل سلامة المسيرة البشرية، وصيانتها من الانحراف يقتضى وبحسب المسؤولية الملقاة على عاتق (الولى الفقيه) التدخل واتخاذ كلّ التدابير اللّازمة الممكنة وحسب الظروف والشرائط الزمانية والمكانيّة، إذا ما داهم خطر وأحدق بالمسلمين أو الدولة الاسلامية.

ومن هذه المنطلقات انبرى السيد الخامنئى ليطهر الممارسات الدينية والقواعد الاسلامية- بالأخصّ قاعدة الحج- من البدع والضلالات والأداء اللاواعى للشعائر الإلهية، بدافع من مسؤوليته وغيرته على الاسلام والمسلمين، وحفظهم من خطر الغزو الثقافى والشبهات المثارة لاستقطاب البسطاء والسذّج من الناس، وتحريرهم من أسار العادات السخيفة التى اتخذوها سُنّة بحيث لا يمكنهم تجاوزها والتخلف عنها.

وبما أنّ العدو يخطط دوماً إلى استئصال اللب وإبقاء القشور، موحياً بأنها هى الأصل والأساس، فإنّ المجتمع الذى يعيش حالة الفراغ الفكرى والضآلة الدينية والثقافية يأخذ بهذه القشور، ويتّبع الشكليات والمظاهر الخالية من المضامين العالية المؤدية إلى التكامل والرقى والسمو.

ولهذا نجد عدم إمكان استعباد الرعية وظلمها ما دامت غير حقماء وغير تائهة فى ظلمة الجهل؛ ولأنّ العلم نور واللَّه خلق النور للإنارة والحرارة والطاقة. والنور

ص: ۱۱۸

ینشر الخیر ویفضح الشر، ویوجد فی النفوس الحرارة، وفی الرؤوس الغیرة.

والمستبد یخشی العلوم التی تفتح الذهن وتنشر الوعی بین الناس، وتفهم ما هو الانسان؟ وما هی حقوقه؟ هل هو مغبون؟ کیف یطالب بحقوقه؟ وکیف یمکنه حفظها؟

فالولی الفقیه الامام الخامنئی (حفظه اللّه) أحد أولئک الواعین الذی تصدی للأخطار المحدقة بالأمة بشدة وصرامة، وبحجم خطورة الموقف، فقال فی خطاب له: «إنّ أعمال الحجّ، ومنها رمی الجمار تجسید للمعرفة ومقارعة العدو. والنبی الأکرم صلی الله علیه و آله رفع الاذان، وتُلیت آیات البراءة فی موسم الحج بلسان أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام. ولو أنّ الأمة الاسلامیة تخلصت یوماً من وجود جحافل الأعداء وأمکن حدوث ذلک فإنّ البراءة ستفقد مبرّرها، ولکن مع وجود الأعداء وعدوانهم الحالی فإنّ الغفلة عن العدوّ وإهمال البراءة منه خطأ کبیر وخسارة فادحة...».

فالحج الصحیح والکامل- عند الإمام الخامنئی (حفظه اللّه)- الذی تُرتجی منه العزّة والمنعة والکرامة والاستقلال، والذی یحمل علی وقف اتساع دائرة مشاکل الأمة الإسلامیة، ثم یستأصل هذه المشاکل، هو: الحج التوحیدی... الحج حین یکون منطقه حب اللّه وحب المؤمنین والبراءة من الشیاطین، ومن الأصنام والمشرکین.. والدولة المبارکة فی ایران الاسلام رکّزت علی تقریب الحج مما کان علیه فی صدر الاسلام، وذلک بالموائمة بین الجانب السیاسی الالهی لهذه الفریضة، وهو مظهر عزّة الحیّ القیوم وقدرته، والجانب العبادی، وهو مظهر غفران الربّ ورحمته، ولتجسید هذا الاقتران أن أحیت إیران شعیرة البراءة من المشرکین ثانیة فی الحج، وهی تواصل هذا العمل بهذا الواجب الاسلامی رغم کلّ المعوقات السیاسیة، ورغم کلّ المضایقات الناشئة عن دوافع غیر إسلامیة.

فمن هذا الحج الصحیح یمکن الحصول علی المنافع التی قال عنها المولی سبحانه فی کتابه الکریم: لیشهدوا منافع لهم وهذا الحج هو الذی یکون مثابةً

ص: ۱۱۹

وأمناً كما فی قوله تعالی: وإذ جعلنا البیت مثابـةً للناس وأمناً.... هـذه المثابـة إن دلت علی شـیء إنما تدل علی قدرة الأمة علی التجمع والاتحاد، فهی ما إن استطاعت تأتی من کلّ فج عمیق باتجاه نقطة واحدة، مرددة کلمة واحدة، ومتحرکة باتجاه واحد، فهی إذن قادرة علی تحقیق الوحدة الاسلامیة، والحکم الاسلامی الموحد.

فالحج الصـحیح الذی یسـتطیع تغییر المحتوی الداخلی لکلّ فرد من أفراد المسلمین، ویغرس فی نفوسهم روح التوحید والارتباط باللّه والاعتماد، والحـج الـذی یسـتطیع أن یصـنع من الأشـلاء الممزقة لجسد الأمة الاسـلامیة کیاناً واحداً فاعلًا ومقتدراً، هذا الحج هو الذی یریده الرسول الاکرم صـلی الله علیه و آله من قوله: «لو أنفقت جبل أبی قبیس ذهباً فی سبیل اللّه ما أدرکت فضـیلة الحج»، والذی قال عنه الامام الصادق: «لا تماثل الحج عبادة».

وعلی هـذا الاسـاس جـاء حرص الاسـلام شدیـداً علی هـذه الفریضـة الالهیـة الکبیرة؛ لما تنطوی علیه من الاسـرار العمیقـة والمعطیات الواسـعة، وجاء اهتمامه بها حتی أعطی الدولـة الاسـلامیة صـلاحیة قانونیـة تمنحها الحق فی إخراج عدد من المسـلمین الی الحج، وإن أدی ذلک الی القوة والاجبار.

فقـد ورد عن الامام الصادق علیه السـلام قوله: «لو أنّ الناس ترکوا الحـج لکان علی الوالی أن یجبرهم علی ذلک، وعلی المقام عنده. ولو ترکوا زیارة النبی صـلی الله علیه و آله لکان علی الوالی أن یجبرهم علی المقام عنده، فإن لم یکن لهم أموال أنفق علیهم من بیت مال المسلمین».

ومن المعطیات العظیمـة لهـذه الفریضة الالهیة، والتی بیّنها الامام الخامنئی (حفظه اللّه) فی خطاباته السـنویة لضـیوف الرحمن هو مظهر (القوة والاقتدار) باعتبارهما مفتاح التطور والنجاح، والوسـیلة اللازمة لتحقیق الحیاةالطیبة لأفراد المجتمع، ثم یضیف الی ذلک موضحاً معنی الاقتدار فیقول: «المقصود بالاقتدار الوطنی

ص: ۱۲۰

أن يتمتع المجتمع والبلد بالاخلاق والعلم والثروة والنظام السياسى الفاعل والإرادة الشعبية... غير أنّ فقدان ذلك الاقتدار سيعجّل كثيراً من الانحدار فى الانحطاط الاخلاقى والسياسى وسيسلب الشعوب دنياها وآخرتها وعلمها وأخلاقها وكلّ شىء لديها».

فأداء الحج وتوضيحه بالصورة الصحيحة والكاملة أصبح فى رأس قائمة اهتمامات الجمهورية الاسلامية فى ايران بعد الانتصار المبارك، بدءاً بالامام الخمينى رضى الله عنه الذى أكد على مجموعة كبيرة من النقاط الأساسية التى لابد من فهمها وأدائها فى الحج، بالأخص تأكيده الشديد على مسيرة البراءة من المشركين الذى تعود بالنفع الكبير على الاسلام والمسلمين، كما أوضحنا ذلك سابقاً. ومن ثم السائرون على خطاه- خاصة الامام الخامنئى (حفظه اللّه)- الذين لم يدّخروا وسعاً فى تحقيق المشروع الحضارى للحج فى الحرم الآمن، المطروح من قبل الامام القائد (الخمينى الكبير) رضى الله عنه.

وذلك انطلاقاً من قوله تعالى: جعل اللّه الكعبة البيت الحرام قياماً للناس وهذا القيام يعنى تحرك الأمة وقيامها نحو نبذ كلّ ألوان الشرك والضلالات والتحديات، تمهيداً لاكتسابها القوة، والقدرة، والطاقة من خلال مناسك الحج؛ لتحصل على الاستقلال والحركة والسيادة وتتخلص من التبعية، وتستعيد قدرتها على اتخاذ القرارات والتدبيرات اللّازمة وحسب متطلبات العصر، ووفق الدستور الالهى، ولكن للأسف الشديد، وكما يقول الإمام الخامنئى:

«لا يمتلك المسلمون اليوم على الساحة العالمية وفى معترك السياسة الدولية أىّ دور فى اتخاذ القرارات الكبرى، وفى تعيين النظام الدولى، وأفظع من ذلك فإنّ كثيراً من البلدان الاسلامية تنهج فى سياستها الوطنية منهجاً ذيلياً تابعاً، وتخضع لأحدى البلدان المستكبرة المتعنتة... لأنّ حكوماتها عميلة، وضعيفة النفس، وشعوبها مضطهدة أو مغفّلة، وعلماءها ومثقّفيها مصابون بالخوف والتغافل، وبحب البطر والراحة. هذا ما بيّنه الامام الخامنئى فى خطابه الى حجاج بيت اللّه الحرام ثم أوصاهم مؤكداً عليهم بأن يجعلوا

ص: ۱۲۱

فریضة الحج مؤتمراً یتداولون فیه تلک المشاکل والمحن، ویتدارسون فیه أفضل السبل لحلّها وتوعیة شعوبهم بکلّ ذلک».

فلابـد من السـیر الحثیث لتحقیق التوعیـة علی أفضـل سـبلها، وذلک لأنّ الاسـتکبار العاملی لا یبکی علینا لتخلفنا وتشـردنا وجهلنا، ولا یسـعی لتحضـرنا إلّا بالمقـدار الـذی یحلو له، وبالطریقة التی تعجبه؛ لاسـتغلالنا واسـتعبادنا، فیبقی هو السـید ونحن العبید الأذلاء، فتری البعض منّا یضحک ویبکی، ویذم ویمدح، ویتحرک ولکن لا یعی کثیراً مما یقول ویفعل، وکما قال مولانا أمیر المؤمنین علیه السلام: (همج رعاع أتباع کلّ ناعق).

فهـذا اللون من الحـج، مما أکـد علیه الامام الراحل رضـی الله عنه سابقاً ویؤکد علیه الامام الخامنئی (حفظه اللّه) لاحقاً، یحقق أهداف الاسـلام وغایاته، فلابد من العود الی حج رسول اللّه صـلی الله علیه و آله فی الشـکل والمحتوی، ولابد من أن تنطلق صـرخة اللّه أکبر من حناجر المستضـعفین فی مسـیرة البراءة من المشرکین؛ لینتبه المسلمون فی کلّ مکان ویعی کلّ منهم دوره والمسؤولیة الملقاة علی عاتقه، فتستعید الأمة الاسلامیة عزّتها وقدرتها اللائقة بها، حتی یؤدی الحج دوره فی التربیة والتعلیم والتوعیة المنتظمة.

وهـذا اللون من الحـج هو الـذی ینقـذ المظلومین، ویحرر المستضـعفین، ویجیب دعوةالمسـتغیثین، لاالحج الذی یُؤدی بصورة مراسـیم شکلیة خالیة من العطاء المثمر.

فالأعمال لا توزن بکثرتها، بل بکیفیتها ودوافعها، والمؤمن الواعی لا یهـدر قواه وإمکاناته فی أداء حرکات لا تؤدی الی دحر الشـیطان الحقیقی علی أرض الواقع، ولاـ تـؤدی الی بعث الأمـل فی النفـوس والی تحقیـق الهـدف المنشود. ومـا أدی بهـذه الأمـة الی الانهیـار والسقوط والذوبان، إلّابأداء الحج وباقی العبادات بالشکل الخالی من محتواها.

فبرکات الحج ومعطیاته ومنافعه کما یقول الإمام الخامنئی: «وإن کانت

ص: ۱۲۲

تستوعب کلّ جوانب الحیاة البشریة، ویعم مطر رحمتها جمیع المجالات ابتداءً من خلوة القلب والفکر، ومروراً بساحات السیاسة والاجتماع وعزّة المسلمین وتعاون الشعوب المسلمة، فتثریها وتحییها وتبث فیها نشاط الحیاة.. ولکن قد یمکن القول: إنّ مفتاح کلّ هذا هو «المعرفة»، وأولی هدایا الحج- لمن أراد أن یبصر الحقیقة ویستثمر ما ألهمه اللّه من قدرة علی فهم «الظواهر»- هی المعرفة المتکاملة، التی ینفرد بها الحج، ولا یحصل علیها المسلمون عادة إلّامن هذه الفریضة، ولا تستطیع أیة ظاهرة دینیة أخری أن تقدم للأمة الاسلامیة تلک المنظومة الکاملة من المعارف کما یقدمها الحج، ومن هذه المنظومة المتکاملة من المعارف:

معرفة الذات علی الصعید الفردی، ومعرفة الذات علی صعید الانتماء للأمة الاسلامیة العظمی، ومعرفة النموذج الموجود فی الحج من تلک الامة الواحدة، ومعرفة عظمة اللّه ورحمته، ومعرفة العدو...».

هذه البرکات والمعطیات المستخلصة من القرآن الکریم والسنة الشریفة بیّنها الامام الخامنئی فی رسائله السنویة الی ضیوف الرحمن، ودأب علیها الکثیر من الواعین المخلصین لهذا الدین والشرفاء بقدر العطاء والتضحیة، خاصة ممن تخرجوا من مدرسة الامام الخمینی الکبیر رضی الله عنه؛ لتحقیق المشروع الحضاری الکبیر وتمهیداً لتأسیس الدولة الاسلامیة العالمیة.

وخلاصة البیان، هل انتهی الحج بانتهاء أعماله..؟ ذلک ما بینه أحد تلامذة الامام الراحل رضی الله عنه السید محمد حسین فضل اللّه بقوله: «وها أنت قد انتهیت من الحج الی ساحة العمل لتنطلق فی الحیاة کلّها بکلّ أصنامها ومواقفها ومشاکلها وشیاطینها ووسائلها وغایاتها..

إنه لم ینته- الحج- بل بدأ الآن لیکون الحج.. الی الحیاة الاسلامیة التی تنتظر أکثر من حج الی الساحات الملتهبة فی الواقع الاسلامی من کلّ أنحاء العالم...

لیکون الدین کلّه للّه.. وتکون الحیاة فی خدمة اللّه...

ص: ۱۲۳

وبكلمـة واحـدة؛ إنّ إعلاـن البراءة من المشـركين فى الحرم الآـمن أطلقهـا الامـام القائـد العظيم رضـى الله عنه؛ لتمثل المرحلـة الأولى للنضال...».

الهوامش:

الامام الخمینی قدس سره فی دیوان الشاعر جواد جمیل

ص: ۱۲۴

ص: ۱۲۵

الإمام الخمینی قدس سره فی دیوان الشاعر جواد جمیل

العظیم الأخضر

کیف لی أن أکتب الشعرَ،

وکلّ الکلمات احترقت فوق یدی؟

ودمی،

یشربه الحزن الذی لوّن أمسی وغدی

وتمنّت کلّ أوتاری بأن تبکی علیکْ،

وتمنّی القلبُ

أن یفنی بشلّال یدیکْ

فَخذِ الدمعَ الذی یقطرُ،

من جمرة قلبی، وشظایا کبدی

أنت تدری...

أنّنی کنتُ أری فیکَ قِرانا،

ص: ۱۲۶

وسواقینا، وبابَ المسجدِ

وأری فیک ضحایا بلدی

وأمانینا،

وما تحکیه أنّاتُ القصبْ

أی شیء حملته الریح من صوتِکَ،

غیر الوتر الدامی وصیحات الغضبْ؟

أی شیء حملته الشمسُ،

من أحداق عینیکَ،

سوی لون اللهبْ؟

آه یاعینیک،

یا نافذَتی نورٍ علی هذا الزمان الموصدِ

حملت همسَ النبیّینَ،

وشیئاً أبدی

أی شیء حمل التأریخ من وجهِکَ،

غیر الألمِ الخافی،

وأسرار التعبْ؟

یوم کان الخَدرُ الثلجیُّ،

یمتصُّ حکایانا بثغرٍ من ذهبْ

کنتَ تلقی خوفنا،

فوق رمادِ الموقدِ المطفإ،

جرحاً، وخشبْ!

یوم کنّا نتباهی بدخان الموقِد،

رحت کالإعصارِ،

ص: ۱۲۷

تنبینا بآفاقٍ حبالی بالسحاب الأسودِ

یوم کانت شفرةُ السیف أمَهْ

کنتَ تبکی،

لِیالینا العجافِ المظلمَهْ

لم تکن «عیسی»،

فکیف اجترت حدّ الکلمهْ؟!

لستَ «إبراهیم»،

کیف انفجرت رؤیاک خنجَرْ؟!

لست «موسی»،

کیف صیّرتَ لأتباعِکَ ملحَ البحرِ سکّرْ؟!

أیّها الخالدُ،

مازلتَ علی الروح مسمَّرْ

یکبر النجمُ علی النجمِ، وقندیلک أکبرْ

وحکایاتک أکبرْ

وستبقی رغم زیف الزمنِ الیابسِ،

وهّاجاً، وأخضَرْ!

ما رأینا غیمةً، إلّاوقالت سأغادرْ

ما سألنا نجمةً، إلّاولمّت خطوها،

خلفَ خطی النجم المسافرْ

ما احتضنّا حلماً، إلّاوأبکانا،

فما لیل آخرْ

یا إلهی، ماالذی یحمله النجمُ المسافرْ؟

ص: ۱۲۸

غیرَ جرحٍ مسّه اللَّهُ،

وأهداهُ إلی ملیون ثائرْ!

موت بلون الولادة

لحکایاکَ وجوهٌ کوجوه الأنبیاءْ

ولعینیکَ عنادٌ قادمٌ من کربلاءْ

لم تکن خارج هذا الکونِ،

أو شیئاً خرافیاً،

ولکن کنتَ ما یشبه أسرارْ السماءْ

کنتَ شیئاً فیه لونُ الجرحِ،

طعمُ القمحِ،

دفءُ السفحِ، بدءُ العاصفَهْ

عمرٌ ما کسرْتهُ اللحظاتُ الخائفهْ

ویدٌ ما بحثت فی‌قافلات الجوع،

عن خبزٍ... وماءْ

إنّها تبحث عن سیفٍ، لوته الکبریاءْ

لم تکن شیئاً خرافیاً،

ولکن ما انحنی ظلُکَ

خلفَ الأمنیاتِ الزائفهْ

أیّها الموتُ کفی،

فالنخلةُ الفرعاءُ، ماتت واقفَهْ!

ولهذا سافرتْ خلفکَ کلُّ الکلماتْ

ص: ۱۲۹

وأنا، یقتلنی الصمتُ،

وتحیینی مرایا الذکریاتْ

کلّما حاولتُ أن أکتبَ شعراً،

یُغرق الدمعُ،

حروفی المتعباتْ

کلّما حاولتُ أن أنشدَ لحناً،

خشع اللحنُ.. وماتْ

ولماذا لم أقل قد خضتَ فی الجمر،

وقد خفنا رَمادَهْ؟

وتلوّیتَ علی السکین،

کی تمنح للآتین وجهاً... وإرادَهْ

وشربتَ الملحَ،

صیّرتَ لنا الجرحَ،

قلادَهْ

ولهذا، أنا لا أکتبُ مرثیةَ موتی،

إنّما أکتبُ عن موتٍ،

له لون الولادَهْ!

ص: ۱۳۰

البعد السياسى للحج فى منظار الإمام الخمينى

البعد السياسى للحج فى الرؤية الخمينية

البعد السياسى للحج فى الرؤية الخمينية

جلال الأنصارى

احتدم الجدال طويلًا، بين المدارس السيوسيولوجية، حول تفسير حركة التاريخ الاجتماعى، وقد أدلى علماء الاجتماع وفلاسفة التاريخ دلوهم فى هذه المعركة الفكرية التى تمحورت، فى النهاية، على نقطة محددة هى؛ دور البطل فى صناعة الأحداث.

فهناك من يرى أنّ الظواهر السياسية ليست نتاجاً مباشراً لدوافع فردية سيطرت على «الأبطال» و «القادة»، بقدر ما تقسرها أسبابها الاجتماعية، التى هى «العلل الحقيقية» الكامنة وراء أحداث ووقائع التاريخ..

فى حين يؤكد البعض الآخر على أهميّة دور البطل، خاصة حينما تتحقق السلطة فى «الزعيم الروحى» أو تتجسّد «القوّة» فى الرائد السياسى، أو تكمن فى كيان المحارب البطل. فالقائد الكارزمى «Charismatic Leader» عند «ماكس فيبر» هو مبعوث العناية الالهية، ويحقق الخيرات لشعبه ومجتمعه.

وبعيداً عن الخوض فى اشكالية؛ من هو محرّك التاريخ؟... أهو البطل أم أن

ص: ۱۳۱

البطل ما هو إلّا «الفرصة الاجتماعية المواتية»؟ فإن من الواضح والمتفق عليه لدى المدارس- على تباين مشاربها- هو أن البطل يعبر عن روح العصر، كمرآة تنعكس عليها ملامح الحياة ومواقفها الكلية، وبعبارة أدق؛ إنّ البطل يمثّل شعور المجتمع ووجدانه.

وفى تاريخنا المعاصر؛ تتألق التجربة الخمينية نموذجاً، وبمقدورنا أن نتوغل فى آفاق التجربة وبطلها، وفى حالة الامام الخمينى سوف لا يكون لكتّاب السير الكلمة النهائية وعندما نريد أن نتوقف على حقيقة هذا الانجاز الذى قام به الامام الخمينى رضى الله عنه ليس بإمكان أحد، أن يفهم الأبعاد العميقة لهذا الدور، مالم يرصده ضمن ظروفه الموضوعية؛ بمناخاته السياسية، وخلفياته الفكرية، ومخاضاته الاجتماعية. ومتى ما توفر المرء على ذلك، تكون الصورة قد وُضعت فى إطارها الصحيح، وبإمكان المشاهد رؤيتها من جميع أبعادها المختلفة.

ومن هنا تأتى ضرورة الإشارة- ولو سريعاً- إلى أهم معالم الفلسفة السياسية للإمام الراحل، ضمن قراءة شاملة لملامح مشروعه النهضوى، الذى انبرى له، وظل وفيّاً له، رغم كلّ المصاعب والتحديات والإحن.

ثلاثة روافد للفلسفة السياسية

وفى الحديث عن الفلسفة السياسية فى فكر الامام الخمينى قدس سره تلتقى ثلاثة روافد مهمة، لابدّ للباحث من أخذها بعين الاعتبار إذا ما أراد أن يستتم صورة متكاملة ومتجانسة عن منهج الامام الخمينى فى الشأن السياسى التغييرى، فالامام كانت تستجذب شخصيته ثلاثة عوامل استطاع الامام رضى الله عنه أن يجمعها فى شخصيته وفكره ووجوده، وبالتالى فى تجربته السياسية المنجزة، وهذه الروافد أو العوامل هى:

۱- العرفان.

۲- الفلسفة.

۳- السياسة.

وعلى هذا الأساس تمكّن الامام من أن يتوفّر على رؤية عرفانية روحية، وعلى رؤية فلسفية عقلية، وعلى رؤية سياسية تغييرية؛ وهذه الأبعاد الثلاثة

ص: ۱۳۲

التى توفرت عليها شخصية الامام الراحل تتجلى فى المجال العرفانى الذى انطوت عليه شخصية الامام الراحل، والذى برز فى طريقة تفكيره ونظرته لمختلف قضايا الحياة. وفى المجال الفلسفى الذى أظهر الامام براعة ودقة فى التعامل معه والتعرّف على دقائق مباحثه العقلية والنظرية، وفى المجال السياسى الحركى الذى أفصح الامام عن قدرة خاصة على الخوض فيه واستيعاب متطلبات التحرك فى أجوائه.

وبالقدر الذى تلاحمت فيه هذه الأبعاد الثلاثة والتصقت بشخصية الامام الراحل رحمه الله، فإنّ من العسير، إنْ لم يكن من المستحيل، التعرّف على شخصية الامام الخمينى ووعى منهجه فى التغيير الاجتماعى والدينى الذى تمثله فى فلسفته السياسية العملية، من دون الإحاطة بهذه الأبعاد الثلاثة من شخصيته؛ ومن هنا نرى- كما يقول باحث جاد- أنّ خطأً يمكن أن يتعرّض له أى باحث يستهدف دراسة فكر وتجربة الامام الخمينى فى المجال السياسى بعيداً عن التعرّف التام وبشكل مسبق على رؤيته العرفانية ورؤيته الفلسفية.

ومهما يكن من أمر، فإنّ المجال السياسى، الذى تحرّك الامام الخمينى فى أجوائه، لم يكن ينطلق فيه بلا استناد الى رؤية واضحة لمتطلبات التغيير الاجتماعى، بل على العكس من ذلك، فإنّ الممارسة السياسية التى تمثلها الامام الراحل تفصح، بما لا يقبل الشك، عن أسس متينة، ومبادئ انسانية وإسلامية شاملة ومستوعبة، كانت تنطلق منها هذه الممارسة، بمختلف صورها ومراحلها.

وتأسيساً على ذلك؛ قد يكون الحديث عن الخط الفكرى السياسى للامام الخمينى، بصورة شاملة، متعسّراً أو متعذراً، فى مقال محدود؛ لأنّ المجالات التى تحدّث عنها، أو خاض فيها، أو حارب من أجلها ليست محصورة فى حدود معينة، أو دوائر ضيّقة، بل كانت تتسع للعالم كلّه، فى دائرة الاسلام كلّه، لأنه كان ينطلق فى عمق فلسفته العرفانية إلى اللّه فى أوسع

ص: ۱۳۳

الآفاق، حتى كان يتجاوز الشكليات التقليدية فى حركة هذا الخط، وكان يتحرّك فى وعيه الاسلامى للمسألة الانسانيةفى واقع الاستضعاف والاستكبار، فيما هى آلام المستضعفين فى حركة امتيازات المستكبرين، فكان يتألّم للانسان أيّاً كان انتماؤه، ويفكر أنّ الآلام الانسانية لا تمثّل فى إيحاءاتها الشعورية مجرّد مشاعر حزينة، أو أصوات صارخة، بل لابدّ لها من أن تتمثل فى حركة فاعلة من أجل إزالة هذهالآلام، وكانيرىأنّ مسألة الاسلام فى وعى المؤمنين به، على مستوى القيادة أو القاعدة، هى مسألة الدعوة المتحركة فى كلّ صعيد؛ لتملأ فراغ الفكر الانسانى بالفكر الإسلامى، وتشحن روحيّة العاطفة الانسانية بالعمق الروحى للعاطفة فى الاسلام، وتحرّك الواقع الانسانى بالتشريعات الحركية للانسان فى الحياة، ممّا يجعل مسألة الدعوة تنفتح على السياسة كما تنفتح على الفكر، كما يدفع مسألة المعانى الروحية نحو القيم الانسانية فى الحياة.

وهذه هى الميزة البارزة فى شخصيته، التى استطاعت أن تجعل ملامحها الداخلية والخارجية وحدة فى الفكر والسلوك، على أساس وحدة الخط الاسلامى، الذى لا يبتعد فيه العرفان عن الشريعة، بل ينفذ إليها ليزيدها عمقاً فى الحركة، ولا تتجمّد الشريعة لديه فى نطاق فردى، بل تنطلق لتشمل الحياة كلّها بأبعادها العامة والخاصة فى جميع المجالات.

وفى ضوء ذلك؛ لم يكن العرفان لديه استغراقاً فى اللّه بحيث ينسى الحياة التى تضجّ حوله بكلّ آلام المستضعفين ومشاكلهم، وينعزل عن ذلك كلّه... كما يفعله الكثيرون من العرفانيين الذين استغرقوا فى الجانب الفلسفى للعرفان فعاشوا فى خيالاته التى تصوروها حقائق، وابتعدوا عن واقعهم.. فتحولوا الى كائنات إنسانيّة قد تستوحى منها بعض القداسات الروحية، لكنك لن تستوحى منها حركة الحياة فى روحية المسؤولية الحركية.

شمولية النظرة العامة

لقد استطاع أن يدمج شخصية العارف بشخصية الفقيه، ثم انطلق من

ص: ۱۳۴

ذلك ليندفع- من خلال هذه الشخصية الجديدة- الى اللّه، فى خط المعرفة والحركة معاً، ليعيش فى حياته فى شخصية الداعية الى اللّه والمجاهد فى سبيله.

ومن هذا الموقع كان انفتاحه على الأمة كلها، وعلى المستضعفين.. وهكذا رأينا كيف كانت حياته كلّها خاضعة لعناوين ثلاثة تلخّص كل العناوين الصغيرة فى حركته.

وهى: «اللّه»، و «الاسلام»، و «الأمة فى دائرة الاستضعاف» ليقابلها «الشيطان» بأحجامه الكبيرة والصغيرة والمتوسطة، فى عالم الغيب، وفى عالم الحسّ والكفر بكلّ معانيه «الفكرية والعملية، وبكل إفرازاته الواقعية فى دائرة الضلال والانحراف والظلم، والطاغوت» بكلّ رموزه الشخصية والاجتماعية والسياسية، على مستوى الفرد والجماعة والدولة.

وهذا هو سر شمولية النظرة العامة للحياة عنده، وشجاعة الموقف فى حياته، وصلابة التمرّد فى مواقفه، وصفاء الشعور فى إحساسه، وامتداد الأهداف فى كلّ خطواته، وانفتاح الثورة فى مواجهته للواقع على مستوى العالم كلّه.

ف «اللّه» هو ربّ العالمين، و «الشيطان» هو العدو الأساسى للانسان كلّه.. و «الاسلام» هو رسالة اللّه الى الناس كافة، و «الكفر» هو خط الشيطان الذى يريد أن ينحرف بالحياة كلّها، وبالانسان كلّه عن «اللّه». و «الأمة» تمثل العنوان الذى يشمل المسلمين جميعاً، كما أنّ ارتباط قضاياها بقضايا المستضعفين كلهم جعلها تنفتح على كلّ قضاياهم فى العالم كلّه.. والطاغوت الفردى والجماعى والدولى يمثل كل مواقع الطغيان الفكرى والعملى فى واقع الانسانية كلّه.

وهذا هو الذى يجعلنا نلاحظ تكرر هذه الكلمات فى كلّ كلماته، بحيث لا تغيب عن لسانه فى كلّ مناسبة من مناسبات الصراع.

من الواضح أنّ الامام الخمينى تحرّك ضمن مشروع سياسى نهضوى واسع الأبعاد، ومتعدد الجبهات والجهات، ولقد كان الامام معنيّاً بهموم ومشاكل

ص: ۱۳۵

وأزمات الوضع الاسلامى العام بالمستوى الذى كان معنيّاً بالوضع السياسى لبلده الأم دون أن يغفل هموم المستضعفين فى إطارها الانسانى الواسع.

الحديث غير المألوف

قد يحلو للبعض الحديث عن الامام الخمينى والمشروع الحضارى الاسلامى وكأنه حديث كما المألوف فى الأنماط المشابهة عن منظِّر ونظريته، أو منظِّر ونظريّة، مما يقتضى- بالتالى- طرح موضوع بات من قبيل لوازم الفكر السياسى المستهلك، وتداعيات العلاقة بين الفكر والواقع، وهو موضوع:

النظرية والتطبيق.

فمن التعسّف اعتبار الامام «منظِّراً» بالمعنى الرائج للمصطلح، «فالنظرية» فعل إنسانى و «التنظير» من شأن البشر.

أما فى الإلهى فثمة أحكام وشرائع وأوامر ونواهى وسنن لا مجال للشك فى صحتها ومصداقيتها وخيرها لمصلحة المستخلف البشرى على الأرض. وأهم من ذلك كلّه أن الإخلال بها والنكوص عنها مستوجب لاعباء ومسؤوليات وعقوبات موصوفة فى الدنيا والآخرة.

وفى هذا السياق؛ لم يعرف التاريخ الاسلامى، بعد الأئمة، قائداً ومفجراً لثورة، تحققت أم لم تتحقق، برؤية ثاقبة مهدية وهادية بالمستوى الذى تجلّت فيه رؤية الامام الخمينى. وليس هذا الحكم إسقاطاً عاطفياً، ولا صادراً عن حالة ولاء شخصانية، كما يقول د. سمير سليمان. ففكر الامام وسيرة جهاده الطويل، ومسيرته العملية والسياسية والشخصية، هى بذاتها تحدٍّ كبير للباحثين الموضوعيين، فليسبروا أغوار هذا الرجل التاريخى، ولو كانوا فى موقع الخصم الايدولوجى.

وإذا كان إيمان الامام بمصداقيّة و عقيدة المشروع الذى استنقذه، وبحتميّة تحقيق أهدافه، وصوابيّة الدعوة إليه، جزءاً لا يتجزّأ من إيمانه المطلق بمصدر المشروعومبدئه وأصله، ويقينه بخيريته المطلقة، فإنّذلك الايمان صادر- أيضاً- عن إيمان بأهل هذا المشروع وعشيرته وقابليات الأمة التى تحتضنه، بما هى مجتمع انسانى متحرّك متحد فكراً

ص: ۱۳۶

وعقيدةً ومذهباً وطريقاً، لا على مستوى الفكر فحسب، بل على المستوى العملى أيضاً. فأفراد الأمة الواحدة- من أى لون أو دم أوأرض أو عرق كانوا- يفكرون بطريقة واحدة، ولهم إيمان مشترك واحد، ويتحركون بإتّجاه مثل أعلى واحد يكملون فيه ويتكاملون، ويخضعون لقيادة سياسية واجتماعية واحدة. والأمة بهذا المعنى هى الأمة الاسلامية. والملفت أنّ الامام قلّما استخدم هذا المصطلح فى كتاباته وخطبه ومحاضراته، غير أنه استخدم- بكثافة ملحوظة- مصطلحات متعددة مثل: الناس، المسلمون، المستضعفون، المظلومون، المحرومون، الجماهير، أهل السوق والشارع والعامل والفلاح والطالب والجميع... الخ، وذلك بذات دلالات مصطلح «الأمة» الذى اعتبره السيد محمد باقر الصدر مرادفاً لمصطلح «المجتمع». إلّاأنّ الامام فى استخدامه بعض هذه المصطلحات كان يتجاوز- غالباً- الدلالات التى يحتملها مصطلح الأمة الاسلامية/ المجتمع الاسلامى بما هو مصطلح مخصوص بالمسلمين؛ ليضيف إليها بعداً أشمل ودلالة أعم، لتضم الانسانية بأجمعها، خاصة فى مصطلحات مثل:

«المستضعفون»، «المظلومون»، «المحرومون»، «الناس»، وذلك وفاق ما يقتضيه الموضوع ومقدماته فى الشأن الذى يخوض فيه.

حيال هذا التعدد المصطلحى، فى نصوص الامام، لا يلمس الباحث أى تعثّر أو تداخل أو غموض فى المفاهيم يمكن للتعدد أن يقود إليها، كما هى الحال عند كثير من المفكرين المرموقين.

فحركة فكر الامام تبقى على الدوام منضبطة فى سياق ثوابت المشروع الإسلامى الذى يضطلع بحمله، ومنبثقة من نظرته الكونية التوحيدية، بما هو هاد الى أهداف دينامية متعددة تلتقى فى هدف واحد كلّى، وبما هو محدد لمنهج تحقيقها، فالهدف الكلّى هو إقامة حكم اللَّه فى الأرض، بنموذجه الحضارى الالهى ولوازمه وأحكامه العادلة، باعتبارها بسطاً للعدالة الالهية بين الناس، واجلالًا للنظام الالهى فى

ص: ۱۳۷

العالم، «فقد جاء الاسلام ليوحّد شعوب العالم تحت اسم الأمة الاسلامية» بتعبيرالامام.

الحج؛ منظومة فقهية

ولمّا كان الاسلام منهج حياة، فإنه يتسم بالشمولية والتكامل وتلبية حاجات البشرية فى كلّ زمان ومكان.

إن للإسلام قواعد ومبانى يبتنى عليها، ويتكئ عليها، وينهدم دونها، ولا يبقى له بدونها إلّاالاسم العارى من المسمّى.

ومن تلك المبانى الحج، حيث يقول الامام الباقر عليه السلام: «بُنى الاسلام على خمس: الصلاة والصوم والزكاة والحج والولاية»، فمن ترك الحج متعمداً فقد هدم ركناً من أركان دينه الإلهى فينهدم معه الاسلام الكامل؛ ولذا قال تعالى فيمن تركه عمداً... ومن كفر فإنّ اللّه غنى عن العالمين، حيث عبّر عن تركه العمدى بالكفر، فتاركك الحج عمداً كافر عملًا، وإن لم يكن كافراً إيماناً واعتقاداً. وحيث إنّ الحج من مبانى الاسلام. فجميع ما ورد فى شأنه لابدّ وأن يتبلور فى الحج ويكون الحج مُمثلًا إيّاه ومجلىً لظهوره.

ويندرج الحج ضمن سلسلة اجتماعات المسلمين، بحيث يأتى تتويجاً لها، وأهمها لجهة الشمول والاتساع.

أمّا أول هذه الاجتماعات فهو «على مستوى أهل الحى الواحد من البلد، يتكرر فى اليوم خمس مرات، وقد شرعاللّه صلاة الجماعة، أما ثانيهما؛ فاجتماع على مستوى أهل البلدة الواحدة، يتوالى مع كلّ اسبوع، وقد شرع له صلاة الجمعة، وأما ثالثهما؛ فاجتماع على مستوى العالم الاسلامى أجمع.. حيث يتلاقى المسلمون من شتى بقاع الأرض، ليتعارفوا، ويتبادلوا الآراء والخبرات، ويغلّبوا وحدتهم على ما يغالبها من انتماءات تاريخية واجتماعية وثقافية مختلفة.

وهكذا نجد أنّ الحج- كفريضة- يحتل موقعاً أساسياً فى بناء حركة المجتمع التوحيدى، إذ تعتبر هذه الفريضة أحد أركان الاسلام، فالجماعة المسلمة تتعامل مع الحج باعتباره فريضة على كلّ مسلم ومسلمة الى يوم الدين، مهما تغيرت الظروف وتقلبت

ص: ۱۳۸

الأحوال: وللّه على الناس حجّ البيتمن استطاع إليه سبيلًا ومن كفر فإنّاللّه غنى عن العالمين.

ويتواصل الحج مع منظومة عبادات لدى المسلمين، تبدأ بالصلاة والصوم، وتتوّج بالحج. إلّاأنّ هذه العبادات المختلفة، رغم ما يجمعها من خصائص مشتركة، يبقى لكلّ منها خاصية وفرادية.. لذا فالحج، كظاهرة يمكننا القول: إنها فى الوقت الذى تندرج فيه ضمن نظام أعم من العبادات تحمل منطقها وقواعدها ووظائفها المميزة.

إنّ القيام بالحج ليس أمراً عفوياً يقوم به المسلم كيفما اتفق، انطلاقاً من قناعاته الفردية أو تأثراً بالمناخ الحقوقى والقانونى الذى ينظّم العلاقات الاجتماعية المختلفة فى البلد الذى يعيش فيه، ولا انطلاقاً من العرف الذى يحكم القبيلة أو الطائفة التى ينتمى اليها.

فالحج تحكمه منظومة فقهية تفصيلية، يتعامل معها المسلمون على أنها شروط إلهية ورسالية، لا يحق للفرد أو الجماعة أو الأمة، فى أية مرحلة من مراحل التاريخ وفى أية بقعة من بقاع الأرض، أن يجروا أىّ تعديل عليها، مهما كان الموقع الذى يتبوؤنه فى السلطة وفى الحياة العامة.

البعد السياسى للحج

تنطوى شعائر الحج على الكثير من المضامين العبادية والدلالات السياسية، فى آن معاً، وقد كانت القبائل عندما تؤم مكة فى موسم الحج، تحمل كلّ منها أعلامها المميزة وأصنامها، ومؤكدة بذلك على تمايزها القبلى أو على ترتبتها وعلو شأنها بين القبائل الأخرى.

ولكن الحج، بعد الدعوة، أرسى مؤسسة جديدة تتعارض بل تلغى كافة هذه الممارسات والشعائر، خالقة حالة توحيدية خالصة، تؤمّن للمسلمين إحدى الدعائم التى تجعلهم قادرين على مقاومة الانشدادات المختلفة؛ من قومية وقبلية وما الى ذلك....

وعليه، فالحج كما يتّضح من الكتاب والسنة وسيرة السلف وأقوال العلماء لا يتلخّص فى كونه موسماً عبادياً (بالمفهوم المألوف عند كثيرين)، بل هو الى جانب ذلك مؤتمر سياسى عالمى وملتقى اجتماعى عام يوفّر للمسلمين القادمين

ص: ۱۳۹

من شتى أنحاء المعمورة فرصة التعارف، والتآلف، واللقاء بعضهم ببعض، وانتفاع بعضهم ببعض، ومداولة أمورهم وحل مشاكلهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى جو من الأمن والقداسة والصفاء والمحبّة.

لقد وصف القرآن الكريم «الحج» فى عدّة مواضع بأن فيه ما ينفع الناس ويضمن مصالحهم، كما أنّ السنّة والسيرة النبوية الشريفة هى الأخرى تشير إلى أنّ النبى صلى الله عليه و آله مارس الأعمال السياسية فى الحج، فضلًا عن الأحاديث التى تفيد بأن الحج نوع من الجهاد كقوله صلى الله عليه و آله: «نعم الجهاد الحج».

ولعل ما جاء وصحّ عن الرسول صلى الله عليه و آله من الأدعية والأذكار فى الحج تلك التى تتضمن معانى سياسية الى جانب معانيها التوحيدية خير شاهد على أنّ الحج موسم مناسب لأن يظهر فيه المسلمون موقفهم من أعداء اللَّه والاسلام.. كالدعاء: «لا إله إلّااللَّه وحده وحده، أنجز وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده».

وقد أشار كثيرمن علماء الاسلام والمفكرين الاسلاميين الى ما ترمز إليه هذه المناسك من امور معنوية، واقتصادية، واجتماعية وسياسية. كما ورد فى البخارى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما قدم النبى صلى الله عليه و آله عامه الذى استأمن فيه (أى قدم مكة للعمرة) قال لأصحابه: إرمِلوا (أى اسرع فى المشى، وهزّ منكبيه) ليرى المشركين قوتهم.

وفى البخارى ومسلم أيضاً قال ابن عباس: «إنما سعى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالبيت وبين الصفا والمروة ليرى المشركين قوته».

وهذا يشير الى أنه يجوز أن يضم الحاج الى مناسكه مقاصد سياسية وأغراضاً جهادية مثل إرهاب الأعداء واستنكار أعمالهم، وشجب مؤامراتهم وفضح خططهم.. كما يوحى بذلك عمر ابن الخطاب إذ كان يقول إذا كبّر واستلم الحجر: «بسم اللَّه واللَّه أكبر على ما هدانا، لا إله إلّااللَّه لا شريك له، آمنتُ باللَّه وكفرت بالطاغوت».

إنّ التاريخ يحدّثنا أنّ السلف الصالح لم يقتصر فى الحج على المناسك

ص: ۱۴۰

والعبادة، بل استغلوا هذه المناسبة للعمل السياسى كجزء طبيعى من هذه الفريضة، لا كشىء زائد عليها أو أجنبى عنها، فها هو الامام الحسين بن على سبط الرسول صلى الله عليه و آله يحتج على حاكم جائر من حكام زمانه فى يوم من أيام الحج.

بل ووجد غير المسلمين فرصتهم فى الحج ليعرضوا على الخليفة شكاواهم فيقوم الخليفة بانصافهم فى زمن الحج، لا بعدئذ، كما هو الحال فى قصة ابن القيطى الذى ضربه ابن عمرو بن العاص (والى مصر يومئذ).. فاقتضى عمر بن الخطاب الذى اقتص من المعتدى على مرأى ومسمع من ألوف الحجيج، وقال كلمته الشهيرة: يا عمرو «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟!».

حول هذه الحادثة، يعقّب أحد العلماء المعاصرين بقوله: «فإذا كان الحج موسماً لبيان الظلامات والشكاوى من الحكام والولاة المسلمين، أفلا- يكون من الأوْلى أن يجوز فيه الشكوى من الاستعمار وأذنابه وعملائه، واستنصار المسلمين عليهم؟ وهل يجوز أن نشكو الوالى المسلم إذ تعدّى حدوده، ولا- يجوز أن نشكو المستعمر الظالموالأجنبى الغازى، وهو يرتكب كلّ تلك الجرائم والمجازر؟

فلسفة الحج عند الامام

إنّ الدلالات السياسية المختلفة التى تتضمنها ظاهرة الحج فى المجتمع الاسلامى تنطوى على سمات خاصة بهذا المجتمع، فالسياسة ليس مؤسسة قائمة بذاتها ومنفصلة عن باقى جوانب وأبعاد الحياة الفردية والجماعية. بل هى لحظة تتدرج ضمن ممارسة شمولية متعددة الجوانب، تعطى للنسق السياسى الاسلامى بعداً توحيدياً متميّزاً.

وإذا ما وعينا هذه الحقيقة جيداً، نستطيع أن نفهم أهميّة النداءات والتوجيهات التى أطلقها الامام الخمينى، بشأن الحج والحجيج، إنّها نداءات وتوجيهات نابعة عن فهم واعٍ حركى للإسلام، أو هى بعبارة أخرى منطلقة من نظرة واعية للدور الذى يستطيع الحج أن ينهض به على ساحة

ص: ۱۴۱

التاريخ.

وقبل استعراض هذه النداءات والتوجيهات، لابدّ من الوقوف على عمق فلسفة الحج عند الامام الراحل.

فالطواف حول الكعبة يرى فيه الامام الخمينى رمزاً لحرمة «الطواف والسعى حول (أية مبادىء) غير مبادئ اللّه، وأن رجم الشيطان هو رمز لرجم كلّ شياطين الانس والجن فى الأرض. أيها الحجاج..

احملوا من ربكم نداءً الى شعوبكم، أن لا تعبدوا غير اللّه وأن لا تخضعوا لغيره».

ولا يذهبنّ الظن بالبعض أنّ الامام الخمينى قد انتبه مؤخراً الى هذا الفهم، وتحديداً بعد انتصار ثورته الاسلامية، بل إنه تصدّى الى قضايا المسلمين منذ وعى دوره التاريخى، وقبل هذا الزمن بفترة ليست بالقصيرة. ولقد اقترنت اهتمامات الامام الراحل بموسم الحج باهتماماته الرامية الى إصلاح أوضاع المسلمين، وتغيير ما هم عليه من ركود وخنوع وذل واستكانة. الامام أكّد دوماً على ضرورة استثمار هذه الفرص التى وفّرها الاسلام للمسلمين من أجل إعادة الاسلام الى مسرح الحياة، وإعادة تكوين الأمة المسلمة الفاعلة على الساحة التاريخية.

يقول الامام قدس سره فى بداية نفيه الى النجف الأشرف: «فى الدول غير الاسلامية تنفق الملايين من ثروة البلاد وميزانيتها، من أجل عقد مثل هذه الاجتماعات، وإذا انعقدت فهى فى الغالب صورية شكلية تفتقر الى عنصر الصفاء وحسن النية والاخاء المهيمن على الناس، فى اجتماعاتهم الاسلامية، ولا تؤدى بالتالى الى النتائج المثمرة التى تؤدّى إليها اجتماعاتنا الاسلامية.

وضع الاسلام حوافز ودوافع باطنية تجعل الذهاب الى الحج من أغلى أمانى الحياة، وتحمل المرء تلقائياً الى حضور الجماعة والجمعة والعيد بكلّ سرور وبهجة. فما علينا إلّاأن نعتبر هذه الاجتماعات فرصاً ذهبية لخدمة المبدإ والعقيدة؛ لنبيّن فيها العقائد والأحكام والأنظمة على رؤوس الأشهاد وفى أكبر عدد من الناس.

علينا أن نستثمر موسم الحج، ونجنى منه أطيب الثمار فى الدعوة الى الوحدة والدعوة الى تحكيم الاسلام فى الناس

ص: ۱۴۲

كافة، علينا أن نبحث مشاكلنا ونستمد حلولها من الإسلام. علينا أن نسعى لتحرير فلسطين وغيرها.

المسلمون الأوائل كانوا يجنون من جماعاتهم وجمعاتهم وأعيادهم ومواقف حجهم أحسن الثمار».

التأكيد على الجانب السياسى والاجتماعى

هـذا هو الامام الخمينى رحمه الله فى كلّ المواقف والمنعطفات. رؤيـة ثاقبـة واعيـة لا تحيـد عن الاسـلام. ولهذا فهو- انطلاقاً من فهمه الواعى الصـحيح للاسـلام- لا ينظر الى الأحكام نظرة تجزيئيـة بل ينظر إليها باعتبارها كلًّا واحداً لا ينفصل بعضـها عن بعض. الأحكام العباديـة والسياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة والتربوية تقوم على قاعدة واحدة، وترتبط مع بعضـها بأواصـر وثيقة لتشـكّل أساس كيان المسلمين وحركتهم المتسامية.

يقول الامام الراحل قدس سره: «كثير من الأحكام العبادية تصدر عن معطيات اجتماعية وسياسـية، فعبادات الاسلام عادة توأم سياساته وتدابيره الاجتماعية.

صلاة الجمعـة مثلًا واجتماع الحـج والجمعـة تؤدى- بالاضافـة الى ما لها من آثار خلقيـة وعاطفية- الى نتائج وآثار سياسـية. اسـتحدث الاسـلام هـذه الاجتماعات وندب الناس إليها، وألزمهم ببعضـها حتى تعم المعرفة الدينية وتعم العواطف الأخوية، والتعرّف بين الناس، وتنضج الأفكار وتنمو وتتلاقح، وتُبحث المشاكل السياسية والاجتماعية وحلولها».

وفى نـدائه الى حجـاج بيـت اللّه الحرام عـام ۱۳۹۹ ه. قـال رحمه الله: «الاسـلام دين عبـادته سـياسة، وسياسـته عبـادة. والآـن اذ يجتمع المسـلمون من شتى بقاع الأرض حول كعبـة الآمال لحـج بيت اللّه، وللقيام بالفرائض الالهيـة، وعقد هذا المؤتمر الاسـلامى الكبير، فى هذه الأيام المباركة، وفى هذه البقعة المباركة.. يتوجّب على المسلمين الذين يحملون رسالة اللّه تعالى أن يستوعبوا المحتوى السياسى والاجتماعى للحج اضافة الى محتواه العبادى».

وفى الوقت الذى يبثّ فيه الامام الوعى فى أوساط الأمة، مؤكداً أنّ

ص: ۱۴۳

الحج فرصة من فرص العودة الى الذات... نراه يثير انتباه جموع الحجيج الى طريق الخلاص، وما يكتنف العالم الاسلامى من تحديات: «إنكم تعرفون أن القوى الكبرى تنهب ثرواتنا المعنوية والمادية، وتتركنا فى فقر، تحت سيطرتهم الاقتصادية والسياسية والثقافية، ولا يمكن التخلّص من هذا الوضع إلّا بالعودة الى شخصيتنا الاسلامية، ورفض الظلم والطغيان من أى مصدر كان، وفضح القراصنة الدوليين وعلى رأسهم أمريكا».

وبهذا الهدف الشمولى الانسانى أعاد الامام بعث المشروع الحضارى الاسلامى، فمن لوازم عقيدة التوحيد إيمان كلّ مسلم «بأنّ الدين الاسلامى سيسود العالم.. وسيمحو آثار الكفر والاستكبار عن وجه الأرض». إلّاأنّ هذا الهدف الاستراتيجى غير متحقق إلّا انطلاقاً من تحقيق هدف مركزى دينامى يتمثل فى قيام حكومة اسلامية تمهيدية، حيث يمكن للمسلمين أن يقيموها، وحيث تتوفر المناخات والظروف الآيلة إليها، فكان أول العقد فى ايران، إذ اندلعت الثورة الاسلامية فيها على يدى الامام الخمينى نفسه بعد نضوج مقدماتها التكاملية وجهاد استمرّ متواصلًا جاداً على مدى ما يناهز الربع قرن من الزمن. لكن هذه الثورة لم تكن إلّاالخطوة الأولى فى المشروع الكبير، بما هى ثورة من أجل العالم الاسلامى، ومن أجل المستضعفين فى العالم فى الوقت نفسه.

يقول الامام: «إنّ هذه الثورة قد قامت بالدرجة الأولى من أجل العالم الاسلامى، وبالدرجة الثانية من أجل المحرومين والمستضعفين الذين يسعون من أجل تحريرهم.. وبهذا المعنى فإنّ الثورة الاسلامية الايرانية ليست فريدة ومقتصرة على نفسها، بل هى بداية ثورات تماثلها فى الهوية والميزات».

وهذا يعنى- فيما يعنى- أنّ ايران للاسلام وفى خدمة الاسلام، وليس العكس، أى أن ايران ليست للايرانيين، كما يحلو للبعض رفع هذا الشعار، بل إنّ الثورة الاسلامية قامت من أجل المحرومين والمستضعفين، فهى- حسب الرؤية الخمينية- ملاذ

ص: ۱۴۴

لهؤلاء وداعم لهم، فكيف بالمسلمين الذين هم أولى من غيرهم بهذا الحق..؟!

كان لابدّ للثورة النموذج من أن تنبعث من مكان جغرافى، شاء اللّه أن يكون ايران (بعدما نضجت فيها مقومات الانتفاض وأسبابه)، لكنها انطلاقة الى كلّ الأمكنة والى كلّ الشعوب بهدف وحدوى توحيدى هو:

«تثبيت واستقرار القيم الاسلامية وحدها».

ولم يفارق خطاب الامام التبليغى هذه المعادلة قط. فلحظ وحدة المشروع مرتبط عنده دائماً بلحظ وحدة العالم والانسان، والمسلمون والمستضعفون فى الأرض هم المكلفون، وهم المعنيون بالتحرك والسعى لإنقاذ حكم اللّه ونظامه، وما المشروع الالهى إلّالاستنهاضهم وتحريرهم من كلّ العبوديات، فهو الهادى المؤدى الى الحق والعدالة، والقسط وخير الانسانية وهم المهتدون، ودور المبلغين والقادة هو إنجاز الارتباط المعرفى بين مشروع الهداية والمهتدين العتيدين.

مسؤولية أصحاب الكلمة فى الحج

ولتفعيل الخطى باتجاه هذا الهدف الكبير، لابدّ أن ينبرى الرساليون الى ممارسة دورهم الطليعى فى توعية الأمة، وبث روح العزيمة فى جوانحها، ويتعزّز، هنا، دور أصحاب الكلمة، خاصة فى الحج، فأصحاب القلم والبيان ينبغى أن يعيشوا هموم الأمة المسلمة، وينهضوا بمسؤولية توعية الجماهير على مشاكلها، ودفعها على طريق عزتها وكرامتها. مسؤولية الالتزام الفكرى تفرض على الكتاب والخطباء أن ينزلوا من الأبراج العاجية، ويبتعدوا عن التزلّف لمراكز القوة، ويندمجوا بالأمة الاسلامية الكبرى.

الحجّ أفضل فرصة لهؤلاء، كى يتفاعلوا بالمسلمين فى كافة الأقطار، ويتفهموا ما يعانى منه المسلمون عن كثب، وينهضوا بمسؤولية التوعية اللازمة على أوسع نطاق.

الامام الخمينى- إذ يدعو الكتّاب والمفكرين والمثقفين الى انتهاج هذا

ص: ۱۴۵

الخط الجماهيرى الملتزم- لا يقصد طبعاً أن يجتمع هؤلاء فى أروقة مرمرية داخل القصور المشيّدة فى الأرض المقدسة، بل يطالب ذوى الكلمة أن يعيشوا بمعزل عن إيحاءات مراكز القوة، وعن مراكز شراء الذمم والأقلام، فيندمجوا فى أوساط الجماهير ويبثّوا بينها التوعية اللازمة، كى يكون موسم الحج مركز إشعاع فكرى ومركز توعية عامة لكلّ الأقطار الاسلامية. يقول:

«على العلماء (المسلمين) أن يشتركوا فى هذا التّجمع من مختلف الأصقاع، ويتبادلوا الآراء ويبثّوا التوعية بين المسلمين المتجمعين فى مهبط الوحى؛ لتنتقل هذه التوعية بعد ذلك الى جميع الأقطار الاسلامية».

ويقول أيضاً: «على المسلمين الملتزمين الذين يجتمعون مرّة كلّ عام على صعيد المواقف الشريفة، ويؤدون واجباتهم الاسلامية فى هذا التجمع العام والحشد الالهى بمعزل عن الامتيازات، وبمظهر واحد، ودون اهتمام بما يميّز بينهم من لون أو لغة أو بلد أو منطقة، وبأبسط المظاهر المادية وباندفاع نحو المعنوية.. عليهم أن لا يغفلوا عن الجوانب السياسية والاجتماعية لهذه العبادة.

على العلماء الأعلام والخطباء أن ينبّهوا المسلمين على مسائلهم السياسية وواجباتهم الخطيرة.. هذه الواجبات التى لو عمل بها المسلمون واهتموا بها لاستعادوا عزّتهم التى أرادها اللّه للمؤمنين، ولبلغوا مفاخرهم الاسلامية الالهية التى هى من حق المسلمين، ونالوا الاستقلال الواقعى والحرية الحقيقية فى كنف الاسلام العزيز، وتحت بيرق التوحيد وراية «لا إله إلّااللّه»، وقطعوا أيدى المستكبرين وعملائهم فى البلدان الإسلامية، وأعادوا مجد الاسلام وعظمته».

ولا ينفك الامام الراحل عن تذكير قادة الرأى بمسؤولياتهم الجسام إزاء أمتهم وإسلامهم: «ينبغى أن يجتمع المفكرون والكتّاب والمثقفون والعلماء والمسؤولون فى موسم الحج لدراسة مشاكل الاسلام والمسلمين السياسية والاجتماعية على الصعيد العالمى».

ص: ۱۴۶

الكعبة.. هى المنطلق

من خصائص الجسم الحى الحركة، وعدم الحركة فى الجسم الحى يعنى شلله، ويعنى أنه أصبح عرضةً لفتك أنواع الموجودات الغريبة. والحج حركة دائبة، حركة نحو اللّه. أى نحو التكامل الفردى والاجتماعى، ومن مستلزمات الحركة إزالة العوائق من طريقها، وتحشيد الطاقات نحو بلوغ أهدافها.

الامام الخمينى ينظر الى الحج بهذا المنظار الاسلامى الأصيل، ويعتقد أنّ الكعبة ينبغى أن تكون منطلق حركة الأمة نحو التخلص من سلبياتها والقضاء على مذليها وظالميها، ونحو إزالة مايقف بوجه استعادة وجودها وكيانها يقول الامام رحمه الله: «وأنتم يا حجاج بيت اللّه الحرام الذين بادرتم من كلّ أطراف الدنيا نحو بيت اللّه.. مركز التوحيد، ومهبط الوحى، ومقام إبراهيم ومحمد صلى الله عليه و آله أعظم رجلين؛ محطمى الأصنام ومعترضى المستكبرين.. أنتم الذين وقفتم على المواقف الكريمة حيث كان فى عصر الوحى أراض جبلية جرداء، وجدباء لا ـ ماء فيها ولا ـ زرع، لكنها كانت محط هبوط ملائكة اللّه، وهجوم جنود اللّه، وتوقّف أنبياء اللّه، وعباد اللّه الصالحين.

الآن عليكم أن تعرفوا هذه المشاعر وتعبئوا أنفسكم من مركز تحطيم الأصنام الكثيرة المتجسدة فى صورة القوى الشيطانية والابتزازية المعادية للانسان، ولا تخشوا هذه القوى الخاوية من الايمان، واعقدوا فى هذه المواقف العظيمة- بعد الاتكال على اللّه- عهد الاتفاق والاتحاد فى مواجهة جنود الشرك والشيطان، واحذروا التفرّق والتنازع ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم.

وفى مناسبة أخرى يقول الامام رضى الله عنه:

«الآية الكريمة جعل اللّهُ الكعبة البيت الحرام قياماً للناس توضّح سر الحج وبواعثه، والغاية من الكعبة والبيت الحرام، وهى نهوض المسلمين وقيامهم فى سبيل مصالح الناس والجماهير المستضعفة فى العالم».

الانضواء الكفاحى

بهذه الروح الشفّافة الواعية المنفتحة على هموم الواقع وتحدياته... يمضى

ص: ۱۴۷

الامـام الراحل فى تشـخيص الخلل وإعطاء البـديل. ولو تسـنّى لنا متابعـة كلّ ما ذكره فى خطاباته وكتاباته ووصاياه؛ لوجـدنا أنّ الامام رحمه الله لاـ يفتأ يميط اللثام عن اشـكاليات المرحلـة، ولا يتوانى عن اسـتعمال مبضـعه كالجرّاح فى العلاج، كلّ ذلك فى نطاق التزام صارم بالمشـروع الاسـلامى، والانضواء تحته، مهما كانت الظروف، ومهما بلغت التحديات، فالخمينى لا يعرف شـيئاً اسمه الانصياع أو حتى التراجع!

هذا الانضواء الكفاحى، على صعيد حركة التبليغ والدعوة، كما نلاحظ- يقول كاتب مرموق- يصل عند الامام الى مستوى الذوبان فى المشـروع الاسـلامى، فلا يتنفس إلّامن خلاله، منفتحاً به على أصحاب الحق، يلاحقهم الى أقصى مكان فى الأرض مرشداً وشاهداً غير مضطرب ولا متعثّر. فإيمانه بهم يعدل إيمانه بشرعية مشروعهم الذى هو مشروعه فى كلّ حال. ولا يستثنى فى دعوته الى الاسلام أحداً من الأمـة. وهو وإن خاطبهـا بكليتها أفقياً، فلم يفته التوجه أيضاً الى شتى شـرائحها العموديـة من أهل الشارع الى الحكام، فلا أحـد فى الأمة محسوب خارج نطاق الرسالة:

«انفخـوا فى أهـل السـوق والشـارع، وفى العامـل والفلاـح والجـامعى، روح الجهـاد، فيهـب الجميـع الى الجهـاد... الكـلّ يطلب الحرية والاستقلال والسعادة والكرامة» بذلك يوصى الامام المبلغين ليوصى المبلغون غيرهم، فتنتقل الحركة بالرسالة من حلقة الى حلقة، ومن يد الى يد لتبلغ الهدف النهائى.

وعلى مدى عمره الحافل بالعطاء والمواقف المشـهودة... لم يتخلَّ الإمام يوماً عن اداء مهامه الثقيلة، حتى وهو فى آخر شيخوخته. ولقد حملت نـداءاته المتكررة الى حجاج بيت اللّه الحرام الكثير من توجيهاته القيمـة فى هذا الاتجاه. وهنا نقف- بشـكل خاص- أمام ندائه الذى وجهه لهم عام ۱۴۰۰ ه. كعيّنة لتلك النداءات، ولما تنطوى عليه من أفكار ورؤى وحلول.

الحج؛ منطلق الوحدة

لئن كانت الحركة مظهراً ضرورياً فى حياة الأمة المسلمة، فإنّ وحدة أجزاء

ص: ۱۴۸

الأمة أكثر ضرورة للحياة؛ لأنّ تفككك الأجزاء يعنى فقدان الجسد الواحد.

والأمة الاسلامية ينبغى أن تكون كالجسد الواحد.. إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى.

والوحدة أيضاً ضرورة لازمة للوقوف بوجه أنواع التحديات التى تجابه المسلمين.

أهمية وحدة المسلمين تتجلى فى تأكيد الاسلام على التجمعات الاسلامية فى الجماعات والجمعة والأعياد، وتأكيده على تكوين الجسد الواحد والبنيان المرصوص. كما تتجلّى أيضاً فى المؤامرات الواسعة المدروسة، التى يدبرها أعداء الاسلام لتفريق صفوف المسلمين.

الامام الخمينى يؤكد مراراً فى أحاديثه على أهمية رص صفوف الأمة، ويحذّر الأمة من كلّ تفرّق وتشتت، ويعتقد أنّ موسم الحج أفضل فرصة لتوثيق أواصر الوحدة والتفاهم والتعاون والتعاضد بين المسلمين، يقول:

«لماذا لا يلتزم المسلمون وحكوماتهم بالأحاديث النبوية الكريمة التى جاء فيها:

المسلمون يد واحدة على من سواهم؟! لماذا لا يوجد بينهم إلّاالخلاف المستمر؟!

إنّ مشكلة المسلمين تتمثل اليوم فى نشوب الاختلافات بينهم، والمستعمرون وضعوا خطة بث الخلافات بين المسلمين بعد الحرب العالمية، حين واجهوا قوة الاسلام، ففصلوا الحكومات الاسلامية عن بعضها، وألقوا الخلافات بين المسلمين، وجعلوا الحكومات الاسلامية متعادية مع بعضها.

يجب حل هذه المشكلة فى يوم العيد، فى يوم عرفة فى بيت اللّه، حيث ينبغى أن يجتمع الحكام فى مكة المعظمة تلبية لأمر اللّه تبارك وتعالى، ويطرحوا المشاكل التى يواجهونها، ووضع الخطط الكفيلة بالتغلّب على هذه المشاكل.

إذا تمّ هذا الأمر لا تتمكن أية قوّة أن تتحداكم».

ويقول أيضاً:

«من واجبات المسلمين فى تجمع (الحج) العظيم دعوة الشعوب والمجتمعات الاسلامية الى وحدة الكلمة ونبذ الخلافات بين المسلمين، وعلى

ص: ۱۴۹

أصحاب القلم والبيان أن يبذلوا ما وسعهم على هذا الطريق، وفى سبيل إيجاد «جبهة المستضعفين»، ويحرروا أنفسهم بوحدة الكلمة وتحت شعار لا اله إلّااللّه من أسر القوى الشيطانية ومن براثن الأجانب والمستعمرين والمستغلين».

وفى جانب من النداء التاريخى يقول الامام مشيراً الى دور أمريكاً فى بث الفرقة وزرع الفتنة: «الشيطان الأكبر (أمريكا) دعا فراخه لإلقاء بذور التفرقة بين المسلمين بكلّ الحيل والوسائل، وجرّ الأمة الاسلامية والاخوة فى الايمان الى الاختلاف والعداء؛ ليفتح أمامه السبيل الى مزيد من النهب والهيمنة».

وبعد أن يضع يده على بعض أساليب الشيطان الأكبر وأتباعه فى إثارة التناحر والتفرقة بين المسلمين...

يوصى المسلمين بضرورة التسلح بالوعى: «على جميع المسلمين أن يعرفوا هؤلاء المنافقين، وأن يحبطوا مؤامراتهم الخبيثة».

الوعى؛ السلاح الأمضى

تضافرت جهود ضخمة ومخططات حقود على تغييب الوعى فى أوساط المسلمين. ولعل موسم الحج- بوضعه الفعلى- أفضل معبّر عمّا يعانيه المسلمون اليوم من سطحية وضياع وركود وتشتت، لا أثر للمنافع التى ذكرها اللّه تعالى فى الآية الكريمة... ليشهدوا منافع لهم. ليس هناك أى منافع على صعيد التوعية، ولا على الصعيد السياسى، ولا على الصعيد الاقتصادى... اللهم إلّاما يجنيه معسكر الكفر من أرباح اقتصادية فى هذا الموسم، من خلال تدفّق بضائعه الكاسدة على أسواق مكة والمدينة وجدّة.

أكثر حجاج بيت اللّه الحرام تضيع أوقاتهم فى موسم الحج بين أداء جامد غير واعٍ للمناسك، وبين تجوّل فى الأسواق، وتهافت على شراء البضائع الأجنبية، وبين جلسات سمر واسترخاء، بأشكال متعددة، هذا هو الذى يعبّر عنه الامام الخمينى بالغفلة إذ يقول:

«لا يمكن للمسلمين أن يحيوا حياة مشرفة إلّابالاسلام، لقد أضاعوا إسلامهم، لقد عُدنا نجهل الاسلام، بسبب

ص: ۱۵۰

إيحاءات الغرب وتشويهاته، ولـذلك فإنّ المسـلمين يجتمعون كلّ عام فى مكـة المكرمـة حيث جعلها اللّه ملتقى للمسـلمين، لكنهم لا يدرون ماذا يفعلون، لا يسـتفيدون من هذا الاجتماع إسـلامياً، ومثل هذا المركز السياسـى جعلوه مركز غفلة عن كلّ مسائل المسـلمين. ولو اسـتثمر المسـلمون عطاء الحج السياسـى؛ لكان ذلك كفيلًا بتحقيق استقلالهم، لكننا أضعنا الاسلام مع الأسف، لقد أبعدوا الاسلام عن السـياسة، فقطعوا رأسه وسـلّموا لنـا بقيته وجرّونا الى الوضع الـذى نعيشه اليوم، وما زال المسـلمون على هـذه الحالـة فلن يسـتعيدوا مجدهم».

وعلى هذا المنوال، يسـتعرض الامام مظاهر الهجوم الشرس من قبل أعداء الاسلام على العالم الاسلامى، من قبيل ما كان يجرى، يومئذ فى أفغانسـتان، حيث الاجتيـاح السوفيتى، ومـا تشـنه الدولـة العبريـة من هجوم واسع النطـاق على المسـلمين فى فلسـطين العزيزة ولبنان العزيز... ومع إعلاـن إسـرائيل عن مشـروعها الاجرامى بشأن نقل عاصـمتها الى القـدس... وما يقـدمه عملاء أمريكا من خـدمات كبيرة لتنفيذ مخططها الإجرامى، مع ما يتزامن مع ذلك كلّه من حصار وتآمر ونشر دعايات سوء وأكاذيب وافتراءات ضد الثورة الاسلامية.

وهنا يقول الامام رضى الله عنه: «على المسلمين أن يكونوا يقظين أمام خيانات هؤلاء العملاء الأمريكيين بالاسلام والمسلمين».

ومتى ما توفر الوعى واليقظة فإنّ قدراً مهماً من تفويت الفرصة على أعداء الاسلام، يكون قد تحقق على أرض الواقع، وبخلاف ذلك، فإنّ المخطط المناوئ للاسـلام يشقّ طريقه دون أية عوائق تذكر، وهذا ما يدلّنا على سـر العداء الشديد الذى تكنّه الدوائر الاسـتكبارية للحركات الاسلامية، والتى دأبت على وصفها بالحركات الاصولية أو الراديكالية أو الإرهابية...

القوميّة: البديل الخائب

على أنّ الأمر لم يقف عند هذا الحد، فقد عمدت الدوائر المعادية للاسلام الى فتح جبهات عديدة ضد الاسلام

ص: ۱۵۱

وحركته المتصاعدة. وقد نبّه الامام الخمينى الراحل الى خطورة هذه الأساليب ومغبّة الانسياق وراءها، إذ يقول: «من المسائل التى خطط لها المستعمرون، وعمل على تنفيذها المأجورون لإثارة الخلافات بين المسلمين... المسألة القومية، التى جندت حكومة العراق نفسها منذ سنين لترويجها.

بعض الفئات انتهجت هذا (الخط القومى) أيضاً، فجعلت المسلمين مقابل بعضهم، بل وجرّتهم الى المعاداة أيضاً غافلة أنّ موضوع حبّ الوطن وأهل الوطن وصيانة حدوده وثغوره لا يقبل الشك والترديد، وهو غير مسألة النعرات القومية لمعاداة الشعوب الاسلامية الأخرى.

فهذه المسألة عارضها الاسلام والقرآن الكريم والنبىّ الأعظم. النعرات القومية التى تثير العداء بين المسلمين والشقاق بين صفوف المؤمنين تعارض الاسلام، وتهدّد مصالح المسلمين، وهى من مكائد الأجانب الذين يزعجهم الاسلام وانتشاره.

إنّ قوى الكيد الاستعمارى وجّهت ضربات قويّة الى كلّ مظاهر الاسلام ومعالمه وركائزه، كما أنّ الحركات القومية فى العالم الاسلامى، وجّهت بدورها ضربات مهلكة الى كيان القوى المجاهدة، التى كانت تخوض صداماً مريراً ضد أعداء الاسلام. وان ظهور فكرة «القومية العربية» فى العالم العربى، وفكرة «القومية التركية» فى تركيا، وفكرة «القومية الفارسية» فى إيران، وفكرة القوميات المشابهة فى سائر الدول الاسلامية جاء بهدف التصدى للحركات الاسلامية، حيث لعبت تلك الأفكار دوراً كبيراً فى ضمان مصالح الاستعمار.

وعلى الصعيد الثقافى، كانت الأنظمة العميلة تسعى دائماً لإحلال الثقافة الغربية محل الثقافة الاسلامية بذريعة إحياء الثقافة الفولكلورية والقومية. وإنّ المساعى الكبيرة التى بذلها نظام الشاه، ورؤوس الأموال التى قام بتوظيفها، فى مجال احياء التقاليد القديمة مثل؛ التقاليد (الزرادشتية، والمانوية وغيرها) بمساعدة ما يسمى بمتخصصى الشؤون الايرانية من الاوروبيين والأمريكيين، واستبدال

ص: ۱۵۲

التاريخ الاسلامى بتاريخ ملكى.. جاءت كلّها للغرض المذكور.

وقد أدان الامام الراحل، مرّات عديدة، النعرات القومية، سواء تلك التى فى ايران أو فى العالم الاسلامى، مؤكداً أنها من دسائس المستعمرين، وها هو يقول: «إنّ القوى الكبرى درست خلال سنوات طويلة كلّ أوضاع المسلمين.. أجرت مطالعات على الأفراد والجماعات وعلى أراضينا وغاباتنا، وخرجت بنتيجة هى: أنّ الاسلام وحده هو الذى يستطيع أن يقف بوجههم فى جميع المجتمعات.. وراحت هذه القوى تخطط لمجابهة الاسلام عن طريق الحكومات الفاسدة، وأوعزت الى هذه الحكومات أن تثير مسائل العصبيات العنصرية بين المسلمين، فجعلت العرب مقابل الفرس والأتراك، وجعلت الفرس مقابل الأتراك والعرب، وجعلت الأتراك مقابل الآخرين.. وهكذا أوقعت بين القوميات المختلفة.

ولقد أكّدتُ مراراً أنّ هذه النعرات القومية هى أساس مصيبة المسلمين، إذ إنّ هذه النعرات تجعل الشعب الايرانى مقابل سائر الشعوب المسلمة، وتجعل الشعب العراقى مقابل بقية المسلمين، وهذه المخططات طرحها المستكبرون للتفريق بين المسلمين».

وراح الامام يضرب أمثلة حيّة من واقعنا المعاصر، إذ يقول: «الحكومة السابقة فى العراق- وهذه الموجودة- ليست بأفضل من سابقتها طبعاً- طرحت مسألة إحياء أمجاد بنى أمية؛ ليجعلوا منها مسألة مقابل المسألة الاسلامية.

فالاسلام جاء ليذيب الأمجاد فى مجد اللّه، ولكن هؤلاء رفعوا شعار إحياء أمجاد بنى أمية، وليس طرح هذه المسألة من تدبير تلك الحكومة، بل من تدبير القوى الكبرى التى تروم التفريق بين المسلمين...

وفى ايران، قرع بعض المغرضين والغافلين على طبل القومية، وأرادوا بذلك أن يواجهوا الاسلام... وقبل سنين- وأظن فى زمن رضا خان- تأسس فى ايران مجمع أعدّ الأفلام والقصائد والمقالات التى تندب الأمجاد الايرانية (...) وتأسف على انتصار العرب على ايران، وتذرف دموع التماسيح على

ص: ۱۵۳

ضياع طاق كسرى...

وهؤلاء القوميون الخبثاء بكوا كثيراً على اندحار السلاطين الفرس على يد الاسلام!

ومثل هذه الروح المعارضة للقرآن أوجدها المستعمرون فى البلاد العربية وغير العربية».

السموم الطائفية

وليت الأمر يقتصر على الغفلة، وإثارة النعرات القومية، فهناك ما هو أخطر من هذه وتلك، وهو الأيدى التى تدس السم فى العسل، خلال موسم الحج، وتعمل على تعميق تخلّف المسلمين وتشتتهم وتباعدهم.

هذه الأيدى الخفيّة التى انكشف عنها القناع، بعد انتصار الثورة الاسلامية فى ايران، تحاول أن تعقّد أوضاع المسلمين أكثر ممّا عليه الآن، بتوزيع الكتب السامّة المثيرة للعنعنات الطائفية والقومية، للإيغال فى تمزيق صفوف المسلمين، وتوسيع الثغرة التى ينفذ منها أعداء الاسلام الى ربوع العالم الاسلامى، يقول الامام: «المسلمون ينبغى أن يشهدوا منافع لهم، فى هذا الحشد الاسلامى الكبير، لكن ما يحدث- وللأسف الشديد- هو العكس من ذلك. فالاقلام المأجورة المسمومة المفرّقة بين صفوف المسلمين تتحرّك فى هذا التجمّع لمصادرة أهداف الوحى الالهى، فتنشر فى مهبط الوحى أوراقاً مفرّقة للصفوف مثل (الخطوط العريضة) مليئة بالأكاذيب والافتراءات».

ورغم خطورة إثارة النزعة القومية، فإنّ الامام رحمه الله يحذّر من مغبّة الفتنة الطائفية: «هناك ما هو أخطر من النعرات القومية وأسوأ منها، وهو إيجاد الخلافات بين أهل السنة والشيعة، ونشر الأكاذيب المثيرة للفتن والعداء بين الأخوة المسلمين».

ثم يشير رضوان اللَّه عليه الى مسألة طالما أثارها المتصيدون فى الماء العكر، وما يزالون يعزفون على أوتارها الصدئة: «فى اطار الثورة الاسلامية فى ايران لا يوجد- وللَّه الحمد- أى اختلاف بين الطائفتين، فالجميع يعيشون معاً متآخين متحابين.

أهل السنّة المنتشرون بكثرة فى ايران،

ص: ۱۵۴

والقاطنون مع العدد الكبير من علمائهم ومشايخهم فى أطراف البلاد وأكنافها، متآخون معنا ونحن متآخون ومتساوون معهم، وهم يعارضون تلك النغمات المنافقة التى يعزفها بعض الجناة المرتبطين بالصهيونية وأمريكا.

ليعلم الأخوة أهل السنة فى جميع البلدان الاسلامية أنّ المأجورين المرتبطين بالقوى الشيطانية الكبرى لا يستهدفون خير الاسلام والمسلمين.

وعلى المسلمين أن يتبرأوا منهم، ويُعرضوا عن إشاعاتهم المنافقة».

وأنهى الامام كلامه حول هذه النقطة بقوله: «إننى أمدّ يد الأخوّة الى جميع المسلمين الملتزمين فى العالم، وأطلب منهم أن ينظروا الى الشيعة باعتبارهم اخوة أعزاء لهم، وبذلك نشترك جميعاً فى إحباط هذه المخططات المشؤومة».

وفى بادرة واعية، تفوّت على المغرضين أغراضهم الدنيئة، وتسحب البساط من تحت أرجلهم، أوصى الامام الراحل رحمه الله الحجاج الايرانيين وجميع الحجاج الشيعة بعدّة وصايا حكيمة تساهم فى تمتين وشائج وحدة المسلمين وقطع الطريق على المراهنين على تفرّقهم. إذ يقول: «على الأخوة الايرانيين وجميع الشيعة أن يتجنبوا الأعمال الجاهلة التى تؤدى الى تفرّق صفوف المسلمين، وعليهم أن يشتركوا فى جماعات أهل السنة، وأن يتجنبوا عقد صلاة الجماعة فى البيوت، ونصب مكبرات الصوت بدون انتظام، والقاء النفس على القبور الطاهرة، والأعمال المخالفة للشرع».

ثم أنهى وصاياه بالقول: «يجزى ويلزم فى الوقوفين العمل وفق أحكام قضاة أهل السنة، حتى ولو حصل القطع بخلاف ذلك».

وهنا يثبت الامام الخمينى أنه رجل المرحلة التاريخية، وأنه يتصرّف بمستوى ما تقتضيه المصلحة الاسلامية العليا، متجاوزاً كلّ الحسابات الطائفية والمذهبية.

الاسلام هو المستهدف

من المعروف أنّ الاشاعة ظاهرة اجتماعية وُجدت منذ أن وُجد الانسان على الأرض.. ومن أهدافها السياسية؛

ص: ۱۵۵

بث الخوف والرعب والحقد والكراهية والعداوة، وزرع بذور الفتنة والشك واليأس فى نفوس الجمهور المستهدف، وكذلك تشويه سمعة وصورة الأفراد والجماعات والمجتمعات والشعوب والدول والقادة؛ لخلخلة وحدة الصف، والعمل على تكوين الرأى العام أو جسّه أو تعبئته أو تضليله، حول موضوع ما يلامس حياة الناس اليومية.

وفى العقدين الأخيرين، لم تتعرض جهة ما الى هجمة إشاعات مكثفة ومدروسة كالتى استهدفت الثورة الاسلامية، خاصة من قبل الأوساط الإعلامية والسياسية فى الغرب، وبالذات الأمريكية منها. وقد تابع ذلك الهجوم المنظم بدقة البروفسور ادوارد سعيد، فى كتابه القيّم «تغطية الاسلام»، حيث كشف فيه كيف تقوم وسائل الاعلام وصنّاع الرأى العام فى أمريكا بعرض الاسلام والثقافة الاسلامية بصورة مشوهة مقصودة.

ولم تَغِبْ أهداف تلك الإشاعات عن وعى الامام الراحل الذى راح يسلّط الضوء المكثّف عليها، ومن ثم فضح مآربها. إذ يقول: «من الاشاعات المثارة بشكل واسع ضد ايران على الظاهر، وضد الاسلام فى الواقع، الزعم بأنّ ثورة ايران لا تستطيع إدارة البلاد، وأنّ الحكومة الايرانية توشك على السقوط؛ لافتقادها الاقتصاد السالم، والتعليم الصحيح، والجيش المنسجم، والقوات المسلحة المجهزة!! وهذه الاشاعات تنشرها جميع وسائل الاعلام الأمريكية ووسائل الاعلام المرتبطة بها، لتثلج صدور أعداء ايران، بل أعداء الاسلام.

هذه الإشاعات موجهة فى الواقع ضد الاسلام، وتستهدف التشكيك فى قدرة الاسلام على إدارة البلدان فى هذا العصر، وعلى المسلمين أن يدرسوا هذه المسائل جيّداً، ويقارنوا الثورات غير الاسلامية بالثورة الاسلامية فى ايران.

وبعدأنيعدّد الامام رحمه الله مظاهر الخطل فى حسابات أعداء الاسلام، وكيف أنّ الأمة أثبتت ولاءها واستعدادها للبذل والعطاء والتضحية، على كلّ الأصعدة..

ينتقل ليقول مذكّراً: «وليعلم أعداؤنا أنّ

ص: ۱۵۶

الثورة الاسلامية فريدة بين ثورات العالم فى قلّة خسائرها وعظم مكتسباتها. وهذا مالم يتحقق إلّابركة الاسلام».

ثم راح يتساءل: «ماذا يقول هؤلاء الموتورون؟!

كيف يعجز الاسلام اليوم عن إدارة البلدان، وهو قد حكم نصف المعمورة، خلال قرون متطاولة، وأطاح بعروش الكفر والظلم خلال أقل من نصف قرن؟!

شعبنا اليوم على أتم الاستعداد والنشاط للمساهمة فى إدارة البلاد واستتباب النظام فيها. أعداء الاسلام غافلون أو متغافلون عن قدرة الاسلام على هدم قواعد الظلم، وإقامة صرح إدارة البلاد على أسس العدالة.

أعداء الاسلام، بل كثير من أحبائه أيضاً يجهلون قدرة الاسلام الادارية ومبادئه السياسية والاجتماعية. كان الاسلام فى الحقيقة مهجوراً أو محجوباً، خلال العصور التى تلت عصور صدر الاسلام. واليوم ينبغى أن تتضافر جهود جميع المسلمين والعلماء والمفكرين والاسلاميين على طريق تعريف الاسلام، كى يسطع وجهه المشرق الوضاء كسطوع الشمس».

أمريكا.. مصّاصة الدماء

لم تواجه السياسة الأمريكية، فى عصرنا الحديث، مقاوماً عنيداً وصلباً كالامام الخمينى رضى الله عنه. لقد خلط هذا الشيخ الطاعن فى السن كلّ الأوراق على الادارة الأمريكية التى كانت تمنّى نفسها بالأمانى، وهى تتحصن بأهم قلاعها فى المنطقة، وإذا بأصحاب الأيادى المتوضئة يبرزون اليها من بين الآكام والأكواخ والمعاناة ويلقنونها درساً بليغاً لن تنساه، فيطردونها من تلك القلعة، ويطاردونها فى غير موقع.

والامام الراحل لم يترك مناسبة دون أن يشير الى الشيطان الأكبر باعتباره المسؤول الأول عن الكثيرمن المآسى والكوارث التى حلّت بالشعوب، وقد قارع الامام الخمينى الهيمنة الأمريكية، منذ وقت مبكر، بل إنه دشن ولوجَه عالم السياسة بمهاجمة السياسة الأمريكية حيال ايران وبقية الشعوب المستضعفة.

وظلّ على موقفه الثائر من أمريكا حتى اللحظة الأخيرة. ولأهمية فضح

ص: ۱۵۷

الزيف وكشف حقيقة الوجه البشع لأمريكا دأب الامام رحمه الله فى كلّ المواطن على توعية الشعوب المسلمة وتحذيرها من الخطر الأمريكى. وقلّما يخلو خطاب له من هذه النبرة. وفى ندائه لحجاج بيت اللّه الحرام يشير الى هذه النقطة بقوله: «أهم مسألة تعانيها الشعوب الاسلامية وغير الاسلامية الخاضعة للسيطرة وأمضّها ألماً هى مسألة أمريكا.

الحكومة الأمريكية باعتبارها أقوى حكومة فى العالم، لا تدّخر وسعاً فى ابتلاع المزيد من ثروات البلدان الخاضعة لسيطرتها. أمريكا تحتل المرتبة الأولى بين أعداء الشعوب المحرومة والمستضعفة فى العالم، وهى لا تتورّع عن ارتكاب أية جريمة على طريق فرض هيمنتها السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية على البلدان الخاضعة لسيطرتها. إنها تستغل الشعوب المظلومة فى العالم، عن طريق دعايات واسعة تخطط لها أجهزة الصهيونية العالمية. إنها تعمل عن طريق عملائها المتسترين الخونة على امتصاص دم الشعوب الضعيفة، وكأنها هى وحلفاؤها وحدها تمتلك حق الحياة!

ايران اذا أرادت أن تقطع علاقاتها مع هذا الشيطان الأكبر فى جميع المجالات، تعانى اليوم من هذه الحروب المفتعلة.

أمريكا تحث العراق على سفك دم شبابنا، ودفعت جميع البلدان الخاضعة لنفوذها الى الإطاحة بنا، عن طريق المقاطعة الاقتصادية. ومن المؤسف أنّ كثيراً من البلدان الأوروبية والأسيوية ناصبتنا العداء أيضاً.

على الشعوب الاسلامية أن تعلم أنّ ايران بلد يحارب أمريكا رسمياً، وأن شهداءنا هم من الشباب الأبطال العسكريين والحرس، الذين يقفون فى وجه أمريكا دفاعاً عن ايران وعن الاسلام العزيز.

فمن الضرورى أن نذكر- إذن- أن الاشتباكات التى نواجهها يومياً فى غرب الوطن العزيز، هى اشتباكات تفتعلها أمريكا عن طريق الفئات المنحرفة المرتبطة بالأجنبى. وهذه مسألة ترتبط بمحتوى ثورتنا الاسلامية القائمة على أساس الاستقلال الحقيقى. إذ لو كنّا قد تنازلنا لأمريكا أو لسائر القوى الكبرى لما

ص: ۱۵۸

عانينا من هذه المصائب، لكن شعبنا ما عاد مستعداً لقبول الذل والخضوع، وأنه يفضل الموت الأحمر على حياة الذل والعار. إننا مستعدون للقتل، وعاهدنا اللَّه أن نقتدى بإمامنا سيد الشهداء الحسين بن على عليه السلام».

ثم يوجه الامام خطابه الى الحجيج قائلًا:

«أيها المسلمون المتضرعون الى اللَّه قرب بيت اللَّه.

ادعوا الى الصامدين بوجه أمريكا وساير القوى الكبرى، واعلموا أننا لسنا فى حرب مع العراق، بل إن شعب العراق يساند ثورتنا الاسلامية. نحن فى صراع مع أمريكا، واليوم فإنّ يد أمريكا تجسّدت فى حكومة العراق، وسيستمر هذا الصراع بإذن اللَّه حتى نحقق استقلالنا الحقيقى.

ولقد قلت مراراً؛ إنّنا رجال حرب، وليس للاستسلام معنى فى مفهوم الانسان المسلم.

أيّها البلدان غير المنحازة.

اشهدى أن أمريكا تستهدف إبادتنا، فكّرى فى الأمر قليلًا، وساعدينا على طريق تحقيق أهدافنا.

نحن أعرضنا عن الشرق والغرب، عن الاتحاد السوفيتى وأمريكا، لندير بلادنا بأنفسنا، فهل من الحق أن نتعرّض بهذا الشكل لهجوم الشرق والغرب؟!

إنه لاستثناء تاريخى فى أوضاع العالم الحالية أن يكون هدفنا منتصراً حتماً بموتنا وشهادتنا وانهزامنا».

هذا هو... الطريق!

وككل عظماء التاريخ وصنّاع أحداثه ومنعطفاته الكبرى، لم يكتفِ الامام بتعداد مظاهر الخلل وتشخيص مواطن الداء.. بل سرعان ما ينتقل الى طرح البديل. وها هو يرسم الخطوط العريضة لمشروع النهوض والوعى.

«أيها المسلمون المؤمنون بحقيقة الاسلام.

- انهضوا... ووحدوا صفوفكم تحت راية التوحيد، وفى ظل تعاليم الاسلام.

- واقطعوا أيدى القوى الكبرى الخائنة عن بلدانكم وثرواتكم الوفيرة.

- وأعيدوا مجد الاسلام.

- وتجنّبوا الاختلافات والأهواء النفسية.. فإنكم تملكون كلّ شىء.

ص: ۱۵۹

– اعتمدوا على الفكر الاسلامى.

– وحاربوا الغرب والتغرّب.

– وقفوا على أقدامكم.

– واحملوا على المثقفين الموالين لغرب والشرق.

– اوجدوا هويتكم.. واعلموا أن المثقفين الذين باعوا أنفسهم للأجنبى أذاقوا شعبهم ووطنهم الأمرّين.

– وما لم تتحدوا وتتمسكوا بدقة بالاسلام الصحيح، فسيحلّ بكم ما حلّ بكم حتى الآن.

إننا فى عصر، ينبغى أن تضىء الشعوب الطريق فيه لمثقفيها، وأن تنقذهم من الانهيار والضعف أمام الشرق والغرب. فاليوم يوم حركة الشعوب، وهى التى ينبغى أن توجّه مَنْ كان يوجهها من قبل».

بعد ذلك، ينفخ الامام فى الحجيج روح الثورة والرفض: «اعلموا أنّ قدرتكم الروحية ستتغلب على جميع الطواغيت، وتستطيعون بعددكم البالغ مليار إنسان وبثرواتكم الطائلة، غير المحدودة، أن تحطموا جميع القوى..

انصروا اللّه كى ينصركم.

أيها الجموع الغفيرة من المسلمين..

انتفضوا وحطموا أعداء الانسانية، فإن اتجهتم الى اللّه تعالى، والتزمتم بالتعاليم السماوية، فاللّه تعالى وجنده العظام معكم».

وبعد..

كانت هذه نفحات من الروح الخمينية التى أرعبت الطغاة، وهددت العروش، وأربكت الحسابات السياسية، وخلطت على دهاقنة السياسة أوراقهم...

اليوم، ونحن نقف أمام مئوية ميلاده... فإنّ من الوفاء أن يُحتفى بهذه المناسبة، بل لعله أقل الوفاء أن تصدر الكتب، والاعداد الخاصة من المجلات، والبوسترات، واقامة الندوات، والمهرجانات.. فى هذه المناسبة..

ولكن الوفاء، كلّ الوفاء، أن يظل حَمَلة رايته سائرين فى خطّه ومنهجه..

أوفياء أمناء على أفكاره ومشروعه.

لقد عاش الامام العظيم بكلّه للاسلام.. ولم يتفيّأ لحظة غير ظلال الاسلام.. لم ترَ فيه يوماً نزعة وطنية أو قومية، أو ايران للايرانيين!

ص: ۱۶۰

لم يرضخ ذات مرّة.. ولم يهادن.. ولم يساوم على مبادئه مهما ادلهمّت الخطوب.. وتحت أية ذريعة كانت.

عاش هموم المسلمين والمستضعفين.. أينما كانوا.. فبادله هؤلاء حبّاً بحب.. ووفاء بوفاء.

ولا أظنّ أنّ هناك من يسـمح لنفسه أن يتنصّل عن المشروع الخمينى، وإن وجد فإنّه قد طعن بفعله هذا الخمينى فى الصميم أياً كانت الذرائع التى يتذرع بها.

فسلام عليك أبا المحرومين.. وناصر المظلومين فى الخالدين.

الهوامش:

ص: ۱۶۱

ص: ۱۶۲

ص: ۱۶۳

الامّة القرآنية

الامّة القرآنية

الامّة القرآنية

فلاح حسن

إنّ فكرة وحدة الأمة الإسلامية والتنظير لها والإيمان الصادق بها قولًا وعملًا ومنهجاً وهدفاً.. يعود كلّ ذلك- بالضرورة- إلى عقيدة التوحيد نفسها، هذه العقيدة التى يرتكز عليها فكرنا الإيمانى، وكلّ ما يترتّب عليه من آثار ومستلزمات فى حياتنا العملية، وما يتحدّد فى ضوئه من علاقات وتصوّرات ورؤى. وما يترشّح من أنشطة مختلفة فى جميع مفاصل حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية..

فبالوحدة- هذا المفهوم العظيم والركن الرصين والهدف النبيل- يقوم الدين، وتزدهر معالمه، وتنتشر دعوته وتعمّ مبادئه، ويحفظ كيانه، ويُدحض أعداؤه، ويُسعد أبناؤه.. لهذا جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآثار الصالحين تترى بالحديث عنها والدعوة إليها، وترسيخها فى قلوب الناس وأخلاقياتهم وفى سلوك النخبة وأهدافهم..

لقد أكّدت تلك الآيات والروايات والآثار.. هذه الوحدة فى حياتنا منطلقاً

ص: ۱۶۴

وهـدفاً ومنهجاً.. فاللَّه الواحـد الأحـد الـذى خلق وأبدع هذا الكون، وقدّر ما فيه وما حوله وفق أنظمة دقيقة ما إن يختلّ جزء منها حتى يترك آثاره على باقى الأجزاء. إنه- حقّاً- جسم واحد يكمل بعضه بعضاً، ويتضرّر بعضه ببعض...

ثمّ خلق فيه نواة تطوره وديمومته بل وسـيده آدم وزوجه من نفس واحـدة هو الـذى خلقكم من نفسٍ واحـدة وجعل منها زوجها. كان حفنـة واحـدة من تراب نفخ اللَّه فيها من روحه فتمثّل بشـراً سوياً. فقدّر لهذا المخلوق أن يكون سيّد الكائنات والمخلوقات بما أودعه اللَّه فيه من جمـالٍ وجلالٍ وقـدرةٍ لقـد خلقنـا الإنسان فى أحسن تقويم وبما أهّله لأن يكون خليفـة اللَّه تعالى فى أرضه وإذ قال ربّك للملائكـة إنّى جاعل فى الأرض خليفة.. ثم وضـعت السـماء بعد ذلك أمانتها فى عنقه، بعد أن امتنعت عن حملها السـماوات والأرض والجبال وأشفقن منها: إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان...

نعم حملهـا مختـاراً طواعيـةً لا كرهاً، وثقـةً منه بما أودعه اللَّه تعالى فيه من قـدرات، وشـعوراً بتكليفه ومسؤوليته؛ ليبـدأ مشواره من اللَّه تعـالى، مسـتمدّاً منه العزم والقوّة؛ لينتهى إلى اللَّه تعـالى أيضـاً فيجـد حسابه وينال ثوابه، ويحصـد ثمار أعماله وكـدحه يا أيّها الإنسان إنك كادحٌ إلى ربّك كدحاً فملاقيه.

وفى كـلّ خطـوة يخطوهـا فى مشـواره ذاك ينظر نظرتيـن: نظرة إلى السـماء يسـأل رحمتهـا وتسديـدها لـه وهـو يردّد: إنّـا للَّهوإنّـا إليه راجعون، إنّا للَّهبـدءُنا وإنّا للَّهحياتنا وديمومتنا، وإنّا للَّهمآبنا، وإنا للَّهمنتهانا. فهو بـدون هذه النظرة لا يسـتطيع فعل شـىء. وما بين البداية تلـك والنهايـة هـذه مـا بين أوّل الشوط وآخره راحت منطلقـةً بكلّ وعى وصـدق قوافلُ المجاهـدين الصابرين؛ لتؤدى دورها العبادى بمعناه الأشمل والأتمّ، الذى أرادته السماء ورسمته ريشتها لبنى البشر وما خلقت الجن والإنس إلّاليعبدون ليعبدون ربّاً واحداً، عبر عمل دؤوب ونشاط متواصل

ص: ۱۶۵

بـالخير والعطاء يرضـى اللّه وينفع الناس، وقطعاً إنّ العمل الـذى يرضـى السـماء وينتهل منه الناس خيراً وبركـةً ونفعاً ليس العمل الـذى يزرع البغضاء ويمزّق الأمّة، بل هو الذى يبذر الخير للجميع، ويوحّد الصفوف، ويلقى بظلاله الوارفة علينا جميعاً.

أما النظرة الثانية فهى إلى واقعه وما يتضـمّنه، وإلى منهجه ومسـيرته، وما تتركه حركاته من بصمات على حياته بكلّ ما فيها، نظرة تأمّل ودراسـة لساحته وميـدان عمله بغيـة وضع يـده على نقاط الضـعف فيه لتقويتها. وعلى نقاط القوّة فيه لإدامتها، وبالتالى تطويره وبرمجته وفق إرادة السماء وما خطّطت له ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون.

وأيـة أمّة هذه التى أرادها اللّه تعالى أن تكون؟! إنّها الامّة القرآنية الموحّدة؛ لأنّ أمانة السـماء التى أبت السـماوات والأرض حملها، لا تؤدّيها أمّـة متفرّقـة، أمّـة متخاصـمة، أمّـة متنازعـة ومتناحرة ومتباغضة ومتحاسدة، أمّة تنهشـها هذه الأمراض من كلّ جانب لا تسـتطيع تحمّل شـىء، أو تحريك ساكن فضلًا عن فعل ما فيه خير وصلاح، إنّ التى تحملها وتؤدّيها خيرَ أداءٍ أمّةٌ قوّتها فى وحدتها، وعزّتها فى تراصها، وكرامتها فى تآلفها، وشموخها فى تلاحمها، وبقاؤها فى تآزرها وانتصارها فى تكاتفها..

عندئذ تستطيع أن تحمل تلك الأمانة العظيمة، وتكون جديرةً بها وبالمحافظة عليها وأدائها بالصورة التى تريدها السماء.

إنّ كلمـة الامّـة فى النصّ القرآنى إنّ هـذه امّتُكم امّـةً واحدةً تعنى معنى واحداً جامعاً لكلّ من آمن بالإسـلام ديناً لا خصوص جماعة معينة أو مذهب أو قومية محدّدة. فالمسلمون جميعاً امّة واحدة تدين بدين واحد وتعبد ربّاً واحداً وأنا ربّكم فاعبدون.

إذن هذه الامّة الواحدة- التى أردتها السماء، وأمرت المؤمنين بالسعى

ص: ۱۶۶

لتحقيقها، هى الامّـة المسؤولـة المكلّفـة بأحكام السـماء لا غيرها، وإذا ما تفرّق أبناؤها وإذا ما تشـتّت مـذاهب وفرقاً، فلا يصـدق عليها حينئذٍ التعبير القرآنى والكلمة القرآنية أنها (امّة) ولا تكون مشمولة بما أرادته الآية الكريمة هذه وكذلك الآية السابقة كنتم خير امّة... فبالتنازع والتناحر تلغى خصوصـية الامّة، وتلغى آثارها من القوّة والمنعة والقدرة والتآلف، وتستبدل بالضعف والعجز والحقد والبغضاء وما إلى ذلك.

أرادنا اللَّه أن نأمر بالمعروف جماعـة وأرادنا أن نسـتنكر المنكر جماعـة ف «يـد اللَّه مع الجماعـة»، وهـذا لا يعنى أنّ الفرد بنفسه ليس مكلّفاً ومأموراً باستنكار المنكر والأمر بالمعروف وشجب الظلم، فهذا واجب ومسؤولية ملقاة علينا كأفراد وجماعات، ولكن اللَّه سبحانه يحبّ أن يكون الأمر جماعة فهو أقوى أثراً وأدوم بقاءً، فالصلاة جماعة أفضل من الصلاة فرادى..

إنّ الامّـة القويّـة القـادرة المتآلفـة هى الامّـة القرآنيـة، التى لا تفاخر ولا تكاثر بينها بالأنساب والأموال والأنفس ألهاكم التكاثر، وهـذه عيوب تفتت جمعها وتمزّق شملَها، وتبعثر وجودها، وبالتالى تطيح بكيانها بعد أن تتركها أكلةً سائغةً للأعداء.

فالامّـة القرآنية وهى الهدف الذى كانت تهفو إليه قوافل الأنبياء والمرسـلين، وجدّت فى المسـير إليه ولا زالت كلّ مواكب الصالحين، كمـا راحت ترفرف حوله وتطوف به أرواح الشـهداء، بعـد أن عبّـدته جمـاجمهم وسـقته دمـاؤهم.. وظلّت الأجيـال المؤمنـة المتعـاقبة تتوارث كنوزه المضـرّجة بـدماء الشـهداء والمعفّرة بتراب ساحات الفداء حتى وصل إلينا وها هو بين أيدينا هدفاً سامياً عظيماً، أفيصـح منا أن نفرّط به وأن نضـيّع ما قـد وفّرته لنا تلك الجهود المباركة وتلك الحشود الصادقة، فنفد على ربّنا ببضاعة كاسدة فيقول كلّ منّا أين المفرّ بعد أن ينبأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخّر ويومها يتذكّر الإنسان وأنّا له الذكرى* يقول يا ليتنى

ص: ۱۶۷

قدّمت لحياتى؟

لا أريـد أن يُفهم ممّا أقوله أنّ الماضـين لم يكن بينهم خلاف، ولم تكن هناك مواقف كادت أن تمزّقهم. لا، أبداً، بل أريد أن أقول: إنّ هنـاك قواسم مشتركـة بينهم، زيّنت صـفحات حياتهم، وكانت نقاط خير وعطاء للقائهم وتوحّدهم... فما أحرانا وقـد كثر أعـداؤنا والمتربّصون بنـا- أن نلتقى نحن أيضـاً عنـد القواسم المشتركـة ومـا أكثرهـا. فخلافات الرأى وما يترتّب عليها من مواقف ماثلـة أمامنا، ولكن بوجود الصـالحين الواعين تضـيق دائرتهـا ويمنع من تجـذّرها؛ لنبـدأ حياة أكثر إشـراقاً وأكثر أملًا دون أن نكبت صوت الحق أو نلغى الآراء المبرّرة والاجتهادات العلميّة، أو أن نصادر الرأى الآخر إذا ما توفّرت أدلّته وقام على ركن قوى.

وبذلك نسـتطيع أن نحفظ لُامّتنا دينها وأصالتها، وأن نصون وحدتها ونقوى شوكتها ونديم وجودها، فتقف شامخةً بين الامم، ومتعاليةً على ما فيها من خلافات فرضـتها طبيعة الحياة وطبيعة العمل والكدح ما دام الهدف الأعلى والغاية الأسمى التى نسعى جميعاً لتحقيقها، هو الامّة القرآنية التى بها كلّ خير وعطاء وبها رضا اللّه سبحانه وتعالى.

لهـذا كلّه ولغيره ممّا لا يسع المقام ذكره بادر السـيّد الإمام رضوان اللّه عليه بعـد أن وعى كلّ ذلك وآثاره، وعرف أنّ قيمة هذه الامّة بوحـدتها، وأنّ للوحـدة قيمة كبرى، وأنّ رسالة السـماء ودعوتها يتوقف تبليغها على وحدة الامّة، وأن انتصارها وبقاءها رهين بوحدتها وأنّ موتها وانقراضـها بتفرّقها، وبالتالى فإنّ وحدتها فوق كلّ اختلاف.. بادر سماحته يحول نقاط الخلاف بين أبنائها إلى نقاط ائتلاف ضمن رؤية عقائدية وفقهية وسياسية تبحث عن القواسم المشتركة، فيقف عندها دون أن يغور بالخلافات الاخرى فتتعمّق، أملًا أن تجد حلّاً فى المسـتقبل، فالزمن كفيل بحلّ كثير من المعضلات، وما استعصى حلّه اليوم يتيسّر حلّه غداً، وهكذا راح سماحته بحكمته العالية وهمّته التى لا تعرف الكسل، وبأمله الذى لا يشوبه اليأس،

ص: ۱۶۸

يدلى بوصاياه وأوامره فى هذا الخصوص، وسنذكر بعضها بعد أن نقف قليلًا؛

مع القرآن والرسول صلى الله عليه و آله والإمام عليه السلام

بعد هذا التمهيد أجد نفسى ملزماً بالوقوف عند بعض الآيات والروايات حول الوحدة، وأهمّيتها فى حياتنا بكلّ مفاصلها ومحاورها، والتحذير من خطورة التخلّف عنها، والركون إلى الفرقة.. لأنتقل بعد ذلك إلى آراء السيد الإمام وأقواله ووصاياه خصوصاً لحجّاج بيت اللَّه الحرام وبما يتعلّق منها بمقالتنا هذه.

فقد دعا القرآن الكريم الناس جميعاً إلى توحيد صفوفهم وإلى التعالى على خلافاتهم، وإلى نبذ حالة التشرذم.. بالتمسّك بحبل اللَّه ومنهجه ففيه الخير كلّه.

قال تعالى: واعتصموا بحبل اللَّه جميعاً ولا تفرّقوا.

وقال أيضاً فى آية اخرى: وأطيعوا اللَّه ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنّ اللَّه مع الصابرين.

إنّها دعوة لكلّ الناس، دعوة للبشرية جميعاً، أن يتمسّكوا بحبل اللَّه المنقذ لهم من الغرق فى النزاعات والاختلافات، والمنجى لهم من السقوط فى اتون الحروب والتطاحن، وأن يجتمعوا بدل كلّ تلك المتاهات حول دين اللَّه الإسلام، وأن لا يتفرّقوا ولا يتنازعوا، وكلّ هذه التعابير تأكيد لذلك الأمر وهو التمسّك والاتحاد.

فإنّ التنازع والتشاجر والتناحر لا يؤدّى إلّاإلى ضعف الكيان وتهاوى الامّة، فتصبح أكلة سهلة سائغة لأعدائها الذين يتربّصون بها الدوائر..

وقد هدّد وأنذر الذين يسعون إلى الفرقة بعذاب أليم ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعدما جاءَهم البيّنات وأولئك لهم عذاب عظيم.

ولم يترك اللَّه سبحانه وتعالى هذه الامّة بلا ميزان بعد أن شجب التفاخر والتكاثر والتعالى بين أبنائها بغير ما يرضيه، فقد جعل التقوى هى ميزان التفاضل بينهم.

قال اللَّه تعالى فى محكم كتابه:

ص: ۱۶۹

يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند اللَّه أتقاكم

ثم راح يبيّن صفة هذه الامّة المتماسكة ودورها ووظيفتها: كنتم خير امُّة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون باللَّه.

ثم إنّ القرآن الكريم جعل حبّ اللَّه تعالى، هذا الوسام الذى ما بعده وسام، وهذا الفخر الذى لا فخر سواه، والأمل الذى لا أمل غيره... حبّ اللَّه سبحانه وتعالى، جعله من نصيب المتوحّدين، والذين جعلوا من أنفسهم صفّاً واحداً فى كدحهم وفى جهادهم وفى دعوتهم إلى اللَّه سبحانه...

إنّ اللَّه يحبّ الذين يقاتلون فى سبيله صفّاً كأنهم بنيان مرصوص.

وقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يوم فتح مكة: «يا معشر قريش إنّ اللَّه أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء. الناس لآدم وآدم من تراب. ثم راح صلى الله عليه و آله يقرأ الآية: يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وانثى...

فليس هناك من يرتاب فى أنّ فريضة الحجّ ومناسكها تدعو للوحدة، وهى مناسبة عظيمة وفرصة كبرى للتمسّك بأخلاق اللَّه تعالى والتصديق بأوامره والانتهاء عمّا نهى عنه، وانتهاج منهج أوليائه من الأنبياء والرسل والصالحين فى توحيد الصفوف، والظهور بمظهر واحد خالٍ من التفاخر والتعالى، فى مؤتمر إسلامى سنوى ليس له نظير، يرعب الأعداء، ويلقى فى نفوسهم الخشية والهيبة من هكذا تجمع بزىّ واحد ومناسك واحدة وكلمة واحدة «لبيك اللهمّ لبيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك».

تعلو هذه الأصوات من حناجر تواضع أصحابها للَّه وحده، وقد لبّوا دعوته، تاركين الأهل والعشيرة والمال والبنين، إنها رحلة العودة إلى اللَّه حقّاً، يقول الإمام على عليه السلام:

«وفرض عليكم حجّ بيته الحرام، الذى جعله قبلة للأنام، يردونه ورود

ص: ۱۷۰

الأنعام، ويألهون إليه ولوه الحمام، وجعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، وإذعانهم لعزّته، واختار من خلقه سماعاً أجابوا إليه دعوته، وصدقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح فی متجر عبادته، ويتبادرون عنده موعد مغفرته، جعله سبحانه وتعالی للإسلام علماً، وللعائذين حرماً، فرض حقّه، وأوجب حجّه، وكتب عليكم وفادته، فقال سبحانه: وللّه علی الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإنّ اللّه غنیٌّ عن العالمين.

مواقف السيّد الإمام:

فموسم الحج؛ هذا التجمع الذی يخفق علی ربوعه لواء التوحيد، يری السيّد الإمام فيه قوّة عظمی تتحطّم علی صخرتها دسائس ومخططات ومؤامرات كلّ الأعداء المتربصين بهذه الامّة سوءاً، هذا من جهة، ومن جهة أخری يری فيه تحقيقاً لطموحات الامّة وآمالها فی امّة كريمة واحدة متفاعلة مكتفية ذاتياً فی كلّ مجالات وأصعدة تطورها، الثقافية والاقتصادية والعلمية.. ويكون تجمّع المسلمين فی الحج صورة مصغّرة لها..

وعلی ضوء تلك الآيات المباركة والأحاديث النبوية الشريفة وانطلاقاً منها، وتمسّكاً بما يمليه عليه دينه وانقياداً لتعاليمه، وللرؤية الواضحة التی يمتلكها ووعيه الدقيق للواقع الإسلامی الذی يضمّ شعوباً مظلومة مقهورة تحت سياط حكّام طغاة ظالمين، وشعوراً منه بالمسؤولية الشرعية الملقاة علی عاتقه وهو مرجع كبير وزعيم باتت أنظار كثير من المسلمين متوجّهة صوبه، منتظرةً كلمته ملبيةً دعوته، راح السيد الإمام الخمينی يوجّه نداءاته الكثيرة ووصاياه المتعدّدة؛ لتوثيق الوحدة بين المسلمين- التی حظيت من وقته وجهده واهتماماته الكثير، فكانت له رؤی خصبة فی هذا المضمار- ونبذ الخلاف ويحذّر من التفرقة والتشتّت.

ص: ۱۷۱

القومية:

بـدءاً بالتحـذير من إثارة النعرات القومية التى تنخر فى جسم الامّة والتزاماً منه رضوان اللّه عليه بنهى النبى صـلى الله عليه و آله: «دعوها إنهـا (العصبيـة) نتنـة». «وليس منّـا مَن دعا إلى عصبيـة». راحت أقواله تترى: إنّ النعرات القوميـة- هـذه المسألـة التى عارضـها الإسـلام والقرآن الكريم والنبىّ الأعظم- تثير العداء بين المسـلمين والشـقاق بين صـفوف المؤمنين، وهى بالتالى تهدّد مصالح المسلمين، وهى من مكائد الأجانب الذين يزعجهم الإسلام وانتشاره..

- وتأكّـدوا أنكم إخـوة متسـاوون مـع جميـع الشـعوب بغضّ النظر عن اللـون والقوميـة والمحيـط والمنطقـة، تتبـادلون الهموم والآلام، وتؤكّدون الوحدة بينكم، وتنهضون يداً واحدةً ضد أعداء البشرية والمزوّرين ومصاصى الدماء.

- يجب أن تعلموا أنّ الطريق الأسـاس إنّما هو فى ظلّ وحـدة جميع المسـلمين، واجتماعهم على قطع أيادى القوى العظمى من الـدول الإسلامية.

- ينبغى على الحجّاج المحترمين لبيت اللّه الحرام لأىمـذهب أو قوميـة انتموا أن يرضـخوا لأحكام القرآن الكريم، ويقفوا فى مواجهة سبل الشـياطين الذين يريدون اقتلاع الإسـلام، الذى طهر الشـرق والغرب منهم ومن عملائهم الذين لا إرادة لهم سوى إرادة أسـيادهم. ويمـدّوا يـد الاخوّة الإسـلامية بعضـهم لبعض وينتبهوا للآيات الكريمـة التى تـدعوهم إلى الاعتصام بحبل اللّه، وتنهاهم عن الاختلاف والتفرقة..

السنّة والشيعة:

لم يكن يرى أنّ الاختلافات المذهبيـة مسوغـة للفرقـة بين أبناء الامّـة الإسـلامية الواحـدة، وكان يؤكّد أنّ الاخوّة الإسـلامية لا يضـرّها اختلاف الآراء..

ويضع اللوم على ما أسماهم بوعاظ السلاطين بإثارة النعرات المذهبية وتأجيج نيران الخلافات بين أهل السنّة والشيعة.

لهذا انبرى السيّد الإمام قبل انتصار الثورة وبعدها إلى تثبيت رؤاه وتحقيق

ص: ۱۷۲

الوحدة الإسلامية، يقول سماحته:

– هناك ما هو أخطر من النعرات القومية وأسوأ منها، وهو إيجاد الخلافات بين أهل السنّة والشيعة، ونشر الأكاذيب المثيرة للفتن والعداء بين الاخوة المسلمين.. ثم راح يوصى الاخوة المسلمين بأن هؤلاء المأجورين المرتبطين بالقوى الشيطانية الكبرى لا يستهدفون خير الإسلام والمسلمين، وعلى المسلمين أن يتبرأوا منهم ويعرضوا عن إشاعاتهم المنافقة..

وقد خطى السيّد الإمام خطوات كبيرة فى توحيد صفوف المسلمين، فبادر إلى إصدار فتواه بتجنّب ما يثير الفتن، ويثير الضغائن بين الاخوة.

يقول: على الاخوة الايرانيين وجميع الشيعة فى العالم أن يتجنّبوا الأعمال الجاهلة، التى تؤدّى إلى تفرّق صفوف المسلمين، كنصب مكبّرات الصوت بدون انتظام، وإلقاء النفس على القبور الطاهرة، والأعمال المخالفة للشرع.

كما أصدر فتوى أخرى للشيعة بالاشتراك فى الصلوات، حيث يقول:

وعليهم أن يشتركوا فى جماعات أهل السنّة، وأن يتجنّبوا عقد صلاة الجماعة فى البيوت.

ثم راح يبيّن خطورة تقسيم الامّة الإسلامية إلى مذاهب وحذّر منها:

– إنّ طرح مسألة تقسيم المسلمين إلى سنّى وشيعى وحنفى وحنبلى وأخبارى لا معنى لها أساساً..

– المجتمع الذى يريد أفراده جميعاً خدمة الإسلام والعيش تحت ظلال الإسلام لا ينبغى أن يثير هذه المسائل.

– كلّنا اخوة، وكلنا نعيش قلباً واحداً، غاية الأمر أنّ الحنفى يعمل بفتاوى علمائه، وهكذا الشافعى، وثمّة مجموعة أخرى هى الشيعة تعمل بفتاوى الإمام الصادق عليه السلام، وهذا لا يبرّر وجود الاختلاف، لا ينبغى أن نختلف مع بعضنا، أو أن يكون بيننا تناقض. كلّنا اخوة، على الاخوة الشيعة والسنّة اجتناب كلّ اختلاف، فالاختلاف بيننا اليوم هو لصالح الذين لا يؤمنون بالسنّة ولا بالشيعة ولا بالمذهب الحنفى ولا بسائر الفرق الإسلامية.

ص: ۱۷۳

وهؤلاء يريدون القضاء على هذا وذاك، فهدفهم بثّ الفرقة بينكم. عليكم أن تنتبهوا جيداً أننا جميعاً مسلمون وأتباع القرآن وأهل التوحيد.

دعوة لإحباط المؤامرات

ويبادر سماحته بالدعوة الصادقة إلى الوحدة والتآلف لإحباط المؤامرات فيقول:

- إنني أمدّ يد الاخوّة إلى جميع المسلمين الملتزمين فى العالم، وأطلب منهم أن ينظروا إلى الشيعة بصفتهم اخوة أعزّاء لهم، وبذلك نشترك جميعاً فى إحباط هذه المخططات المشؤومة.

استنهاض المسلمين

ثم واصل حديثه ووصاياه لاستنهاض المسلمين من سباتهم ومن تمزّقهم:

- أيّها المسلمون المؤمنون بحقيقة الإسلام، انهضوا ووحّدوا صفوفكم تحت راية التوحيد وفى ظلّ تعاليم الإسلام، واقطعوا أيدى الدول الكبرى الخائنة عن بلدانكم وثرواتكم الوفيرة، وأعيدوا مجد الإسلام، وتجنّبوا الاختلافات والأهواء النفسية، فإنكم تملكون كلّ شىء. اعلموا أن قدرتكم الروحية ستتغلّب على جميع الطواغيت، وتستطيعون بعددكم البالغ مليار إنسان، وبثرواتكم الطائلة غير المحدودة أن تحطموا جميع القوى.. انصروا اللّه كى ينصركم.

أيّها الجموع الغفيرة من المسلمين، انتفضوا وحطّموا أعداء الإنسانية فإن اتجهتم إلى اللّه تعالى، والتزمتم بالتعاليم السماوية، فاللّه تعالى وجنده العظام معكم.

.. ولنصل إلى النصر من خلال الاجتماع على الحق، وتوحيد الكلمة وكلمة التوحيد، التى هى أساس ومنبع عظمة الامّة الإسلامية.

يا مسلمى العالم، ماذا جرى لكم فى صدر الإسلام، على قلتكم هزمتم القوى العظمى، وحققتم وجود الامّة الإسلامية الإنسانية الكبرى، وأنتم اليوم تعدّون ما يقارب المليار نسمة وتملكون الثروات الكبيرة، التى تعتبر رأس الحربة، وتعانون إلى هذا الحدّ

ص: ۱۷۴

من الضعف والانسحاق فی مقابل الأعداء؟!

هل تعلمون أنّ کل المصائب التی تعانون منها هی نتیجة التفرّق والاختلاف بین رؤساء بلدانکم وبالتالی فیما بینکم؟

انهضوا من أماکنکم واحملوا القرآن الکریم، واستلهموا أوامر اللّه تعالی حتی تعیدوا مجدکم وعظمة الإسلام العزیز، تعالوا واستمعوا إلی موعظة واحدة من اللّه حیث یقول:

قل إنّما أعظکم بواحدة أن تقوموا للّهمثنی وفرادی.. انهضوا جمیعاً وقوموا للّه، قوموا فرادی علی جنود وشیاطین أنفسکم الباطنیة وقوموا جمیعاً علی القوی الشیطانیة، إذا کانت الثورة والنهضة إلهیة ولأجل اللّه فهی منتصرة.

ثم واصل حدیثه الاستنهاضی هذا بقوله:

أیّها المسلمون ویا مستضعفی العالم مدّوا أیدیکم بعضکم لبعض وسیروا فی سبیل اللّه....

یجب أن نعلم أنّ إحدی الفلسفات الاجتماعیة لهذا التجمّع العظیم من جمیع أنحاء العالم توثیق عری الوحدة بین أتباع نبیّ الإسلام، أتباع القرآن الکریم فی مقابل طواغیت العالم، وإذا لا سمح اللّه أوجد بعض الحجّاج من خلال أعمالهم خللًا فی هذه الوحدة أدّت إلی التفرقة، فذلک سیوجب سخط رسول اللّه صلی الله علیه و آله وعذاب اللّه القادر الجبّار.

وفی عبارة اخری له: وأن ترتفعوا عن الفرقة والتنازع ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ریحکم.

- الحجّاج المحترمون الموجودون فی جوار بیت اللّه ومحل رحمته، تعاطوا برفق ومروءة واخوة إسلامیة مع جمیع عباد اللّه، واعتبروا الجمیع ودون النظر إلی اللون واللسان والمنطقة والمحیط منکم.

ثم دعاهم جمیعاً إلی شیء عظیم ألا وهو:

أن تکونوا جمیعاً یداً قرآنیة واحدة حتی تسیطروا علی أعداء الإسلام والإنسانیة.

ص: ۱۷۵

ما أجمله من تعبير: يداً قرآنية واحدة!

نعم يمكننا نحن أن نتجنّب ما يثير الخلاف والنزاع والفرقة دون أن نصادر الرأى الآخر إذا ما قام عليه الدليل، وبذلك نستطيع أن نصون الوحدة لأمّتنا الإسلامية، هذا الأمل الكبير الذى يُراود كلّ المؤمنين المجاهدين والعلماء المصلحين.. تحت ظلال القرآن الكريم.

الهوامش:

ص: ۱۷۶

الابعاد الاجتماعية لمناسك الحج

الابعاد الاجتماعية لمناسك الحج

الابعاد الاجتماعية لمناسك الحج

زهير الأعرجى

اهتم السيد الإمام الخمينى قدس سره، خلال حياته السياسية والاجتهادية، والاجتماعية المديدة التى قاربت قرناً من الزمان، اهتماماً بالغاً بفريضة الحج. فقد كتب العديد من الرسائل، وألقى الكثير من الخطب لارشاد الأمة حول دور الحج، خصوصاً فى الانفتاح على مجتمعات المسلمين ومشاركتها همومها وآلامها.

وكان قدس سره يرى الحج مناسبة اجتماعية فريدة ومؤتمراً إلهياً عظيماً تُناقش فيه مشاكل المسلمين وتتبلور فيه طموحاتهم وآمالهم. بل كان قدس سره يرىفى الحج هويةً وانتماءً اجتماعياً وسياسياً للمسلمين، اذا احسن اقناعهم بصحة متبنيات الإسلام الحقيقى.

ولذلك، فإنّ هذه المقالة سوف تتناول أولًا: الأبعاد الاجتماعية للحج عبر مناقشة: أ- الانتماء الاجتماعى. ب- محاربة الانعزال الاجتماعى. ج- فلسفة الاقناع. ثم تتناول ثانيا: الإمام الخمينى قدس سره والحج، عبر تحليل اقواله وخطاباته السياسية الخاصة بتلك المناسك.

ص: ۱۷۷

أولًا: الأبعاد الاجتماعية للحج

عنـدما نـدرس الابعاد الاجتماعية للحج، فاننا لا نبتغى دراسة علل الشـرائع، فهذا موضوع خارج عن قدراتنا كبشـر. ولكننا نلتمس أموراً ظاهرية تُعيننا على فهم أنفسنا ومجتمعنا وطبيعة تكليفنا الدينى.

أ- الانتماء الاجتماعى

لاشك أنّ الإنسان لايسـتطيع أن يعيش منفرداً دون مشاركة الآخرين، ومرافقتهم فى أغلب نشاطاتهم الحياتية اليومية فى العمل والتعليم والعبادة. فنحن خلقنا كى نعيش فى مجاميع صـغيرة أو كبيرة؛ ولعل هذا يفسّـر لنا إلى حدّ بعيد سـبب حثّ الدين الحنيف على ضرورة الـتزاوج، والـتزاور، والعمـل المشترك، والمشاركـة فى الاعمـال التعبديـة بصورة جماعيـة. فحاجتنـا الانسانيـة نحو الاتصـال بالآـخرين والاجتماع بهم ليست مطلباً عملياً يسهّل علينا الحياة الاجتماعية فحسب، بل انها حاجة نفسية غريزية؛ ولذلك فإنّ الانعزال عن الآخرين يسبب أمراضاً عقليةً للفرد المنعزل.

وأهم ثمار الاجتماع الانسانى هو إشباع حاجة نفسية أساسية للانسان وهى الشعور ب «الانتماء الاجتماعى»، فالانتماء يميز الفرد ويشعره بهويته الاجتماعيـة التى تميزه عن الغربـاء. والشـعور بالانتمـاء الاجتماعى نحو جماعـة أو عقيـدة معينـة يساهم بشـكل فعال فى التفاعل والتأثير بين الأفراد. فالأفراد الـذين يتجمعون فى حافلـة للنقل العام فى إحدى المدن الكبيرة لا يحصل بينهم التفاعل والتأثير الاجتماعى المطلوب؛ لأنهم لايشعرون بالانتماء إلى نفس الفكرة أو العقيدة التى تجمع الحجيج مثلًا.

إلا أنّ مناسك الحـج تلهب شـعور المسـلم بالانتماء الاجتماعى لمجتمع التوحيـد العالمى. فطبيعة التفاعل والتغير المسـتمر الذى يختبره الفرد فى حياته الاجتماعية تجعل مسألة الانتماء مهمة للغاية. ولايشبع هذا الشعور الانسانى بالانتماء شىء غير

ص: ۱۷۸

الـدين ورسالته العظيمـة التى توحّـد توجهات الأفراد نحو هـدف واحـد. ومن الطبيعى أنّ أهـداف الانتماء الاجتماعى لن تتكامل ما لم يشعر الفرد بالأمان.

والحـج يعطى الفرد شـعوراً بالأمـان؛ لوقوعه فى الأشـهر الحرم التى يحرم فيهـا القتـال أوّلًا، ولأـنّ المناسك يجب أن تؤدى فى وضـع شرعى أمنى خاص ثانياً.

والانسان بطبيعته يحتاج إلى حمايـة الجماعة ومساندتها. ومن أجل ذلك، فقد أورد الإسـلام ترتيبات أمنية على درجة عظيمة من الدقة والإحكام، منها:

۱- تقرير الأمن فى البيت الحرام، بعد أن أوجب اليه الحج- بشروطه الشرعية- على المكلفين، كما ورد فى النص المجيد: إنّ أول بيتٍ وضع للناس للـذى ببكـة مباركاً وهـدًى للعالمين* فيه آيات بينات مقامُ ابراهيم ومن دخله كان آمناً...، و لقـد صـدق اللّه رسوله الرؤيا بالحق لتـدخُلُنّ المسـجد الحرام إن شاء اللّه آمنين محلقين رؤوسـكم ومقصّـرين لاتخافون.... وكون الحرم آمناً يأمن من دخله، يعكس أهمية الأمان فى استقرار التأثير الدينى على الناس.

۲- حرمـة الاعتـداء على الآخرين، أو حرمـة القتال فى الأشـهر الحرم- وهى شـهر رجب الفرد وذو القعـدة وذو الحجـة ومحرم الحرام- ووجوب حفظ حرمـة الشـعائر وحرمـة القاصدين لزيارة البيت الحرام، كما ورد فى النص المجيد: ياأيها الذين آمنوا لاتحلّوا شـعائر الله ولا الشـهر الحرام ولا الهدىَ ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلًا من ربّهم ورضواناً وإذا حللتم فاصطادوا ولايجرمنكم شنآنُ قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان...

۳- حرمة مكة المشـرفة وضرورة تعظيمها. فهى البلدة التى شرّفها اللّه سبحانه من وجهين؛ الاول: الحرمة باعتبار مناسك الحج. والثانى: نسـبة تلـك البلـدة اليه، كمـا قـال عز من قائل: إنّما أمرت أن أعبـد ربّ هـذه البلـدةِ الـذى حرّمها ولهُ كلُ شـىءٍ وأمرتُ أن أكون من المسلمين.

ص: ۱۷۹

۴- منع کلّ أسالیب تعکیر صفو الأمن خلال أداء المناسک، کالکذب والجدال والفسوق، کما جاء فی النص المجید: الحج أشهر معلومات فمن فرض فیهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فی الحج.

واللافت للنظر أنّ مناسک الحج- بکثرة عدد المشارکین فیها، واتساع الرقعة الجغرافیة التی تمارس فیها- تتم دون وجود قائد میدانی یقود جماهیر الحجیج نحو هدف ما مثلًا. بل إن کلّ فرد مسؤول مسؤولیة تامة عما یعمله ویقوم به من مناسک فی الطواف والصلاة والسعی والوقوف والرمی والنحر والمبیت. وهذا النظام الدقیق الذی ینفّذ علی مساحة جغرافیة واسعة دون وجود قائد میدانی یقود الأفراد یعتبر من معجزات هذا السلوک الجمعی. ومناسک الحج هذه تتمیز عن أعمال الحرکات الاجتماعیة التی لاتتحرک دون وجود قائد منظور ونظام اداری هرمی یسیطر علی الحرکة. ولکن تمیز مناسک الحج عن نشاط الحرکات الاجتماعیة یعکس تمیز الخالق عز وجل الذی شرع تلک المناسک عن المخلوقات التی أنشأت الحرکات الاجتماعیة.

ولعل أحد أشکال الإعجاز الدینی فی الحج، هو أنّ هذه المناسک یقوم بها ملایین الحجیج من شتی المجتمعات والحضارات والترکیبات الثقافیة، وبهذه الدقة، دون وجود ترکیب اداری لادارة هذه الأعمال الجماعیة کما یحصل غالباً فی المؤسسات التعلیمیة والتجاریة والعسکریة، ودون سلسلة قیادة لإدارة هذا الجمع العظیم من الأفراد.

إنّ الشعور بالأمان الجماعی خلال أداء المناسک یرسخ فکرة «الانتماء الاجتماعی» التی تعکس حاجة الانسان لتشخیص هویته الدینیة والاجتماعیة التی تمیزه عن الغرباء.

ب- محاربة الانعزال الاجتماعی

لیس عجیباً القول: بأنّ الانعزال الاجتماعی یعدُّ من أخطر العوامل التی تؤدی

ص: ۱۸۰

إلى الاضطرابات العقلية التى تصيب الفرد المحروم من المشاركة فى النشاطات الاجتماعية. وليس غريباً أن نقول: بأنّ المسلمين هم اقل الفئات البشرية انعزالًا، وأقلهم إصابةً بأمراض الاغتراب الاجتماعى. والنقطة الرئيسية هنا هى أنّ الحقيقة الخارجية التى يتم تصورها فى ذهن الانسان لايمكن بناؤها اجتماعياً الا بمساعدة الآخرين، فنحن لانستطيع أن نفهم عقيدتنا فى الخلق والتكوين والحياة الاجتماعية إلّا عن طريق رسائل يحملها الآخرون لنا. ولذلك، فإنّ للفرد طاقة نفسية لاستيعاب مفردات الحياة الاجتماعية وشروطها، وهذه الطاقة والقابلية النفسية لابد من إشباعها حتى يتحقق الاجتماع الانسانى الذى هو أصل بقاء الحياة الانسانية على وجه الأرض.

ويعدّ السجن الانفرادى من أكثر العقوبات قسوة ووحشية على الانسان؛ لأنّ الفرد بحاجة دائمية إلى الاتصال بالآخرين حتى يستطيع أن يحافظ على إحساسه المستمر بالحقائق الخارجية ويحافظ على الشعور بهويته الذاتية؛ ولذلك فإنّ الأفراد الذين يعاقبون بالسجن الانفرادى لفترة طويلة يفقدون إحساسهم بقيمة الوقت مع أنهم يحسبون الأيام عن طريق خطوط يرسمونها على جدران السجون. وعندما يفقدون إحساسهم بقيمة الوقت، فإنّ الشك يبدأ بالسريان إلى كلّ شىء فى حياتهم، فلا يستطيعون- لاحقاً- الاطمئنان إلى الحقائق الخارجية التى اختبروها فى حياتهم العامة سابقاً.

ولكن الانعزال والاغتراب الاجتماعى لايكون دائماً نتيجة سجن انفرادى أو عزل قسرى، بل قد يتولد من ضعف الانسان أمام المشاكل الاجتماعية، أو فقدانه المعنى الواضح للحياة، أو انهيار الجانب الاخلاقى الاجتماعى.

فالضعف الانسانى تجاه المشاكل الاجتماعية التى جلبتها المادية الحديثة، وانعدام العدالة الاجتماعية، وانحلال الأواصر العائلية والأسرية أدّى إلى إحساس الفرد بغربته وانفصاله عن المجتمع الكبير الذى يعيش فيه؛ لان المشاكل

ص: ۱۸۱

الاجتماعية التى يعانى منها دون حلول واضحة تدفع الانسان المادى نحو الإدمان على المخدرات والكحول، وتجعله يسبح فى بحر من الاضطرابات النفسية والعقلية.

أما فقدان الفرد لشعوره لمعنى الحياة الانسانية وأهداف الخلق والوجود، فانه يساعد أيضاً على الاغتراب الاجتماعى، باعتبار أنّ قلق الفرد وعدم استقراره على عقيدة معينة يطمئن اليها لتفسير معانى الخلق والحياة والانسان تعطى ذلك الفرد صورة مرعبة قاتمة عن الحياة ودور الانسان فيها.

وكذلك الحال إذا واجه الفرد غياباً للأعراف والقيم الأخلاقية التى آمن بها، فانه سيشعر بأنّ سلوكه الأخلاقى غير مقبول اجتماعياً من قبل الفئة المسيطرة على النظام السياسى والاخلاقى والاقتصادى. وهى خطوة أولية نحو الاغتراب الاجتماعى.

ولكن الانعزال والغربة الاجتماعية انما هما تعبيران عن شعور الفرد المنعزل عن انسلاخه عن بقية الأفراد الذين يتعامل معهم. فالاغتراب الاجتماعى هو محاولة داخلية لرفض المجرى العام للنظام الاجتماعى من قبل المغترب، والاحساس العميق بأنه قد خُلق فى زمان ومكان لم يكونا متلائمين مع بيئته الانسانية ومحيطه الاجتماعى. بمعنى أنّ الفرد المنعزل اجتماعياً يعلم فى داخله بأنّ المجتمع لايكافئه مكافَأة نفسية أو فكرية تساعده على الاندماج مع الآخرين، والسير مع السفينة الاجتماعية الماخرة فى عباب الزمن.

ولاشك أنّ الإسلام- باعتباره ديناً ورسالة عالمية غير مقيدة بزمن معين- اهتم بقضية الاغتراب الانسانى، وعالج هذه المشكلة عبر حثّه الأفراد على ضرورة الانتماء الاجتماعى التى لاحظنا أهميتها الفائقة فى كسر طوق الاضطرابات العقلية والنفسية. وكان الحج احد مصاديق محاربة الاغتراب الانسانى على مر التاريخ. ونظرة خاطفة لطبيعة الحج فى مكافحة الانعزال الاجتماعى، تبين لنا

ص: ۱۸۲

النقاط التالية:

۱- أنّ التهيؤ الاجتماعى للسفر يجمع الأفراد لفترة زمنية معينة، مما يساعدهم على كسر طوق العزلة الاجتماعية.

۲- أنّ فكرة الاستطاعة تشجع الأفراد على العمل الجاد من أجل التحصيل المالى والاكتفاء، وهذا يبعد الأفراد عن الكسل ويبعدهم عن الانعزال أيضاً؛ لأنّ التكسب غالباً ما يكون جماعياً.

۳- أنّ مناسك الحج تعكس طبيعة التجمع الانسانى، فالمسلك الجماعى فى العبادة يمنح الفرد شعوراً بالاندماج مع الأمة الكبيرة المنتشرة فى كلّ بقاع الأرض.

۴- أنّ الإسلام يكافح الانعزال الذاتى «الشخصى» عبر حثّ المكلّف على الاتصال باللَّه سبحانه وتعالى، ويكافح الانعزال الموضوعى «الاجتماعى» عبر تطبيق الاحكام الشرعية على النظام الاجتماعى، وبذلك تسد الشريعة الطريق على الانعزال والاغتراب الاجتماعى بشكل مُحكَم.

۵- العدالة الاجتماعية فى الإسلام والمساعدات المتبادلة بين الأفراد أنفسهم، وبين الأفراد والدولة، وصلة الرحم، كلّها تقلل من فرص الانعزال الاجتماعى.

والحج يعكس جانباً من جوانب العدالة الاجتماعية الكلية فى الإسلام.

۶- يعتبر التقدم فى السن أحد أسباب الانعزال الاجتماعى فى المجتمعات المادية بسبب عدم قدرة المسنّ على الانتاج مما تسبب له مشاكل اقتصادية جمّة.

وإذا اضفنا إلى ذلك مشاكل انحلال الروابط الأسرية بسبب التصنيع وتغيير الخارطة السكانية، يتضح لنا أنّ من أكثر الأمراض النفسية ظلاماً وتأثيراً على الفرد هو الانعزال الاجتماعى للمسنّين. إلّاأنّ الاستطاعة الشرعية لأداء الحج غالباً ما تحصل عندما يتوسط عمر الانسان ويجمع مالًا من عرق جبينه ليحقق شروط الاستطاعة الشرعية. وليس هنا تمييز شرعى من أى نوع تجاه المسنين؛ لأنّ الدين ضمن منهجه الأخلاقى حثَّ على احترام الكبير وضمنَ معيشته على

ص: ۱۸۳

الصعيد العائلى أو صعيد الدولة. ولما كانت العلاقات العائلية فى الإسلام متماسكة كان المسنّ أكثر الأفراد ثراءً فى الخبرة والتعبد والعلاقات الاجتماعية، وأكثرهم بعداً عن الانعزال الاجتماعى.

وبكلمة، فإنّ الاطار الاجتماعى لمناسك الحج، تدفع الناس نحو التماسك والتعاون الذى يتحول لاحقاً إلى لبنة من لبنات بناء الدولة الإسلامية العالمية.

ولاشك أن النشاطات الشرعية للحج الإسلامى انما تساعد جميع الأفراد على كسر طوق الانعزال الاجتماعى والغربة الانسانية التى نلاحظ مساوئها النفسية فى عالم اليوم.

ج- فلسفة الاقناع

ويبرز سؤال مهم هنا، وهو: ما هى الظروف الموضوعية التى تكون سبباً قوياً لتغيير اتجاهات الأفراد واعتقاداتهم وسلوكهم؟ وكيف نصدّق بأنّ ذلك التغيير سيكون تغييراً جوهرياً حقيقياً وليس تغييراً سطحياً ظاهرياً لامعنىً له؟

لاشك أننا نتعرض يومياً إلى محاولات اجتماعية عديدة للتأثير علينا فى التفكير والشعور والسلوك، وهذه المحاولات تهدف إلى إقناعنا بقبول أو رفض سلوك وتفكير معين، وبطبيعة الحال فإنّ الإقناع لايتحقق ما لم يتم تغيير اتجاه الأفراد المراد اقناعهم.

ولكى نفهم طرق الاقناع، لابد أن نفهم أصول الاتجاه الانسانى وهى ثلاثة:

(۱) العقيدة التى يؤمن بها الانسان. (۲) القضايا العاطفية المرصوصة بين أحجار تلك العقيدة. (۳) النية، والقدرة على الاستجابة للمحفزات الخارجية.

فعندما نكوّن اتجاهنا نحو الأشياء والظواهر الخارجية التى من حولنا، فاننا نحتاج إلى معلومات يقدمها لنا الآخرون:

أولًا: أنّ من أهم وسائل الاقناع لتثبيت أو تغيير اتجاهاتنا هو كمية المعلومات الواردة إلى أذهاننا من المصادر الخارجية.

ص: ۱۸۴

ثانياً: ملاحظة سلوك القادة يؤثر دائماً على أفكارنا.

ثالثاً: نظام الثواب والعقاب يؤثر دائماً على توجهاتنا السلوكية.

وفيما نحن فيه، تعتبر ساحة الحج من أنشط الأماكن الاجتماعية فعالية فى الاقناع؛ لأنّ الحجيج يأتون من مختلف بقاع العالم وهم يحملون معلومات جديدة عن الخبرات الاجتماعية والدينية فى مجتمعاتهم. ويتعرض الحجيج إلى فعالية التأثير السلوكى للذين يحتلون موقعاً متميزاً على صعيد القيادة الدينية والحركية والثقافية الإسلامية فى مجتمعاتهم المتباينة. ولاشك أنّ التبليغ الإسلامى الذى ينبغى أن يقوم به المبلّغون- وهو يشمل تذكير الحجيج بالثواب والعقاب الآخروى الذى تعرض له القرآن الكريم- يعدُّ وسيلة أخرى من وسائل الإقناع الاجتماعى بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية على كلّ أركان الحياة الاجتماعية الإسلامية.

ومع أنّ فلسفة الاقناع وتطبيقاتها قد تطورت فى العقود الأخيرة، إلا أنّ مبادئها قديمة قدم فكرة: المصدر، والرسالة، والجمهور. وهى من اهم متغيرات الاقناع؛ وتُلَخّص بالأسئلة الثلاثة: «مَن الذى يخاطب مَنْ؟ ويقول ما؟ وما هو التأثير؟».

وحتى لو فهمنا الحج من هذا المنظار؛ لرأينا أنّ هذا العمل العبادى يجمع كلّ متغيرات الاقناع التى لازال الفلاسفة يناقشونها لحد اليوم. فالحاج المبلِّغ- وهو مصدر الإقناع- ينبغى أن يجمع ما بين الخبرة، والثقة، والمنزلة العلمية والاجتماعية، والجاذبية الخارجية والذاتية. والرسالة ينبغى أن تحمل كلّ معانى الجذب العقلائى والعاطفى، والاسلوب اللغوى الفصيح، والموضوعية فى طرح الايجابيات والسلبيات. والجمهور ينبغى أن يكون على درجة من الاستعداد لتقبل المعلومات من اجل الاقتناع.

وهذه المتغيرات- فى واقع الأمر- لها مدلولاتها العملية فى إقناع الناس بضرورة تطبيق المفردات الشرعية والوصول إلى التغيير الاجتماعى المنشود.

ص: ۱۸۵

ولاشک أنّ من أهم خطوات عملیـة الاقناع هو أن یشـعر الأفراد جمیعاً بالمساواة الحقوقیة والاجتماعیة فیما بینهم. فاذا تفاوتت طبقاتهم فی المجتمع، انعـدمت- عندئـذٍ- وسائل الاقناع الذاتیة الحقیقیة؛ لأنّ الإقناع الجدید المفروض من قبل طبقة اقوی سـیکون مجرّد إکراهٍ یرضخ لشـروطه الأفراد، وهذه المسألة مهمة فی الحج أیضاً، فشعور الحجیج بالمساواة التامة یفتح أبواباً عدیدةً للإقناع الشرعی بضرورة التغییر الاجتماعی.

نقطـة أخری مهمـة، وهی أنّ ایجابیـة طرح الأفکار المُقنِعة یؤدی إلی ایجابیة القبول والاقتناع من قبل الحجیج. ومثال ذلک، لو ان فرداً حـاول إقنـاع الآـخرین بتطبیق الأحکـام الشـرعیة عن طریق عرض العقوبات الإسـلامیة والجزاء الرادع مجرّداً من أی إشارة إلی الرحمة الالهیـة والمغفرة والثواب الأـخروی، فـان ذلک التبلیغ سوف لایشـجع الأفراد علی الاقتناع بتلک الافکار ما لم یلازمها طرحٍ موازٍ للعفو والغفران الإلهی.

نقطة ثالثة، وهی أنّ السلوک الانسانی لایتبدل إلّابتبدل الاتجاه الداخلی للفرد.

فالفرد لایسـلک سلوکاً مختلفاً ما لم تؤثر علیه قوة فکریة عظیمة تستطیع أن تصل إلی قرارة نفسه وأعماق وجدانه، فتغیر اتجاهه الذاتی نحو العقائـد والأفکـار، وعنـدها فقـط یتبـدل سـلوکه الشخصـی أو الاجتماعی. ومن المهم أن نعلم أنّ الرسالـة الدینیـة کانت ولا تزال تهـدف بالاصل وبشـکل واضح إلی تغییر اتجاه الأفراد أولًا عن طریق تغییر توجه القلوب کما أشارت إلی ذلک الآیة القرآنیة الکریمة بصدق:

إنّ اللّه لایغیر ما بقوم حتی یغیروا ما بأنفسـهم. وإذا ما تم تغییر اتجاهات القلوب، فإنّ تبـدیل السـلوک سـیکون امراً ممکناً، ان لم یکن طبیعیاً.

ولکن إذا قاوم الفرد وسائل الاقناع لاعتبارات ذاتیة محضة، فماذا یحصل؟

لاشک ان الفرد لایستطیع أن یعیش فی تنافر ذاتی بین قوتین تجذبه کل منهما نحو

ص: ۱۸۶

الطرف المضـاد. فلنفترض أنّ فرداً مـا كان يرتكب عملًا مخالفاً للشـريعة- مسانـدة الظالم مثلًا- ثم التقاه عالم من علماء الـدين وعرض عليه فكرة العقوبـة الأخرويـة إذا لم يتوقف عن ارتكاب ذلك العمل، ملمّحاً إلى ابواب التوبـة التى فتحها الـدين أمام المـذنبين. فلكى يزول هـذا التنافر بين الطبيعـة الفطريـة التى يمثلها الـدين وبين المخالفـة الشـرعية التى ترفضـها الفطرة الانسانية، يقف ذلك الفرد أمام نظرية الاقناع عبر الخطوات التالية:

أ- يغيّر اعتقاده بأنّ المخالفة عمل طبيعى مستساغ.

ب- يغير سلوكه السابق، وذلك بالتوقف عن ارتكاب تلك المخالفة الشرعية.

ج- يعيد تقييم سلوكه بالتوبة والاستغفار.

د- يضيف بعداً جديداً إلى تفكيره الجديد حول الالتزام بتطبيق الأحكام الشرعية.

إنّ الانسان- مهما كان اعتقاده- ملزمٌ ذاتياً بتقليل التنافر الفكرى الـداخلى إلى أدنى حدّ ممكن؛ لأنّ التنافر بين ما يعتقده الفرد وبين ما يعمله يؤدى إلى تمزيقه نفسياً وعقلياً؛ ولـذلك كانت الرسالـة الدينية- ورسالة الحج بالخصوص- منسـجمة تماماً مع الفطرة الانسانية، كما اشار القرآن المجيد إلى ذلك: فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق اللّه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون.

هذه ملامح مختصـرة عن الأبعاد الاجتماعية لمناسك الحج، وقد عرضـناها كمدخل لدراسة الفهم الاجتماعى لفريضة الحج عند السيد الإمام الخمينى قدس سره.

ثانياً: الإمام الخمينى قدس سره والحج

تعرض الإمـام الخمينى قـدس سـره لأفكـار الحـج بكثير من الدقـة الاجتماعيـة، وحاول ان يرسّـخ فى ذهن الأمـة فكرة مهمـة. وهى أنّ مناسك الحج ليست مناسك روحية فحسب، بل إنّ لها مقاصد وملاكات اجتماعية على نطاق المسلمين فى العالم أجمع.

ص: ۱۸۷

وسوف نعرض خمس عشرة فكرة من أفكار الإمام قدس سره حول الحج مع تعليق مختصر عل كلّ منها.

(۱) الفريضة ذات المحتوى الاجتماعى

يقول الإمام قدس سره فى إحدى رسائله واصفاً فريضة الحج بالقول: «نظراً لاقتراب أيّام إقامة واحدة من الفرائض الإسلامية الكبرى ذات المحتوىالانسانى، الروحى، السياسى، الاجتماعى، العظيم، أعنى فريضة حج بيت اللّه الحرام يلزم... تطهير هذه الفريضة المقدسة من آثار الطاغوت لتعود إلى الإسلام الحقيقى...».

تعليق: تعدُّ مناسك الحج التى شرعها الإسلام شكلًا من أشكال السلوك الجمعى ووجهاً من أوجه التفاعل الروحى والاجتماعى بين المسلمين. ومع أننا ننظر إلى الحج من زاوية: الأحكام الشرعية التى تلزم الفرد بوجوب الحضور عند تحقق الاستطاعة الشرعية، وما يرافق ذلك الحضور من إلزامات فى تطبيق تلك الأحكام. وننظر إلى تلك العبادة أيضاً من زاوية الإطار الروحى الذى يتجسد فى الرحلة الشيقة إلى بيت الله الحرام وما يرافقها من سمو أخلاقى عظيم يرفع الفرد المكلف إلى أعلى درجات الكمال النفسى والروحى مع خالقه العظيم. إلاـ أنّ الحق هو ان هناك جانباً ثالثاً خطيراً من جوانب الحج، ألاـ وهو الجانب الاجتماعى وما يرافقه من سلوك جمعى عالمى ينتهى إلى تغيير اجتماعى له أبعاد خطيرة.

ولما كانت مناسك الحج على درجة عظيمة من الأهمية على الصعيد الشرعى، فإننا نفترض أن ينبثق عن تلك الفريضة لونان من ألوان النشاط الانسانى.

اللون الأول: هو النشاط التعبدى الفردى وما يصاحبه من خشوع وتواضع وتذلل للمولى عز وجل.

اللون الثانى: هو النشاط الاجتماعى الذى يتمثل بالسلوك المشترك بين المتعبدين، وما ينتج عنه من تفاعل بين الأفراد من مختلف الأجناس، ويؤدى

ص: ۱۸۸

بالنهاية إلى التغيير الاجتماعى الذى هو الأصل فى نشاطات السلوك الجمعى.

ولايتوقف الأمر عند ذلك، بل إنّ الحج يولد شعوراً لدى الأفراد المندمجين بمناسكه وأفعاله، بالوحدة الكونية التى تجمع الخلق والمخلوقات. فالنظام الكونى فى الحركة والدوران والبداية والنهاية ينعكس بشكل من الأشكال على هذه الأفعال التعبدية المنتظمة كالطواف بالبيت، والسعى بين الصفا والمروة، والصعود إلى جبل عرفات، والإفاضة إلى المزدلفة، ونحوها. وهذا الانسجام فى طبيعة مناسك الحج يبرز شكلًا جديداً من أشكال التنظيم الاجتماعى الدينى الذى يستحق تأملًا دقيقاً فى أهدافه ومقاصده الحياتية.

(۲) هذا المؤتمر العظيم

يشير الإمام قدس سره إلى مناسك الحج ومناسبتها، فيصفها بالمؤتمر العظيم. يقول قدس سره:

«لايخفى على أحد أنّ إقامة مثل هذا المؤتمر العظيم لايتسنى لأية شخصية ولا اية حكومة. فهذا امر اللّه تعالى هو الذى أعدّ هذا التجمع الكبير».

تعليق: إنّ الإسلام لم يقدّم للبشرية أعظم نظريات السلوك الجمعى فحسب، بل وضع الأفراد على محك التكليف الشرعى العملى وأوجب عليهم- عند تحقق الاستطاعة الشرعية وضمن تحديد زمانى معين- التوجه إلى بيت الله الحرام فى وسط صحراء الجزيرة العربية القاحلة لأداء تلك المناسك الشرعية فى الطواف والصلاة والسعى والوقوف والنحر والمبيت. والتزام الأفراد بهذا العمل على مدى القرون المتمادية، مع ملاحظة المشّاق التى كان يعانى منها الفرد فى التنقل، عبّر عن حقيقتين:

الأولى: حقيقة الرسالة الإسلامية وارتباطها بالتصميم الإلهى للخلق والمخلوقات. فلو قامت أية حركة اجتماعية أو حزب سياسى بدعوة الناس إلى التجمع فى ذلك المكان الصحراوى فى وقت محدد من كلّ عام، لما استجاب لتلك الدعوة أحد.

ص: ۱۸۹

الثانية: أنها عبّرت عن أنّ النتائج المترتبة على تأدية تلك المناسک إنما تثمر على صعيدين:

فردى: وهو ما يتعلق بالتهذيب الروحى للذات.

وجماعى: وهو ما يتعلق بتهذيب المجتمع الانسانى الكبير.

ولاشک أن الآثار الناتجة عن مناسک الحج يمكن فهمها على أساس أنها آثار مؤتمر عظيم للمكلفين من اهل الأرض، قد دعت له السماء.

(۳) المعانى والاشارات

يشير الإمام قدس سره إلى أنّ أعمال الحج التعبدية لايمكن أن تؤخذ على ظاهرها، بل لابد من فهم معانيها، ف: «الطواف حول بيت اللَّه مؤشر لعدم الالتفاف حول غير اللَّه، ورجم العقبات رجم شياطين الانس والجن...».

تعليق: بالرغم من أنّ اللغة تعتبر وسيلة مهمة من وسائل التفاعل الاجتماعى، إلا أنّ الاتصال غير الشفهى- وهو تبادل المعلومات أو التعبير عن عمل ما بواسطة رموز غير لغوية كالاشارات والتعابير الجسدية- يعتبر مهماً أيضاً فى وسائل الاتصال الاجتماعى والدينى.

فيستطيع الجسم الانسانى عموماً- والوجه البشرى بالخصوص- القيام بحركات متنوعة، كالغضب والحزن والفرح والتعجب والخوف والقلق ونحوها.

ولاريب أنّ حركات الجسم الانسانى تبعث بشكل مباشر أو غير مباشر برسائل ورموز مفهومة على الصعيدين الاجتماعى والدينى.

ومن الواضح أنّ الاشارات والتعابير الجسدية تختلف من مجتمع إلى آخر حسب التركيبة الثقافية والدينية التى يعيشها الأفراد فى ذلک المجتمع، فهذه الاشارات تستطيع ان تبعث برسائل اجتماعية فعالة بين الأفراد.

ولكن الاشارات والتعابير الجسدية غير محدودة بحدود الاشارات الاجتماعية، بل إنّ لها معانٍ دينية وروحية. فالدين، وفهماً منه لطبيعة الانسان فى

ص: ۱۹۰

التعبير استخدم الاشارات والتعابير الجسدية فى العبادات كالصلاة والحج.

فالصلاة بشكلها الخارجى، كاستحباب رفع اليدين إلى الأذنين أو حيال الوجه فى تكبيرة الاحرام، والوقوف فى القراءة، والانحناء فى الركوع والسجود، والجلوس فى التسليم، ورفع اليدين عند الدعاء ما هى الا تعابير جسدية للاتصال بالخالق عز وجلّ عبر اللغة والتعبير الجسدى الشرعى الذى وضعه الشارع عزّ وجل للمكلف. والطواف، والسعى، والوقوف فى عرفات والمشعر الحرام، والرمى، والمبيت فى منى هى أيضاً تعابير جسدية لطبيعة هذه العبادة الواجبة على المكلفين.

والذى يهمّنا على هذا الصعيد هو أنّ التعابير الجسدية فى الحج هى وسيلة من وسائل التفاعل الاجتماعى، لأنّ الجدية فى أداء المناسک والتى تعكسها تلك التعابير الجسدية من الخوف من الخالق عزّ وجلّ، والبكاء خشية منه، والتضرع والدعاء، وانتظام الجسم فى الطواف، والاسراع فى بعض مراحل السعى، كلّها تساهم فى عملية التماسک الدينى بين الأفراد؛ خصوصاً عندما يشعر الأفراد أنهم يؤدون هذه المناسک مجتمعين، فتكون التعابير الجسدية وسيلة من وسائل انتظام الأفراد وانضباطهم كأمة لها كيانها الروحى والفكرى والعبادى المتميز. ولاشک أنّ هذه التعابير الجسدية الجماعية فى ممارسة الفريضة تساهم فى إنشاء انسجام داخلى بين المسلمين له أبعاده الاجتماعية العظيمة.

اذن، فان رجم الشيطان أو الطواف حول البيت ينبغى أن يكونا مؤشرين لحسن توجه المكلف نحو اللَّه سبحانه وتعالى. فالهدف هو الوصول إلى اللَّه سبحانه عبر هذه الوسائل.

(۴) القدرة العقلية

يقول الإمام قدس سره ضمن وصاياه فى الحج: «... يلزم تذكير السادة العلماء، وعلماء الدين المتمرسين المرافقين للقوافل بتشكيل جلسات قبل الحركة؛ لتعريف الحجاج المحترمين على المسائل الشرعية والواجبات الانسانية».

ص: ۱۹۱

تعليق: لاشك أنّ العلم بالأحكام الشرعية الخاصة بالمناسك ضرورى من أجل أدائها بصورة صحيحة. ولعل أهم ما ينتجه الجانب التطبيقى المتعلق بمناسك الحج هو التغيير الناتج من ملاقاة الحجيج بعضهم مع بعض. فالتكليف الوجوبى لتأدية تلك الفريضة مرهون بشروط ثلاثة، وهى: البلوغ والعقل والاستطاعة.

بمعنى أنّ القدرة المالية والعقلية هى التى تحدد وجوب الحج. ولكن إذا استثنينا القدرة المالية باعتبارها مجرّد وسيلة للوصول لتأدية أعمال الحج، بقيت لدينا القدرة العقلية، وهى الأصل فى التغيير الاجتماعى. أى أنّ المكلفين الذين يجتمعون لأداء المناسك هم الذين لديهم القابلية الفكرية والاستعداد النفسى على استيعاب شروط ومفردات التغيير الاجتماعى. ولاشك أنّ الحجيج يفدون من مجتمعات إنسانية متباينة فى الفكر واللغة والعادات الاجتماعية والثقافية، والحج لايوحّدهم على صعيد السلوك العبادى فحسب، بل على صعيد الفهم الاجتماعى لطبيعة المجتمعات الأخرى. ومثال ذلك، أنّ المكلفين المنتمين لمجتمعٍ أكثر تطبيقاً لاحكام الإسلام وإلزاماته الاخلاقية، إذا تواجدوا على ساحات البيت الحرام وحرم مكة فإنهم سيتميزون عن غيرهم من بقية افراد المجتمعات، بسبب تطابق سلوكهم مع السلوك الشرعى. وهذا السلوك العملى القريب من جوهر الإسلام سيترك آثاره الواضحة على بقية الأفراد من المجتمعات الأخرى. وبسبب هذا التفاعل الاجتماعى، فإنّ المسلمين على اختلاف تركيبتهم الثقافية والاجتماعية سيكتسبون بعضهم من بعض بما يرفع من مستواهم الأخلاقى والتطبيقى بالمقدار الذى ينسجم مع الشريعة، وهذا هو المقصود من التغيير الاجتماعى المطلوب.

وثمة عامل آخر مهم ينبثق عن مناسك الحج، ويقوم بدور البناء الاجتماعى أيضاً، وهو ترسيخ دور القيادة الدينية المرجعية فى حياة الأمة الإسلامية؛ لأنّ المفترض بالحجيج ان يقلّدوا فقيهاً مرجعاً يرشدهم إلى تعاليم دينهم، وهذه القيادة الشرعية الفكرية لها مردودها الايجابى على انسياب العمل الاجتماعى، وانسجام

ص: ۱۹۲

الأفراد فی توجهاتهم العملیة والروحیة. ولاریب أنّ القیادة العلمائیة تستطیع أن تفرض التغییر الاجتماعی علی الأفراد، إلا أنّ ذلک لیس من طبیعة الرسالة الإسلامیة التی تهتمّ بالفرد اهتماماً شاملًا، وتحمّله مسؤولیة القیام بالعمل العبادی الفردی والعمل الاجتماعی علی خطٍ متوازٍ کما نتلمس ذلک من روح النص المجید:

إن الله لایغیر ما بقوم حتی یغیروا ما بأنفسهم. ولذلک فان دور الفقیه هو إرشاد الأفراد نحو ضمان صحة تطبیق أحکام الشریعة الإسلامیة، خصوصاً فیما یتعلق بمناسک الحج التی نحن بصددها. إلا أنّ التفاعل الاجتماعی بین الأفراد وما یحققه من نتائج عظیمة فی التغییر الاجتماعی هو من مسؤولیة الأفراد أنفسهم.

ویجب ان لا یغیب عن بالنا أبداً أنّ هؤلاء الأفراد لدیهم القابلیة العقلیة والفکریة المشروطة فی التکلیف الشرعی الخاص بوجوب الحج، علی ایصال مجتمعاتهم إلی مستوی الکمال الروحی والاجتماعی الذی صمّمه لهم الإسلام.

(۵) سفرٌ إلی اللّه

یقول الإمام قدس سره: «اعلموا أنّ سفر الحج لیس سفر تکسّب، لیس سفر حصول علی متاع الدنیا، انه سفر إلی اللّه. أنتم تتجهون إلی بیت اللّه، فعلیکم أن تؤدوا کلّ الأمور فی إطار الهی...».

تعلیق: إنّ هذا السلوک الجمعی «أداء المناسک» هو سفرٌ خالص إلی اللّه.

والسفر إلی اللّه یقتضی طهارة استثنائیة. فأداء المناسک مبنیٌّ علی طهارة الحجیج من النجاسات المادیة کالحدث والخبث، والنجاسات الروحیة کالجدال والفسوق، ومبنیٌّ علی إلزامهم بارتداء زیٍّ مُوَحَّدٍ یُعَدُّ من أبسط الأزیاء الانسانیة، وعلی حثهم علی مراقبة سلوکهم فی عدم إیذاء الکائنات الحیة کالحیوانات والأشجار، بل کلّ ما یخصّ البیئة الانسانیة وما حولها. ولاشک أنّ هذا التهذیب الفردی ضمن السلوک الجماعی یترک آثاره النفسیة والتربویة العمیقة داخل شخصیات الأفراد.

ص: ۱۹۳

إنّ الطهارة الروحية والمادية تعتبران من أهم مميزات السلوک الجمعی الإسلامی. ففی الطواف بالبيت تتوجب- إجماعاً- الطهارة من الحدث الأكبر وهو ما يوجب الغسل، والأصغر وهو ما يوجب الوضوء، باعتبار أنّ الطواف بالبيت صلاة، كما جاء فی المشهور من حديث رسول الله صلی الله عليه و آله. وكذلک تتوجب طهارة المرأة من الحيض. وبذلک يكون السلوک الجمعی الإسلامی من أطهر التجمعات الانسانية على وجه الأرض؛ حيث يتجمع للطواف والسعی وبقية المناسک، الملايين من الأفراد وهم على أتم أشكال الطهارة البدنية والروحية.

(۶) رداء الحج والانسجام الاجتماعی

يقول الإمام قدس سره بشأن رداء الحج وتأثيره على الانسجام الاجتماعی بين المسلمين: «المسألة الأساسية فی هذه الاجتماعات- يعنی مناسک الحج- هی أن يجتمع المسلمون معاً فی هذه المواقف فی جوٍّ خالٍ من التشريفات وبعيد عن كلّ الجوانب الذاتية وبكفن واحد أو بثوبين بسيطين».

تعليق: إنّ الموضة فی الأنظمة المادية تستهلک جزءاً كبيراً من موارد النظام الاجتماعی المالية؛ لأنها تصميم مؤقت يستبدل دائماً بتصميم آخر، خصوصاً الملابس وما يتعلق منها بالمظهر الخارجی للفرد. ويعتبر الفرد- الذی يعيش فی المجتمع المادی ولايساهم فی الموضات الحديثة المتناوبة الصدور- كائناً انعزالياً خارجاً عن إطار الانسجام الاجتماعی. ولكن الحج يُشعِر الفرد بأنّ الزی ما هو الا وسيلة من وسائل تغطية مساوئ الانسان فحسب، وليس مظهراً من مظاهر الطبقية والثراء والتميز والتفاضل الانسانی. فارتداء ثياب الاحرام البسيطة توفر للنظام الاجتماعی الانسانی موارد غير قليلة، عندما يتحتم على الحجيج ارتداؤها، وهی ثوبا الإحرام للرجل يأتزر بأحدهما، ويرتدی الآخر. ولاشک ان وجوب ارتداء قطعتين من قماش غير مخيط، لابد من أن يجعل الفرد يشعر بقيمته الحقيقية وتواضعه فی الحياة الاجتماعية.

ص: ۱۹۴

ويمكن اعتبار أعمال الحج من أكمل أشكال السلوك الجمعى، لما تتميز به من دقة وتنظيم، مع أنه خالٍ من التشريفات. فالمناسك التعبدية الجماعية التى يقوم بها الأفراد فى الحج تختلف تماماً عن نشاط الحركات الاجتماعية مثلًا، وأعمال الكنائس النصرانية والمعابد اليهودية، وتختلف تماماً عن كل سلوك الجمعى آخر. ومن المناسب على سبيل الافتراض ان نطلق على السلوك التعبدى والاجتماعى الذى يقوم به الأفراد فى الحج بالسلوك الجمعى الإسلامى، حتى يتميز عن بقية أشكال التصرفات التى تفسرها الافكار الدينية والاجتماعية الأخرى.

ولعل منشأ اختلاف أعمال الحج عن أعمال الأفراد المنضوين تحت راية الحركات الاجتماعية هو أنّ الأعمال العبادية للمكلفين فى الحج مع أنها خاضعة للاحكام الشرعية بدقة، إلا أنّ التأثر والتأثير الذى يحصل بين الأفراد فى الطواف، والسعى، والوقوف فى عرفات، والافاضة إلى المزدلفة، والمبيت فى منى، يُخرِج أعمال الحج عن اعمال الحركات الاجتماعية المحضة التى تهدف بالأساس إلى ايصال صوتها إلى الجهات السياسية فقط. بينما يؤدى الحج ومناسكه العظيمة إلى إكمال العمل العبادى وإلى انسجام فكرى وروحى بين الحجيج.

(۷) تبادل المعلومات

يقول الإمام قدس سره بشأن بعض وظائف الحج: «المهم- فى هذه التجمعات- أن تبادلوا المعلومات بشأن ما مرّ فى بلاد المسلمين...».

تعليق: لما كانت المجتمعات الانسانية تختلف فى درجات الرقى والتقدم الحضارى والثقافى، فان اجتماع الناس من مستويات متباينة فى الابداع يساهم فى تبادل المعلومات وفى التأثر البنّاء على الصعيد الانسانى العالمى. ولاشك أنّ تعدد المواقف فى الحج والفترة التى يقضيها الحجيج قبل مناسك الحج وبعدها، تمنح هؤلاء الأفراد فرصة عظيمة للتفاعل والتأثير الاجتماعى فيما بينهم. وتبادل المعلومات، على اطلاقه، يعنى انتشار المعرفة والعلم بأوضاع المجتمعات بين

ص: ۱۹۵

المسلمين.

بيْدَ أنّ مقتضيات تبادل المعلومات خلال أداء المناسك وبعدها تؤدى إلى تغيير هائل يتم على صعيدين:

الصعيد الأول: التغيير الروحى والتطهير النفسى من آثام الانحراف، فقد ورد فى النص المجيد: واذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت أن لاتشرك بى شيئا وطهّر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود. فطهارة البيت الحرام من عبادة الأوثان يجعل تلك البقعة من أطهر المناطق الجغرافية على وجه الأرض. فهذه الأرض الطاهرة تحمل وقت الحج، بل فى كلّ وقت، أطهر الأفراد وأنقاهم؛ لأنهم يعيشون حالة من حالات الكمال النفسى مع خالقهم العظيم؛ فمنهم «الطائفون» حول البيت، و «القائمون» و «الركع السجود».

الصعيد الثانى: هو التغيير الاجتماعى الذى عكسته الآية الشريفة بصدق ليشهدوا منافع لهم. خصوصاً إذا ما لاحظنا أنّ التحديد الزمنى للحج الوارد فى قوله تعالى: ويذكروا اسم اللّه فى أيام معلومات، والتحديد الجغرافى: إن أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً، ودعوة الأفراد للاشتراك: واذّن فى الناس بالحج يأتوك رجالًا، كلّ ذلك يجعل الحج وأعماله من أعظم وسائل التغيير المنشود.

(۸) مدار الأمر: المسلمون

ويقول قدس سره: «... وأن يفكروا فى حلّ مشاكل المسلمين».

تعليق: إنّ الدليل على أنّ التأثير الاجتماعى والتأثر يجب أن يتم بين المسلمين أنفسهم خلال مناسك الحج، هو عدم السماح للمشركين بالدخول إلى حرم مكة والتأثير على شعائر الحج العبادية، وما يصحبها من تغيير اجتماعى مرتقب. ولعلّ ما ورد فى القرآن الكريم يصرّح بذلك: يا أيّها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا. والمراد بالنجس هو النجاسة

ص: ۱۹۶

الشرعية، و لايقربوا المسجد الحرام هو منعهم من دخوله ودخول كلّ مسجد.

(۹) تبادل وجهات النظر

يقول الإمام قدس سره شارحاً طبيعة الحج الإبراهيمى: «تبادلوا وجهات النظر وتفاهموا لحلّ مسائل المسلمين المستعصية. اعلموا أنّ هذا الاجتماع الكبير الذى يعقد سنوياً بامر اللّه تعالى فى هذه الأرض المقدسة يفرض عليكم انتم المسلمين ان تبذلوا الجهود على طريق الاهداف الإسلامية المقدسة ومقاصد الشريعة المطهرة السامية، وعلى طريق تقدم المسلمين وتعاليمهم واتحاد المجتمع الإسلامى وتلاحمه».

تعليق: إنّ تعلم الخبرات الاجتماعية من أفراد يختلفون تماماً فى المنشأ واللون واللغة والمكان، يساهم مساهمة عظيمة فى بناء الدولة العالمية الموحّدة، وهو دليل على عالمية الإسلام، وعالمية الرسالة السماوية على النطاقين النظرى والتطبيقى.

ولاشك أنّ السلوك الجمعى فى احكام الحج يصهر تلك الخبرات الاجتماعية، فيتعلم المسلمون الوافدون من قارات العالم المختلفة بعضهم من بعض التقاليد والعادات الاجتماعية والعلوم النظرية والثقافات والقضايا الفكرية، وهذا يؤدى حتماً إلى تقارب فى وجهات النظر الفردية والجماعية بخصوص المشاكل التى تعانى منها تلك المجتمعات. ولما كان الفرد مُكلَّفاً على الصعيد الوجوبى بالحج مرة واحدة عند تحقق الشروط، فان اختلاف نوعية الأفراد المكلفين بالحج كلّ سنة يساهم فى نقل الخبرات الاجتماعية فيما بينهم، ويقلل من فرص احتكار تلك الفريضة على طبقة معينة من الأفراد. وبالتالى، فانه يساهم فى ازدهار نمو تلك المجتمعات البشرية المتباينة فى العادات والتقاليد والثقافات.

(۱۰) اشتراك الافكار

يقول الإمام قدس سره شارحاً طبيعة التجمع: «لتشترك أفكاركم وعزائمكم على طريق الاستقلال واقتلاع جذور سرطان الاستعمار».

تعليق: إنّ المناسك التعبدية الجماعية تولّد إحساساً عظيماً بالشعور الموحّد

ص: ۱۹۷

تجاه المشاكل المشتركة، بل حتى فيما يتعلق بطبيعة الانسان ووحدة الخالق عزّ وجلّ. ولاشك أنّ التأثير الاجتماعى فى الحج ينبع من وعى أبعاد تلك الفريضة من قبل المكلفين، وقد جاء فى «كتاب أمير المؤمنين على عليه السلام إلى (قثم بن عباس) عامله على مكة فقال: أقم للناس فى الحج واجلس لهم العصرين فأفتِ المستفتى وعلّم الجاهل وذاكر العالم...». وهذا العمل- لاشك- يعتبر من أعظم وسائل التأثير الاجتماعى على الناس.

ورسالة الدين على درجة عظيمة من الأهمية على صعيد التأثير، لأنّ تلك الرسالة تهذّب نظرة الأفراد وتوحّدها تجاه الحياة الاجتماعية والسياسية والخلق والخالق والوجود. فالفرد يقارن رأيه مع فرد آخر يشابهه فى الدين والاعتقاد، ولايكترث كثيراً لفرد آخر يبتعد عنه فى الدين والمنشإ الاعتقادى والموقع الجغرافى. وإذا كان البعد شاسعاً بين آراء ذلك الفرد ومعتقداته وبين آراء الآخرين ومعتقداتهم، فان التأثير الاجتماعى سيكون فى أدنى مستوياته. فالفرد الذى يعتنق ديانة معينة ويعيش فى قرية أفريقية مثلًا لايمكن أن يكون له تأثير اجتماعى على أفراد يعتنقون ديانة أخرى ويعيشون فى مدينة آسيوية نائية. وعلى ضوء ذلك، نفهم أن التأثير الاجتماعى يحصل غالباً بين الأفراد الذين يعتنقون ديناً واحداً ويؤمنون بنظام عقائدى واحد، فيما إذا اجتمعوا فى مكان واحد؛ لأنّ اجتماع هؤلاء الأفراد فى مكان واحد سيولد ضغطاً نحو الانسجام الاجتماعى. وهذا الضغط هو الذى يبدل قلوب الناس بعضهم تجاه بعض آخر، ويجعلهم أكثر اقتناعاً بضرورة تقاربهم الفكرى والسلوكى. وهذا عين ما يحصل أثناء مناسك الحج العظيمة وقبلها وبعدها.

(۱۱) المسائل الاساسية

يشير الإمام قدس سره فى تشخيصه لطبيعة المسائل التى ينبغى تناولها فى الحج، فيقول: «... وفى هذا الاجتماع المقدس للحج عليهم أن يتبادلوا وجهات النظر فى

ص: ۱۹۸

المسائل الإسلامية الأساسية أولًا، وفی المسائل الخاصة للبلدان الإسلامية ثانياً...».

تعليق: يمرّ التأثير الدينی علی الناس بمراحل ثلاث. ولنفترض أنّ طالباً يذهب إلی محاضرة ما؛ فذلک الطالب يمر بمراحل فکرية ثلاث تشخّص تقبّله للفکرة التی يطرحها المحاضر.

فالمرحلة الاولی: انفتاح ذهنية ذلک الطالب وتهيؤه لتقبل مفردات التأثر والتأثير. بمعنی أنّ الفرد الذی يبذل جهده للذهاب إلی إحدی مجالس الدرس للاستماع إلی محاضرة فی علم السياسة مثلًا، لابد له من تهيئة ذهنه بشکل مسبّق لتقبل أو رفض النظريات السياسية التی يقدّمها المحاضر.

المرحلة الثانية: تشخيص المستمع للنقص الفکری الذی يعانی منه، أو حاجته لتقبل الأفکار والمعتقدات التی يطرحها الطرف المقابل؛ ومصداقها أنّ المستمع إذا لاحظ ان المحاضر- فی مثالنا السابق- قد قدّم نظرية جديدة مقنعة، فاقتنع هذا المستمع بصحتها وانسجام مفرداتها مع الواقع، عندئذ يمسی هذا الطالب أقرب إيماناً بتلک النظرية.

المرحلة الثالثة: هضم الفرد للفکر المطروح من أجل التأثير، وتقبّله لذلک التأثير باعتباره فکراً يتناسب مع نظامه الأخلاقی الذی آمن به، وهذه المرحلة تعکس إيمان الفرد- فی المثال المذکور سابقاً- بأن تبنی تلک النظرية المطروحة من قبل المحاضر سيکون أمراً شخصياً حتمياً.

ومن المسلّم به بين أواسط علماء اهل الفن، أنّ التجانس الاجتماعی يعتبر من أهم عناصر التأثير السياسی والفکری علی الأفراد؛ لأنّ التأثير الحقيقی لايعمل عمله الفعّال إلّامع أفراد متقاربين فی الفکر والاعتقاد؛ بمعنی أنّ التأثير الاجتماعی يتم بين أفراد متقاربين فکرياً أکثر مما لو کان بين أفراد يختلفون تماماً فی الفکر والمعتقد؛ ولذلک، فان الحج واقعاً هو أعظم ساحة للتأثيرات والتغيرات الاجتماعية التی تهدف الرسالة الإسلامية إحداثها علی الصعيد العالمی. ولولا طاعة

ص: ۱۹۹

الأفراد للرسالة الدينية وأحكامها الشرعية لما حصل التأثير الاجتماعى المنشود.

فإطاعة الأفراد للنظام الدينى طوعية اختيارية إذا كانت السلطة سلطة شرعية، بمعنى أنّ الأفراد يحاولون- بصدق- اطاعة النظام الدينى أو الاجتماعى إذا لم تُسلَّطْ عليهم سلطة لايؤمنون بشرعيتها. واعتقاد الناس بأنّ الدين سلطة شرعية يسهّل عملية الانقياد له ولأحكامه، بل يسهّل فى الواقع عملية تغيير توجهاتهم، وبنائهم بالطريقة التى صممتها الشريعة لهم. ولولا طاعة الأفراد للنظام الاجتماعى لما استطاع المجتمع وقيادته السياسية من الصمود بوجه الفوضى الناتجة من عصيانهم للقوانين التى تنظّم حياة المجتمع. وبذلك نستنتج أنّ للطاعة دوراً رئيسياً فى اكمال عملية التأثير على الأفراد، خصوصاً فيما يتعلق بالحج.

فالحج ينشئ استعداداً عظيماً عند الأفراد لإطاعة الأحكام الشرعية دون نقاش أو جدال.

وفى جوٍّ عبادى كهذا، لابدّ من طرح المسائل الأساسية وتجاوز المسائل الهامشية، ذلك أنّ المسائل الأساسية لها ساحة أوسع فى الحج من زاوية التقبل والاستيعاب.

(۱۲) اجتماع أهل الفكر والرأى

يقول قدس سره: «... وأن يجتمع هناك أصحاب الفكر والكتاب والمثقفون والعلماء لدراسة مشاكل المسلمين ولحلّ ما أمكن حلّه...».

تعليق: إنّ إطلاق الشريعة وعدم تقييدها لتصرفات الناسك خارج إطار الأعمال الواجبة فى الحج، يفتح الطريق لاستثمار ألوان الملاقاة والتلاقح الفكرى بين الحجيج بلحاظ الأعراف الاجتماعية والارتكازات العقلية المتفق عليها. فإذا كان العرف الاجتماعى يتقبل الكتاب المكتوب كوسيلة من وسائل التأثير، تعيّن على المؤمنين بدافع وعيهم لمتطلبات التغيير الاجتماعى بذل جهودهم فى إيصال أحكام الشريعة الغراء وأفكارها عن هذا الطريق إلى كلّ المجتمعين فى تلك البقعة الطاهرة

ص: ۲۰۰

من العالم. وإذا كان العرف الاجتماعى لايتقبل إلا التأثير الشفهى تعيّن على المؤمنين أخلاقياً، القيام بذلك العمل. وهذه الحرية فى استخدام وسائل التأثير على الأفراد، تعتبر أنضج ثمراً وأعمق انتاجاً على صعيد التغيير الاجتماعى المطلوب.

إنّ السلوك الجمعى الإسلامى فى الحج يؤدى إلى تغيير ملموس. فالحج باعتباره سلوكاً جمعياً منتظماً وثابتاً فى الزمان والمكان والشروط، يمتلك تأثيراً هائلًا فى النفوس. ويمكن ملاحظة طبيعة السلوك الجمعى لأهل الرأى عبر النقاط التالية:

أ- إنّ السلوك الجمعى الإسلامى يؤدى كلّ سنة فى موعد منتظم ومحدّد.

وهذا يعنى أنّ تأثير السلوك الجمعى الإسلامى يبقى مستمراً على مرّ السنين.

ب- إنّ الحج والسلوك الجمعى المنبثق عنه قضية عالمية بكل أبعاد الكلمة؛ لأنّ الحجيج يأتون إلى مكة من مختلف أنحاء العالم، ولايفصلهم فى أداء مناسكهم فاصل عرقى أو جغرافى أو لغوى، وقد جاء فى النص المجيد:... يأتوك رجالًا وعلى كلّ ضامر يأتين من كلّ فجٍّ عميق. ولذلك فإنّ التأثير الذى يكتسبونه من خلال التلاقح الفكرى فيما بينهم هو أهم مصادر التغيير الاجتماعى.

ج- إنّ شروط ذلك السلوك الجمعى تحقق كمالًا أكبر نحو التغيير الاجتماعى، وهى شروط البلوغ وسلامة الجهاز العقلى والاستطاعة الشرعية للفرد. بمعنى أنّ الحجيج هم من الأفراد الذين لديهم القدرة العقلية على تحمل أعباء الحج ومسؤولياته الاجتماعية؛ بينما يحتمل أن يقوم بالسلوك الجمعى فى مناسبة غير الحج أفراد ليست لديهم قابليات عقلية على التغيير، أو صبيان ليست لديهم الخبرة الكافية، مع أنّ سلوكهم يسمى سلوكاً جمعياً.

(۱۳) اجتماع الكعبة والمنهج الإلهى

يقول الإمام قدس سره فى وصف ذلك المؤتمر ومنهجه الالهى: «اجتماع الكعبة أكبر اجتماع، لاتستطيع أية حكومة أن تعقده بنفسها، واللّه سبحانه وضع المنهج لاجتماع

ص: ۲۰۱

المسلمين دون أن يكلّف ذلك الحكومات أية مشقة أو نفقات».

تعليق: إنّ الحركات الاجتماعية التى يؤسسها الأفراد لمعالجة مشكلة من المشاكل الاجتماعية، غالباً ما تنحلّ وتموت بانحلال تلك المشكلة. فحركات التحرر الوطنية من الاستعمار تنحلّ مع رحيل الاستعمار، وحركات تحرر المرأة تنحلّ مع اكتساب المرأة حقوقها الاجتماعية، وحركات المساواة بين الأجناس البشرية المتباينة تموت بعد تحقق التغيير الاجتماعى فى المساواة بين الأفراد. إلا أنّ الحج وشعاره العظيم بالبراءة من المشركين، يبقى فوق كلّ الحركات الاجتماعية وطروحاتها. فهو، وإن كان سلوكاً جماعياً منظّماً، إلا أنّ أطروحته الفكرية الشاملة، وتصميمه الإلهى يجعله مستمراً مع بقاء الحياة الاجتماعية على وجه الأرض. وما القرون الأربعة عشر التى مرّت على تنزيل التشريع، والأحداث التى مرّت خلالها على الانسانية، إلا ـ دليل موضوعى ناصع على أنّ الحج ما هو إلا جزء من التصميم الآلهى للخلق والمخلوقات ومصالحهم الاجتماعية.

(۱۴) البراءة من المشركين

يقول قدس سره فى إعلان البراءة من المشركين: «... علينا أن نعلن كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة من ذلك المكان المقدس... لنكسر الأصنام ولنرمِ الشياطين وعلى رأسهم الشيطان الأكبر فى العقبات ونطردهم، ليكون حجّنا حج خليل اللّه...».

تعليق: لما كان الحج يعكس أكمل مثال من أمثلة السلوك، فإنّه لابدّ وأن يرفع أرقى الشعارات الاجتماعية التى تؤدى فى النهاية إلى التغيير الاجتماعى المطلوب. وهذا الشعار الذى أمر الإسلام المكلفين برفعه فى الحج هو شعار (البراءة من المشركين)، كما ورد فى قوله تعالى: براءة من اللّه ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، وقوله تعالى: وأذان من اللّه ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن اللّه برىء من المشركين ورسولُه فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى اللّه وبشّر الذين كفروا بعذاب اليم. فأعظم

ص: ۲۰۲

الانحرافات التى يدينها الإسلام ويعدّها مصدر كلّ أنواع الشقاء الإنسانى هو الشرك باللَّه عزّ وجلّ. ولاشك أنّ بقاء الشرك فى المجتمع الانسانى يعدّ عائقاً من عوائق اقامة العدالة الاجتماعية. فاعلان البراءة من المشركين هو من أعظم المساهمات فى التطلع نحو هدف تغيير المجتمع الانسانى إلى مجتمع موحّد قائم على أساس تطبيق أحكام الرسالة الإلهية، وما ينبثق عنها من عدالة اجتماعية على جميع المستويات.

(۱۵) المبلِّغ فى الحجّ

يقول قدس سره فى خطابه الموجّه إلى المبلغين فى الحج: «أوصلوا هذا المؤتمر الإسلامى الكبير إن شاء اللَّه إلى النتيجة المطلوبة التى يريدها الإسلام».

تعليق: ما هى المواصفات التى يجب أن يتحلى بها المبلِّغ حتى يستطيع أن يقوم بتأثير اجتماعى فعّال على بقية الأفراد من الحجيج؟ قد يتلخص الجواب بثلاثة عوامل يجب أن تتوفر فى ذلك المبلّغ الذى يحاول أن يؤثر على الحجيج على الصعيدين الفردى والجماعى:

أولًا: الثقة بالنفس. وهى من أهم عوامل التأثير الاجتماعى؛ لأنّ الثقة بالنفس تعكس إيمان المبلّغ بالعقيدة التى يحملها ويدعو اليها. وإقناع الآخرين بصحة النظرية التى يطرحها الفرد المؤثِّر لابدّ من أن يكون مستنداً على ثقته المطلقة بصحة فكرته؛ لأنّ الشك فى أصل الفكرة لايساهم فى إنجاح عملية التأثير الاجتماعى، بل يساهم فى تحطيمها وافشالها.

ثانياً: العلم والمعرفة، وهى حالة الفهم التى يختبرها الفرد من خلال الدراسة والخبرة والاستكشاف. فالعالِم هو الذى يستلم مباشرة المعلومات التى يستطيع إدراكها بوضوح، فيحللها ويبنى عليها فهماً جديداً على درجة عالية من اليقين دون أدنى شك.

ثالثاً: أنّ من وسائل التأثير الاجتماعى المهمّة هو مقابلة المؤثِّر أو المبلّغ

ص: ۲۰۳

للأفراد الذين يريد تغييرهم وجهاً لوجه. بمعنى أنّ إقناع جماهير الحجيج بضرورة تطبيق أحكام الإسلام ورسالة الدين ومكافحة الظلم والفساد مثلًا، يكون أكثر فاعلية إذا تمّ الاتصال بين المبلّغ وبقية الأفراد اتصالًا شفهياً مباشراً.

إنّ التأثير الاجتماعى فى الحج ينبع من تطابق آراء الحجيج ونظراتهم تجاه العدالة والحق والخالق والكون والحياة. والحقائق الكونية والاجتماعية المرسومة فى ذهنية هؤلاء الحجيج ما هى إلا نتاج المعالم الأخلاقية للرسالة الإسلامية. ولما كان التجانس الاجتماعى من أهم وسائل التأثير، أصبح واضحاً أنّ من أهم أهداف الحج هو تغيير المجتمعات الإسلامية المتباينة فى العادات والتقاليد والثقافات ورفعها إلى مستوى شرعى مقبول، بحيث تكون مهيّأة فكرياً ونفسياً لإقامة الدولة الإسلامية العالمية الموحّدة.

الهوامش:

ص: ۲۰۴

ص: ۲۰۵

الإمام الخمینی والحج

الإمام الخمینی رحمه الله والحج

الإمام الخمینی رحمه الله والحج

کفاح الحداد

وإذ بوأنا لإبراهیم مکان البیت أن لا تشرک بی شیئاً وطهّر بیتی للطائفین والقائمین والرکّع السجود* وأذّن فی الناس بالحجّ یأتوک رجالًا وعلی کلّ ضامرٍ یأتین من کلّ فجٍّ عمیق* لیشهدوا منافع لهم ویذکروا اسم اللّه فی أیّامٍ معلومات علی ما رزقهم من بهیمة الأنعام فکلوا منها وأطعموا البائس الفقیر* ثم لیقضوا تفثهم ولیوفوا نذورهم ولیطوفوا بالبیت العتیق.

وممّا ورد فی خطبة الزهراء علیها السلام:

فجعل اللّه الایمان تطهیراً لکم من الشرک والحجَّ تشییداً للدین.

عن الإمام الصادق علیه السلام: لو عطّل الناس الحجّ لوجب علی الإمام أن یجبرهم علی الحجّ إن شاءوا وإن أبوا.

فان هذا البیت انّما وضع للحجّ.

وفی البحار عن الخصال الأربعمائة قال أمیر المؤمنین علیه السلام: الحجّ جهاد کلّ ضعیف.

المقدّمة

الحجّ هو الهجرة إلی المحبوب، وهو

ص: ۲۰۶

رحلة الفرد إلى اللَّه تعالى.. رحلة مادية عبر السفر إلى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمناً... ورحلة معنوية عبر هجر الأهل والأحباب والشوق إلى لقاء اللَّه وتجديد البيعة عند بيته العتيق.. وشاءت الإرادة الإلهية أن تكون هذه الدعوة السماوية المسبوقة بالأذان هى رحلة المسلمين من كلّ الأمصار والأقطار والألوان والوجوه..

رحلة جماعية تتوافد فيها الجماعات الإنسانية المختلفة اللغات والقوميات ليكون الحج ملتقى لهم.. ولم يدعُ تعالى الذين آمنوا فقط لأداء هذه الفريضة الإلهية بل إنه دعا الناس جميعاً إلى بيته وللَّه على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلًا.

ليكون هذا التجمّع البشرى الإسلامى المصغّر عن الامّة الإسلامية العظيمة كنتم خير أمّة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون باللَّه؛ مؤتمراً لتجديد البيعة وإحياء ذكريات انطلاقة الإسلام الأولى فى وادٍ غير ذى زرع.

وعلى هذا فالحج هو أروع وسيلة تربوية تتناسب فيها الأقوال والأفعال والذكريات والمتاعب مع أيّام اللَّه وبيتاللَّه ليعود الحاج إلى وطنه مغفوراً له مشحوناً بشحناتالدين والجهاد ومملوءاً بالعزيمة والقوّة؛ ليكون ثورة على الاستكبار والطواغيت.

الحج مدرسة روحية ومحطّة تربوية لتربية الفرد على الطاعة والتسليم وتقوية الشعور بالعزّة والقوّة عن طريق شدّ العلائق مع مصدر القوّة الأصلى وهو اللَّه تعالى.. وللحج منافع وفوائد- كأى فريضة عبادية اخرى- نذكر منها الشىء اليسير:

أوّلًا:- الحج يمهِّد للقاء المسلمين من مختلف أرجاء المعمورة، وهذا اللقاء يتيح لهم التواصل وتقوية العلاقات بعضهم مع بعض، ودراسة أوضاعهم السياسية والاجتماعية والعالمية والتباحث فى إيجاد الحلول لمشكلاتهم المختلفة، فالموج البشرى الذى ينطلق من الميقات المحدّد لمسيرته نحو الكعبة مع فوران القلوب واهتزاز الروح؛ ليلتقى حول البيت الحرام كالأنهار التى جاءت من مصادر عديدة؛ لتلتقى عند

ص: ۲۰۷

البحر الكبير مع رحمة اللَّه تعالى المطلّة على هؤلاء الذين جاءوا متعلّقين بأستار بيته طلباً للرحمة والغفران.

وقبل الميقات كان الكثير منهم يعيش حالة التفاخر والرفعة والكبرياء، ويجادل بعضهم بعضاً ويخشى الضعيف منهم بطش القوى، ومع انطلاقة الميقات تغيب كل هذه الصور، فهى المساواة المطلقة وهى الأمان المطلق عند البيت الآمن، وهى تجاوز كلّ صنوف التوتر الأخلاقى التى قد تزيد العداوة والبغضاء بين المسلمين.. ولعلّ هذا هو ما أشارت إليه الآية الكريمة فى قوله تعالى: وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً.

والمثابة هى المحل الذى يثوب إليه الناس ويرجع إليه المسلمون.. وإذا أردنا أن ندرج بعض فوائد هذا المؤتمر الإسلامى العظيم فنقول:

۱- ان الحج يؤدّى إلى اجتماع المسلمين والتعارف فيما بينهم، وهذا التعارف هو من أهداف رسالة الإسلام ودعوة الأنبياء يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند اللَّه أتقاكم.

۲- المساواة المطلقة بين الجميع:

الغنى والفقير والأسود والأبيض والقرشى والهندى.. من خلال طوافهم حفافً حول الكعبة، ومن لباسهم البسيط البعيد عن كلّ أشكال الزينة.

۳- إنّ الحرم هو عينة صغيرة لنموذج الحياة المنشودة فى الإسلام، الحياة الآمنة المطمئنة التى يأمن فيها الإنسان على دمه وماله وعرضه، وهذا الشعور الأمنى هو بغية الإنسان فى كلّ مكان خاصة فى وقتنا الحاضر إذ يعصف التيّار اللاأمنى بالناس جميعاً، فترى التوتر والقلق والخوف يسيطر على البشرية كلّها.. والفرد يعيش هواجس الخوف من أخيه وصاحبته وبنيه ودوماً تتطاير فى السماء نذر الحروب والقتل والدمار خصوصاً للمسلمين.. ولكنه فى مكة لو رأى قاتل أبيه لما تعرّض له بل إنه لا يسحق النملة ولا يصطاد الطيور؛ لأنه ليس الإنسان لوحده يعيش الأمن والأمان، بل حتى الطيور والحيوانات، وتكاد

ص: ۲۰۸

تکون صفة الأمان هی مرتجی البشریة الحاضرة.

۴- الحج الذی هو مؤتمر إسلامی کبیر یربی عند الإنسان المسلم الشعور الدینی والانتمائی بأنه جزء من أُمّة کبیرة، وهو واحد من الجموع المليونية الموحّدة للّهوالمتناثرة فی الأصقاع، وهؤلاء الطائفون حول الکعبة هم صورة مصغّرة لتلک الامّة العظیمة..

والحاج یؤدّی مناسکه من طواف وسعی ووقوف عند المشعر وعرفات والذبح یؤدّیها جماعة مع الآخرین، بل إنّ القرآن الکریم لیدعو الحاج إلی أن لا یفیض بمفرده إنّما من حیث یفیض الناس ثم أفیضوا من حیث أفاض الناس واستغفروا اللّه ان اللّه غفور رحیم.

فالحج حرکة إلی اللّه، ولکن من خلال الانصهار فی الناس والتعامل معهم علی مبنی أخلاقی بعید عن الجدال والفسوق فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فی الحج ولا یستطیع أی مؤتمر عالمی أن یحقّق شیئاً ممّا یحقّقه مؤتمر الحج للمسلمین.

ثانیاً:- الحج رحلة للإبحار فی عالم الزمان والمکان.. إلی الماضی العزیز الراسخ فی النفوس.. وهو انطلاقة إلی تلک الربوع السامیة التی مازالت تحکی للعالم علی مدی آلاف السنین قصة الإسلام العظیم والفداء الکبیر، فهذا الذی یطوف حوله الحجیج هو بیت اللّه أوّل بیت وضع للناس إنّ أوّل بیت وضع للناس للذی ببکة مبارکاً وهدًی للعالمین فیه آیات بیّنات مقام إبراهیم ومن دخله کان آمناً.

ومع تأمّل البیت تتجدّد ذکریات إبراهیم علیه السلام الذی بنیالکعبة بأمر منه تعالی، وحینما أکمل البناء تراه یتوسّل هو وابنه باللّه تعالی أن یتقبّل عملهما وإذ یرفع إبراهیم القواعد من البیت وإسماعیل ربّنا تقبّل منّا إنّک أنت السمیع العلیم.

لیکون درساً عظیماً فی التواضع أمام اللّه والرجاء دائماً بقبول الأعمال، فهذا إبراهیم الخلیل علیه السلام یرجو قبول أعماله، فکیف بالإنسان العادی الذی یجب أن یکون طموحه هو قبول حجّه

ص: ۲۰۹

ومناسکه؟

وهنـاک ذکریات الإسـلام الاولی التی انطلقت من جوار الکعبـة، فهناک غار حراء الـذی کان یلجأ إلیه رسول‌اللّه صـلی الله علیه و آله لیتلقی الوحی ویناجی ربّه، وهناک شـعب أبی طالب الـذی حوصـر فیه المسـلمون ثلاثـة أعوام کاملـة حتی أکلوا تراب الأرض، وبین الصـفا والمروة تتجـدّد صورة سـعی هاجر لینبثق الماء من زمزم، ویکون باقیاً مدی الدهور لإرواء الحجیج، إنّ هذه کلّها تجعل المسـلم یطیر فی افق جدید، افق العقیدة التی لاقت الصـعوبات الجسـیمة حتی أصـبح هو مسـلماً، ولا زالت کلمات الرسول صلی الله علیه و آله وأقواله واضـحة جلیـة علی کلّ التلال.. وهذه کلّها تشدّ المسـلم إلی تأریخه العظیم وإلی رسالته، فالتاریخ مدرسة الإنسان.. وقد نحتاج إلی هذا الربط فی وقتنا الحاضر بعد أن حاول أعداء الإسلام تشویه تاریخنا العظیم لإزالة الفکرة الدینیة عند المسلمین.

ثالثاً:- تحریر الذات الإنسانیة من عبودیة الهوی واتباع الشهوات.

هذا الأمر الذی یبدأ من هجر الاخلّاء والأصـحاب والأولاد والسـفر إلی لقاء اللّه. وفی مظاهر الحج تلغی أشکال الزینة والترف والتفاخر والتعالی، وتنطلق دعوة جدیدة للإنفاق علی الفقراء من خلال تقدیم الهدی..

وإذا درسـنا شـعائر الحـج لوجـدناها رحلـة لاجتیـاز الأنـا.. فالحـج ینزع الأـهواء عبر المیقـات الأوّل ولبس ثیاب الإحرام ونزع کل زینة والتجرّد عن کـلّ تعلّق دنیـوی. الحـج یعلّم الإنسـان أن یکـون طوافه حول اللّه، وأن تکون نیّته خالصـة لوجهه تعـالی، ویسـعی لتکون مسـیرته نحو اللّه تعالی.. والسـعی بین الصـفا والمروة یُعلّم الفرد کیف ینطلق نحو تحقیق الخیر بسـرعة ونبـذ الخمول والتقاعس، وبهذا ینطلق ضمن الدائرة الحرکیة الرافضة لکلّ أسباب القعود والتباطؤ فضّل اللّه المجاهدین علی القاعدین ولیقتدی بالعائلة الإبراهیمیة التی عانت الکثیر لتکون حیاتها سلوکاً یُقتدی به علی مرّ الأجیال.

إنّ الحجّ مسیرة تکاملیة ترفض الأنا وتجمد الشهوات؛ کی ینطلق الفرد

ص: ۲۱۰

فی رحاب التوحید الإلهی نابذاً کلّ مظاهر الشرک الخفی والبائن، وهو بهذا یربّی الفرد علی کثیر من المعنویات الروحیة، التی لا تستطیع آلاف المجلّدات والکلمات الوصول إلیها.

عقبات أمام الحج الإبراهیمی

لقد عمد الاستکبار العالمی من خلال غزوه الفکری للبلاد الإسلامیة، الذی کان أقسی وأشدّ علیها من الغزو العسکری.. عمد إلی تشویه صورة الشعائر الإسلامیة وإماتتها وتحویلها إلی شعائر جوفاء لا روح فیها، وبذلک تفقد هدفها الذی شُرِّعت من أجله ألا وهو تربیة الإنسان المسلم وتوحید الامّة الإسلامیة وجمع صفوفها..

ووضع أمام الحج الصحیح عقبات وتشویهات کثیرة منها:

۱- عدم فهم الحاج لشعائر الحج ومناسکه والمنطلقات التی تهدف إلیها، وهذا جاء عبر الترویج بأنّ الهدف هو إکمال المناسک بأسرع وقت کی یحلّ له ما حرّم علیه وقت الإحرام.. ولهذا یطوف الحاج ویسعی بین الصفا والمروة وهو لا یفهم لماذا هذا الطواف؟ وما أهمیة السعی والهرولة بین الجبلین؟

وبهذا فهو یؤدّی عملًا فارغاً لیس له أی مدلول تربوی أو روحی، وقد یهمّه أن یحمل لقب الحاج للتفاخر علی الآخرین وینسی إنّ أکرمکم عند اللّه أتقاکم.

۲- فصل الدین عن السیاسة.. فما للّه للّه وما لقیصر لقیصر.. وأصبح الدین بعیداً عن السیاسة بل إننا نری أنّ الکثیر من المسلمین- مع الأسف- یرون فی تدخّل علماء الدین فی شؤون السیاسة تدخّلًا فیما لا یعنیهم.

لقد کان لهذه الفکرة الاستعماریة آثار سیئة ووخیمة للغایة منها: دخول المبادئ الوضعیة والکافرة والملحدة إلی البلاد الإسلامیة واحتلالها قاعدة التشریع؛ لتکون قوانینها هی النافذة، ففی کثیر من البلاد الإسلامیة نجد التباین فی أحکام الزواج والطلاق والإرث مع الشریعة الإسلامیة مع أن «حلال محمّد صلی الله علیه و آله حلال إلی یوم القیامة وحرامه حرام إلی یوم القیامة».. وهذا أدّی إلی فقدان الإنسان المسلم لاعتزازه بدینه کدین وعقیدة قادرة

ص: ۲۱۱

على الإدارة والحكم، وأصبح المسلم يرى الإسلام (أساطير الأوّلين) وهذا الفصل بين‌الدين والسياسة جعله يلتمس المبادئ التشريعية الوضعية التى أسقطته فى دائرة الشرك، والابتعاد عن اللَّه وعن الإسلام كالمبادئ الشيوعية والعلمانية وغيرها.

۳- فى كثير من الدول الإسلامية نجد محدودية سن الحجيج وعددهم، ومع الأسف فكثير من الدول لا تسمح للشباب بالذهاب إلى مكة وأداء فريضة الحج، وتضع معدّلًا للأعمار قد يتجاوز الخمسين أو الستين سنة حينما يصبح الفرد عاجزاً مريضاً كبيراً غير قادر على التجاوب مع معطيات الحج وأهدافه، فى الوقت الذى اعتنى صلى الله عليه و آله بالشباب وأوصى بهم «أوصيكم بالشبان خيراً فإنهم أرقّ أفئدة».

والأمر الآخر هو تقليل الحصص فى بعض الدول إلى عدد قليل، خاصة إذا كانت الحكومة معادية للإسلام، فلا تسمح سوى للعجائز والشيوخ ورجال الاستخبارات بالذهاب إلى الحج، ومعنى هذا أنّ الأغلبية المسلمة محرومة من أداء هذه الفريضة، وإنّما هى تعمد إلى هذا الأمر كى لا يحتك المسلمون بغيرهم من بلدان الشعوب الاخرى، وكى يبقى التصوّر بأن الحج هو فريضة العجزة.

۴- لقد تحوّلت مكة إلى سوق عالمى تُعرض فيه البضائع من كلّ الأشكال والألوان والدول، ونجد الحاج يعيش آفاق التفكير فيما سيشترى قبل وأثناء الحج. وبعض منهم يقضى وقتاً طويلًا- خاصّة النساء- فى التجوّل فى الأسواق ناسين أنها أيام معدودات قد لا تعود مستقبلًا، وأنّ الأفضل أداء المناسك وإكمالها ثم الانتقال إلى الأسواق.. لقد وجدتُ اناساً نزلوا إلى السوق قبل أن يفكّوا إحرامهم باتمام مناسكهم، وهذا معناه عمق التفكير المادى الذى زرعته الحضارة الغربية فى نفوس أبنائنا، علماً بأنّ هذه البضائع لكلّ الدول ومنها الدول الموالية لإسرائيل، والتى تجد فى سوق مكة خير سوق للربح العظيم، لتشترى بتلك الأموال السلاح وتقدّمه عوناً لإسرائيل.. كى تقضى به على

ص: ۲۱۲

المسلمین.

إنّ الحج الغربی أو الحج الأمریکی والذی یجعل الحج مجرّد سفرة سیاحیة للترف والنزهة، والذی هو أصبح سجیة الکثیر من الحجّاج المسلمین بسبب التضلیل الإعلامی الدینی.. إنّ هذا الحج یصادر أهداف الحج السامیة، فلا هو مؤتمر دینی ولا هو تربیة روحیة، ولا هو انبعاث جدید للمسلمین وشحنهم بالقوّة ضد الطاغوت.. وبهذا أصبح خالیاً من المنافع السیاسیة والفکریة والروحیة التی أشارت إلیها الآیة الکریمة:

وأذّن فی الناس بالحج یأتوک رجالًا وعلی کلّ ضامرٍ یأتین من کلّ فجٍّ عمیق* لیشهدوا منافع لهم ویذکروا اسم اللّه فی أیامٍ معلومات... وأصبح قصراً علی المنافع الاقتصادیة التی تخدم الاستکبار العالمی!!

الإمام الخمینی رحمه الله والحجّ

«الحجّ یمثّل مرکز المعارف الإلهیة الذی ینبغی أن یؤخذ منه محتوی السیاسة الإسلامیة فی جمیع الأبعاد الحیاتیة» الإمام الخمینی قدس سره

لقد کان انتصار الثورة الإسلامیة فی إیران عاملًا فی إعادة طرح النظریة الإسلامیة إلی العالم أجمع بعد دهور عدیدة من التزییف والتضلیل والتحریف..

لقد أعاد انتصار الثورة الإسلامیة فی إیران إلی المسلم اعتزازه بالرسالة الإسلامیة، التی صوّرها الاستکبار العالمی علی أنها شیء قدیم لا ـ ینفع (أساطیر الأوّلین) وأنها غیر صالحة لهذا الزمان ولا تواکب التطوّر الحدیث.. وکثیر من المفاهیم الإسلامیة والفروض الإلهیة التی تقوقعت تحت شراک الغزو الثقافی قد حاولت الثورة الإسلامیة تصحیحها وتحریکها، وکان لخطابات الإمام ونداءاته وکلماته الأثر الفاعل فی ذلک، فنحن لا نکاد نجد مناسبة إسلامیة إلّاوعالج الإمام الخمینی ما فیها بالفکر الإسلامی القرآنی الصحیح.

لقد بزغ فجر النهضة الخمینیة بعد سنوات من التشویه الذی حاصرالدین وعلماءالدین. وکان هدف الإمام هو

ص: ۲۱۳

تحقیق أهداف المرء المسلم الذی طالما غیبته الحکومات الوضعیة فسلبت شخصیته وهویته وتراثه؛ لیتسنی لها أن یبقی المسلم مقهوراً ضعیفاً لا یستطیع المقاومة أو الرفض، وجاءت کلمات الإمام لتحتل مکانة واسعة فی قلوب المسلمین وغیرهم، الذین لفّهم العجب لهذا الرجل الکبیر المجرّد من السلاح المادی، والذی سحق عرش الطاغوت لیقیم دولة الإسلام.

ورغم ان العالم الإسلامی شهد خطابات ومفردات کثیرة، لکنها لم تنفع فی إعادة الحیویة إلی الشعوب المسلمة وتحریر عقیدتها من أسر الطاغوت والاستبداد..

لقد کان لخطابات الإمام التأثیر الفاعل علی المسلمین بحیث أوجد عند الإنسان المسلم القناعة بأنّ علیه أن یفهم مفردات الإمام الجدیدة کی ینطلق بحیویة وحرکیة أوضح إلی المجتمع..

لقد سُئل السید الخامنئی (دام ظلّه) عن السبب فی تغلغل کلمات الإمام فی النفوس فأجاب: «إنّ الإمام الخمینی سلک الطریق نفسه الذی سلکه رسول‌اللَّه صلی الله علیه و آله من أجل إعادة الحیاة إلی الإسلام وهو طریق الثورة».

لقد أیقن الإمام ان المفهوم الدینی والسیاسی الذی حقّق الانتصار علی الإمبراطوریات القدیمة وهزم الأحزاب، لا یزال قادراً علی هزیمة الجاهلیة الجدیدة المتمثّلة الیوم بالحضارة المادیة الغربیة، التی قوقعت الإنسان فی إطار الشهوات والغرائز.

إنّ الإمام الخمینی فی خطابه الدینی والسیاسی الذی کان خطاباً دینیاً قرآنیاً فی کلّ مفرداته ومفاهیمه، باعتبار أنّ الإسلام دین کامل علی الصعید النظری والعملی، ولا حاجة للمسلمین أن یتلقفوا مفردات ومفاهیم مستوردة من الثقافة الغربیة.. وهو الخطأ الذی وقع فیه الکثیرون من العلماء المسلمین..

ولهذا نجد أنّ لکلمات الإمام وخطاباته صدًی واضحاً علی النفوس وعلی جمیع المسلمین وغیرهم، ولعل من الأسباب التی هیّأت لهذا:

۱- إطلالةالإمام الخمینی رضی الله عنه فی القرن العشرین، الذی ظهرت فیه

ص: ۲۱۴

الکثیر من النظریات المعادیة للدین من قبیل (الدین إفیون الشعوب) وهو کعالم دین دعا إلی نبذ کلّ الطواغیت الأرضیة والفکریة، وعلی هذا فقد عادت صورة الإسلام إلی الظهور علی الشاشة العالمیة.. ولهذا جدّد النهضة الإسلامیة.

۲- کان الإمام صورة للإسلام فی التطبیق العملی، فهو الإمام القائد الذی قهر امبراطوریة الفرس العظیمة، لکنّه رجل زاهد لم تأخذه الدنیا بزخارفها، ولم یداخله الزهو بما حقّقه للعالم الإسلامی من عزّة وقوّة.. وبهذا جدّد صورة رسول اللّه صلی الله علیه و آله المربِّی الأوّل للانسان وللبشریة جمعاء، ولعل توافق القول مع التطبیق والسلوک هو الذی جعل کلماته نافذة فی القلوب الوالهة بهذه الصورة الجدیدة.

۳- سهولة بیانات الإمام وشمولها..

فهدف الإمام هو إیصال الفکر الدینی بأقصر طریق إلی أکثر عدد من المسلمین وغیرهم؛ ولهذا جاءت کلماته مفهومة واضحة لیس علیها غبار، کما أنها کانت کلمات واسعة المضامین عالیة المفاهیم، ولعل نجاح الإمام رحمه الله فی إحیاء الخطاب الدینی کان من العوامل المساعدة علی تهافت الناس لتتبّع خطاباته، وهذا جاء فی الوقت الذی استطاع الاستکبار العالمی إیجاد هوة واسعة بین علماءالدین والناس حتی أوجدوا نفوراً منهم، وکما یقول الإمام فی إحدی خطاباته: إنّ سائق التاکسی کان یرفض حمل عالم‌الدین فی سیارته..

فنقول إنّ الخطاب الدینی عند الإمام کان طفرة واضحة فی هذا القرن.

وکانت بیانات الإمام من البساطة والحرکة بحیث یفهمها الامّی والمثقّف ویعمل بها.. یقول الإمام الخمینی قدس سره:

الإسلام دینٌ عبادته سیاسة وسیاستُه عبادة. والآن إذ یجتمع المسلمون من شتّی بقاع الأرض حول کعبة الآمال؛ لحج بیت اللّه وللقیام بالفرائض الإلهیة..

یتوجّب علی المسلمین الذین یحملون رسالة اللّه تعالی أن یستوعبوا المحتوی السیاسی والاجتماعی للحج إضافة إلی محتواه العبادی.

وبهذا أخرج الإمام العنوان الجدید «سیاستنا ذات دیننا» أخرجه من حیّز التنظیر والجدل، ومن دائرة الآمال

ص: ۲۱۵

والأحلام المسيطرة على مخيلة المسلمين إلى واقع الاداء والفعل.. فالمدرسة الإسلامية تحتوى على تصوّر شامل للكون وللحياة بكلّ أبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.. بل إنّ رسالة الإسلام انطلقت من المسجد..

يقول الإمام قدس سره:

«لقد انطلقت منذ صدر الإسلام إلى اليوم كل الحركات من المسجد، إنّ المسجد هو الذى أوجد القوّة الموحّدة ضد الكفّار والمشركين، وأنتم المسجديون لابدّ من أن تبنوا المساجد على أساس الإسلام والحركة الإسلامية؛ لأجل قطع أيادى الشرك والكفر، ولدعم المستضعفين ضد المستكبرين. فالمسجد كان محلّ الصلاة والقيادة والحكومة والإدارة».

يقول الإمام قدس سره:

«إنّ لفريضة الحج خصائص متميّزة بين كلّ الفرائض الإلهية، ولعلّ الجوانب السياسية والاجتماعية لهذه الفريضة تفوق جوانبها الاخرى مع أنّ لجانبها العبادى خصائص متميّزة».

وقد أكّد الإمام الخمينى على ضرورة الاستفادة من هذه المناسبات فى سبيل تصحيح المفاهيم الخاطئة، التى عشعشت فى أذهان الناس، ولإيجاد العلائق بين المسلمين كافة من خلال اجتماعهم فى ذلك المؤتمر الكبير.. ولعل الإمام كان يرى ضرورة تزويد وشحن المسلم بالقوّة الكافية وإعطائه شيئاً من الجرأة من خلال انفتاحه مع اخوانه هناك، وتبادله وجهات النظر حول الشؤون الإسلامية المتعدّدة.. يقول الإمام:

«علينا أن نستثمر موسم الحج ونجنى منه أطيب الثمار فى الدعوة إلى الوحدة والدعوة إلى تحكيم الإسلام فى الناس كافّة.. المسلمون الأوائل كانوا يجنون من جماعاتهم وجمعاتهم وأعيادهم ومواقف حجّهم أحسن الثمار».

ويقول فى مكان آخر:

«على المسلمين الملتزمين الذين يجتمعون كلّ عام مرّة واحدة فى المواقف الشريفة، ويؤدّون واجباتهم الإسلامية فى هذا التجمّع العام والحشد الإلهى بمعزل عن الامتيازات وبمظهر واحد دون اهتمام بما يميّز بينهم من لون

ص: ۲۱۶

أو لغـة أو بلـد أو منطقـة وبأبسـط المظاهر الماديـة وبانـدفاع نحو المعنويـة والوفود على اللّه، عليهم أن لا يغفلوا عن الجوانب السياسـية والاجتماعية لهذه العبادة».

۳- دعا الإمام قدس سره إلى ضرورة تفهم شعائر الحج وأسراره كى ينطلق الحاج لاداء الفريضة بوعى وهدفية أكثر تمكّنه من الوصول إلى ساحة القرب الإلهى.

يقول الإمام الخمينى رحمه الله:

«إنّ مكة المعظّمة والمشاهد المشرّفة هى مرآة الأحداث الكبرى لنهضة الأنبياء وبعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ورسالته».

ويقول أيضاً:

«إنّ الحضور فى هـذه المشاهـد المشـرفة والأماكن المقدّسـة، يجعلنا نتعرّف على مسؤوليتنا فى المحافظـة على مكتسـبات هذه النهضـة والرسالة الإلهية..

ويظهر لنا مـدى اسـتقامة الرسول الأكرم صـلى الله عليه و آله وأئمـة الهـدى من أجل دين الحق وإزهاق الباطل، وعـدم مبالاتهم بالتهم والاهانات التى كان يوجّهها أبو جهل وأبو سـفيان ومن لفّ لفّهم.. إنهم لم يستسـلموا فى أصعب الظروف حينما كانوا محاصرين أشدّ المحاصرة من الناحية الاقتصادية فى شعب أبى طالب».

يقول الإمام الخمينى رحمه الله حول الطواف:

«إنّ الطـواف حول بيت اللّه يعلمكم أن لاـ تطوفوا حول غير اللّه، وأنّ رجم الشـيطان رمز لرجم شـياطين الإنـس والجن.. حين ترجمون الشيطان عاهدوا ربّكم على طرد كل شياطين الإنس والقوى الكبرى من بلادكم العزيزة».

إنه يعلِّم المسـلمين أنّ هذه الشـعائر ليست عملًا أجوف، فمثلًا الطواف حول البيت يذكّر المسلم بالطواف حول اللّه تعالى أى أن تكون أعماله مقصودة لوجهه تعالى وتكون حركته منه وإليه ابتغاء مرضاته، وبذلك يبتعد عن الشـرك الظاهر والشرك الخفى.. وحتى رجم الشـياطين تمنح الفرد المسـلم القوّة والايمان لمواجهة شياطين الإنس والجن، وإنّما ذكر شياطين الإنس كى يذكّر الجموع المسلمة أن الطواغيت الذين يطوفون حولهم هم أولى بالرجم من غيرهم.

ويقول الإمام فى موضع آخر:

«إن كلمة لبيك التى تتلفّظون بها هى

ص: ۲۱۷

استجابة كبيرة وعميقة لدعوة الحق تعالى، وبها تنفون صفة الشرك بجميع مراتبها، وعليكم أن تشعروا بذلك أنفسكم، وبها تهاجروا بأنفسكم التى هى منشأ الشرك الكبير نحو البارى جل وعلا.. وعندئذ تنالون أجركم وهو على اللّه تعالى».

نعم إنه يؤكّد على أنّ هذه التلبية هى ليست ترديداً أجوف لكلمات واحدة، بل إنها كلمات التوحيد المنبعثة من القلوب المهاجرة إلى اللّه الساعية إلى رضوانه ومحبته، وحقاً ما أوسع البون بين من يردّد كلمات لا يتعايش بها، وبين من يعيش العشق الإلهى فيناجى المحبوب فى كلمات منبعثة من القلب المقرّللّه بالذل والخضوع!

يقول الإمام قدس سره:

«ليس حجّاً هو الحجّ الخالى من الروح والحركة والقيام والبراءة والوحدة، والحج العاجز عن هدم صروح الكفر والشرك».

۴- دعوة الإمام جميع المسلمين إلى المشاركة فى مسيرة البراءة من المشركين.

يقول الإمام قدس سره:

«إنّ إعلام البراءة من المشركين يعتبر من الأركان التوحيدية والواجبات السياسية للحج».

وقفة:

ممّا لا شك فيه أنّ التوحيد هو أساس العقيدة الإسلامية، وهو المحور الذى تتفرّع منه حركة التاريخ الفاعلة المؤثّرة فى كلّ جوانب المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ومن البديهى أنّ للتوحيد جانبين:

۱- الجانب النظرى وهو الاعتقادى على مستوى الذهن والتفكير، ويقوم على تطهير الفرد من التلوّث والشرك الفكرى، وبهذا يحافظ على حرم العقل من الخبائث النظرية.

۲- الجانب العملى وهو تجلّى آثار التوحيد النظرى على الواقع العملى على حياة وسلوك وقيم الفرد والمجتمع.

ورغم أهمية الجانب النظرى، ولكن التوحيد إذا لم ينطلق إلى واقع الحياة، ولم يكن له حضور فى المسرح الحياتى، فهنا يصبح تطبيق الشريعة أمراً صعباً

ص: ۲۱۸

مستصعباً، ومعناه فتح الطريق والثغور أمام قوى الشرك الفكرية والتشريعية والعملية لغزو المجتمع من محطات الفراغ والضعف، خاصة فى المواضع التى يغيب فيها الفكر التوحيدى.

وعلى هذا فقد يكون واجب المسلم دوماً هو إقصاء الشرك عن معالم وقيم وأفكار المجتمع، وتقويض سلطة الفراعنة والمتألهين والطواغيت الوثنيين، الذين يرهبون الناس كى يخشوهم ولا يخشوا اللّه تعالى.

إنّ الشرك العالمى يسعى لتطويق دائرة التوحيد؛ لكى يستطيع التسلّط على الناس والثروات.

ولما كان الشرك مَعْلَماً من معالم الانحراف يشلّ المجتمعات عن التقدّم، ويصادر حقوق المستضعفين والموحِّدين، فلابدّ من التصدّى لهذا الوجود سواءً على صعيد النظريات المطروحة أو على الصعيد العملى، وهنا تظهر أهمية البراءة من المشركين كحركة سياسية اجتماعية حضارية تهدف إلى تربية المسلم على إنكار الشرك والتصدى لمحاربته.

يقول الإمام الخمينى قدس سره:

«أى إنسان عاقل لا يدرك عبادة الأصنام الجديدة بأشكالها وأحابيلها وحيلها الخاصة، ولا يعرف هيمنة معابد الأصنام- كالبيت الأسود الأمريكى- على البلدان الإسلامية وعلى أرواح وأعراض المسلمين والعالم الثالث؟!

إنّ صرخة براءتنا من المشركين والكفّار اليوم، هى صرخة البراءة من الظلم والظالمين، وصرخة امّة ضاقت ذرعاً باعتداءات الشرق والغرب وعلى رأسهم أمريكا وأذنابها، وغضبت جراء نهب بيتها وثرواتها.

وربّ سائلٍ يسأل ماذا تعنى البراءة؟

هل تعنى المخالفة اللسانية أم القلبية، أم تعنى الاستئصال لوجود هؤلاء المشركين؟

والحق أنّ البراءة تشمل كلّ هذه الأشكال، وعلى الكل أن يعلن براءته بما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

وأذان من اللّه ورسوله إلى الناس يوم الحجّ الأكبر أنّ اللّه برىءٌ من المشركين ورسولُه للوصول إلى الهدف المنشود وهو تطهير الأرض

ص: ۲۱۹

من الأصنام المرئیة وتطهیر القلوب من الأصنام الصوریة، لقد ألحّ اللّه تعالی علی خلیله حینما بنیالکعبة أن یطهّرها أن لا تشرک بی شیئاً وطهّر بیتی للطائفین والقائمین والرکّع السجود.

وإبراهیم علیه السلام کان محطّم الأصنام:

وتاللّه لأکیدن أصنامکم بعد أن تولّوا مدبرین.

وأوّل عمل قام به صلی الله علیه و آله حینما دخل مکة هو تحطیم الأصنام لتطهیر البیت، ولما کان القلب هو حرم اللّه تعالی فالأولی تطهیر حرم اللّه من کل ألوان الشرک الظاهر بالتماثیل والأصنام المرئیة وإزالة الأصنام القلبیة سواء کانت أهواءً أو مطامع أو طواغیت أو رجساً ذاتیّاً یحول بین الفرد وسعیه إلی ربه لیدخل جنّته».

وعلی هذا فمبدأ البراءة یرتکز علی أمرین:

۱- ضمن حرکة الفکر والاعتقاد أی ضمن الحرم الداخلی للإنسان، وهو الذی یحافظ علی نیّة العمل وعلی الهدفیة فی الحیاة ویمهّد لتحقیق الأهداف الکبری.

۲- ضمن الحرکة الخارجیة وهو الإعلان للتصدّی من المشرکین إنّ اللّه بریء من المشرکین ورسوله.

وعلی هذا فالمسلم لا یستطیع الإنطلاق إلی الدائرة التغییریة فی المجتمع ما لم یعش مفهوم البراءة من المشرکین قلباً ولساناً وفکراً وعملًا.

یقول الإمام الخمینی رحمه الله:

«إنّ إعلان البراءة فی الحج هو تجدید العهد بالجهاد وتربیة المجاهدین لمواصلة الحرب ضد الکفر والشرک وعبادة الأصنام، وهو لا یقتصر علی الشعارات بل یتعداها لتعبئة وتنظیم جنود اللّه أمام جنود إبلیس وبقیة الأبالسة، والبراءة، هذه تعتبر من المبادئ الأوّلیة للتوحید».

ویقول أیضاً:

«إن إعلان البراءة هو المرحلة الاولی من الجهاد، ومواصلته هی من المراحل الاخری لواجبنا، وأنه یتطلّب فی کلّ عصر وزمان مفاهیم وأسالیب خاصة».

ورغم أنّ الصراع بین الشرک والتوحید صراع أزلی، ولکننا الآن نری قیمومة کیانات الشرک والإلحاد فی أرجاء المعمورة، وهی تسعی سعیاً

ص: ۲۲۰

مسـموماً لتحطیم عقیـدة التوحیـد سواء بمحاربـة الفرد الموحِّد أو الدولـة الموحِّدة أو بنشـر الفساد والرذیلة لإلهاء الناس بها أو التنکیل بالموحّدین.. ومشـکلة الإنسان المسـلم أنه بحاجـة إلی تجدیـد الشـعور بالقوّة والعزّة، وبحاجـة إلی اسـتحضار الوعد الإلهی کتب اللّه لأغلبن أنا ورسـلی وبحاجة أیضاً إلی اسـتحضار الشـعور بالمعیة مع اللّه ومع المسلمین، وأنه لیس وحده الذی یخوض هذا الصراع، بل هناک الملایین التی تشارکه هذه الأحاسیس النیّرة، وعلی هذا فقد کان اختیار أیام الحج واختیار مکة المکرّمة لیکون التوقیت الزمانی والمکانی متلائماً مع الغایة المنشودة.

یقول الإمام رحمه الله:

«وأی بیت هو أفضـل من الکعبـة؟! البیت الآـمن والطـاهر لنبـذ کـلّ أشـکال الظلم والعـدوان والاسـتغلال والرق واللاإنسانیـة قولًا وفعلًا وتحطیم أصـنام الآلهـة تجدیـداً لمیثـاق ألست بربّکم وذلـک إحیاءً لـذکری أهم وأکبر حرکـة سیاسـیة للرسول عبّر عنها القرآن بقوله وأذان من اللّه ورسوله إلی الناس یوم الحجّ الأکبر».

إنّ التوقیت الزمـانی فی أیـام السـفر إلی اللّه وفی أیـام مبارکـة هجر فیهـا الحـاج أسـباب الـدنیا وجـاء متعلّقاً برحمته شاعراً بمسؤولیته، والتوقیت المکانی الـذی یشدّ المسـلمین إلی أیام ظهور الدعوة الاولی التی کان فیها المسـلمون قلائل مستضـعفین وإذا بهم یصـبحون قـادة للبشـریة جمیعاً نحو الخیر والعزّة والکرامـة، إنّ هـذا التوقیت لیشـحن الفرد المسـلم بأسـباب القوّة والإرادة؛ لیعود الحاج إلی وطنه إنساناً آخر هو «ثورة علی کلّ باطل وطاغوت وسـعیاً لبناء الـذات والمجتمع ووعیاً للحیاة وتضـحیة فی سبیل الأهداف وفی سبیل رضـا اللّه».

یقول الإمام:

«لیعرج الحجّاج الأعزاء من أفضل أراضی العشق والجهاد وأکثرها قدسیة..

إلی کعبـة أکـثر رفعـة حیث ینطلقون من إحرام الحـج إلی إحرام الحرب، ومن طواف الکعبـة والحرم إلی طواف صـاحب البیت، ومن التوضؤ بزمزم إلی غسل

ص: ۲۲۱

الشهادة والدم ليتحوّلوا بذلك إلى امّة لا تقهر وبنيان مرصوص لا تستطيع معه القوى العظمى الشرقية والغربية الوقوف بوجهها...»

وعلى هذا يمكن إيجاز الهدف من إعلان البراءة على المشركين أيام الحج ب:

۱- تربية المسلم على رفض الطواغيت، وافهامهم أن الطاغوت صورة من صور الشرك الواجبة التطهير.

۲- شحن المسلم بقدر من القوّة يؤهله للوقوف والمجابهة والرفض بعد أن استطاع الاستكبار العالمى أن يؤسره فى دائرة الخوف من المواجهة.

۳- إشعار المسلم بأنه ليس وحده الذى يقف فى المواجهة ضد شياطين الإنس والجن، وإنّما هناك الملايين التى تشاركه وهو جزء من هذه الامّة المجاهدة.

۴- استمداد القوّة والإرادة من ذكريات الإسلام الاولى التى يفوح شذاها فى سماء مكة.

۵- إنذار المستكبرين بعظمة الإسلام وشدّة الصحوة الإسلامية، التى ستدكّ حصونهم وقلاعهم يوماً ما.

۶- الإعلان عن الإسلام كدين سياسى اجتماعى.

۷- وبهذا تكون البراءة من المشركين.. المسيرة الرافضة لكلّ الأصنام، والتى تنطلق من بيت التوحيد العتيق هى صورة من صور تصدير الثورة والمفاهيم التى حملتها إلى خارج حدود الدولة الإسلامية.

لقد استطاع الإمام قدس سره أن يخرج المسلمين من صورة الحج الأجوف..

الحج الأمريكى.. إلى الحج الإبراهيمى المحمّدى الذى يؤتى أكله كلّ حين بإذن ربّه.

ص: ۲۲۲

الهوامش:

ص: ۲۲۳

ص: ۲۲۴

كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة

كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة

كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة

محمد حسن يزبك

هذا الموضوع له أبعاده ولا يمكن أن تتفلسف الحكمة الإلهية لعبادة من أهم العبادات، بل هى الشرعية على حدّ وصف بعض الروايات لها، ولكننى اقتنص بعض معالم تلك الفلسفة من قوله تعالى: جعل اللّه الكعبة البيت الحرام قياماً للناس.

القيام وما يعنيه أن دور الإنسان فى الحياة الحركة المستمرّة مع حركة الكون؛ لأنه إذا ما توقّفت حركة الكون انتهى كلّ شىء، وجميل الربط بين الإنسان والكون من خلال الحركة؛ لأنّ مهمّة الإنسان البناء والإعمار، وهذا يستلزم الحركة المتجدّدة، لكى لا يتساوى يوما الإنسان فيكون مغبوناً فضلًا عن أن يتروى غده فيكون ملعوناً على حدّ فلسفة أمير البيان والبلاغة ومرجع الفلسفة أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

قيام الناس الذى رتب عليه جعل اللّه الكعبة البيت الحرام لم يكن هذا القيام إلّاعظيماً يتجاوز بعظمته حدود ما رتّب عليه لأنه لا يحفظ بدونه. وهذه

ص: ۲۲۵

العظمة نتلمسها من القائد الأوّل الذى نهض فى وجه الأصنام والصنمية مكسّراً ومعلناً عن أبعاد دعوته المقدّسة وقد نسجها القرآن الكريم بأروع بيان: إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون* قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين* قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين* قالوا أجئتنا بالحقّ أم أنت من اللاعبين* قال بل ربّكم ربّ السماوات والأرض الذى فطرهنَّ وأنا على ذلكم من الشاهدين* وتاللَّه لأكيدنَّ أصنامكم بعد أن تولّوا مدبرين* فجعلهم جُذاذاً إلّاكبيراً لهم لعلّهم إليه يَرْجِعُون* قالوا مَنْ فَعَلَ هذا بآلهتنا إنّه لمن الظالمين* قالوا سمعنا فتى يذكرُهُم يقال له إبراهيم* قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلّهم يشهدون* قالوا ءأنتَ فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم* قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم إن كانوا ينطقون* فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنّكم أنتم الظالمون* ثمّ نُكِسُوا على رؤوسهم لقد علمتَ ما هؤلاء ينطقون* قال أفتعبدون من دون اللَّه ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضرّكم* أفٍ لكم ولما تعبدون من دون اللَّه أفلا تعقلون* قالوا حرقوه وانصروا ءآلهتكم إنْ كنتم فاعلين

هذه الآيات عرضتها بهذه الكيفية؛ ليعطى مفهوم القيام وزنه ومعناه وحقيقته وما بعد القرآن من حقيقة.

فالآيات وضحت أنّ القيام دعوة وثورة ومواجهة للظلم والانحراف والعصبية والتقاليد البالية، والمتأمّل يدرك حقيقة الثورة أنّها ثورة من أجل التوحيد وربط الإنسان بخالقه، وتطهير العقول من التبعية العمياء والابتعاد بها عن منطق أننا وجدنا الأمر كذلك فمضينا حيث تاريخ الآباء والأجداد والتقاليد والعادات.

أترى نترك ما كان عليه الآباء؟ نعم صرخة الحق والعدل والضمير لم توجد أيّها الإنسان لتلغى دور العقل متذرعاً وهكذا وجدت الآباء ولعلّهم كانوا فى ضلال مبين، وهل من ضلال أوضح من عبادة الأصنام واعتبارها الإله؟ الإنسان الذى

ص: ۲۲۶

كرّم بالعقل وسخّر له كلّ شيء فينحدر إلى أسفل ما يتصوّر؛ ليتخذ من الصنم معبوداً وخالقاً أو ليقربه إلى الخالق والمعبود، ولا يعرف الخالق ما قيمة هذا الحجر والوثن أولست أنت الصانع له؟ وهل ينفع أو يضر؟

كان دور نبى اللَّه إبراهيم عليه السلام أن يصحح العقيدة وينفض عنها غبار الوثنية والصنمية والتحجّر، دعاهم والحق والهدى سبيله، تحرّكت العقول أجئتنا بالحق؟

لم نسمع بهذا فى الملّة الاولى، وإذا لم تكن الأصنام هى الآلهة؟ فمن الإله قال بل ربّكم ربّ السماوات والأرض الذى فطرهنَّ.

ومن القيام الذى نهض به خليل الرحمن عليه السلام نفهم علاقة الحج بإبراهيم عليه السلام والبيت والاتخاذ من مقامه مصلّى ومعنى تطهير البيت للطائفين والركّع السجود، وفلسفة هذا التشريع، ويبتنى على ركيزتين أساسيتين:

الأولى: التوحيد.

الثانية: علاقة الشريعة الإسلامية بالشرائع السابقة واستمراريتها بالحفاظ على الركيزة الاولى.

هو دعوة الأنبياء جميعاً لُاممهم ولقد بعثنا فى كلّ امّة رسولًا أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت.

وتجلّى الصراع مع الشرك والوثنية بعد الطوفان بشخص القائد الامّة الذى نعته القرآن بذلك إنّ إبراهيم كان امّة قانتاً للَّه حنيفاً ولم يك من المشركين.

والنبى محمّد صلى الله عليه و آله و سلم الذى جاء قومه بخير الدنيا والآخرة واختصر عليهم كلّ شيء:

«أنا دعوة أبيكم إبراهيم عليه السلام قولوا: لا إله إلّااللَّه تفلحوا». إنه النبيّ والرسول الذى ولد بمكة وترعرع فيها، وساءه الكثير من المشاهد، وأزعجه ما كان عليه الناس فى ذلك الوقت، يتنافسون على عبادة الأصنام، ويتسابقون على تعليق آلهتهم فى الكعبة وجدرانها، ولم يبق من الإبراهيمية إلّابصيص أمل ونور يلمع من بين ظلمات الشرك. النور الذى استقر بالنبى محمد صلى الله عليه و آله و سلم بعدما تناقله الأجداد

ص: ۲۲۷

والامّهات من الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهّرة من خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وكان لهذا النور من العظمة أن كشح ظلام الجاهلية وليل الشرك الدامس بفجر الإسلام المشرق، الذى ألقى بخيوطه النورانية على العالم فهرب الشيطان وصُعِق وتهاوت معه الأصنام وتكسّرت وسكت نفس الشرك واندثر، وتعالى صوت اللّه أكبر من حنجرة بلال الحبشى على مأذنة الفجر الساطع، وردّد الكون لا كبير إلّا اللّه، وتهلّل وجه الدنيا وتلألأ فرحاً وابتسامة بكلمة التوحيد...

والحجّ الذى كان أحد الأركان الأساسية للإسلام، «بنى الإسلام على خمس:

الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية» فقد جمع بين العبادة البدنية والمالية وفيه من الكدح ما فيه، وكانت فلسفته بقيام الناس جميعاً من خلال مؤتمرهم الشعبى العام الذى يلتقون فيه فى الأرض المقدّسة، ليحجّوا مع نبيّهم حجّته ويقفوا مواقفه معلنين معه النداء «لا إله إلّااللّه» مقتلعين من أنفسهم كلّ ما سواه لأنه الباطل، متأسين بطهارة ونقاء الرسول صلى الله عليه و آله و سلم وسيرته متّخذين من أنفاسه وتعاليمه الهدى يتذكّرونه ويذكرونه مع ذكر اللّه؛ لأنه الدليل الصادق والبار الوفى والتقى المعلم، يستعرضون وهم يؤدّون الفريضة كلماته العذبة الرقيقة وهى تدغدغ المشاعر والأحاسيس: «إنّ حرمة المسلم أعظم من حرمة الشهر الحرام وعرفات والحرم والبيت» فتنبعث انتفاضة وثورة فى داخل الإنسان وهو يتألّم من تقصيره بهذا الحقّ. اللّه أكبر أهكذا حرمة المسلم؟ فأين أنا من حقوق المسلمين وهو يرمقهم ببصره يتحولقون حول البيت ويهرولون وإلى الجبل يمشون؟ مشهد من مشاهد يوم القيامة، ولا يكادُ يصدق الأسود والأبيض والعربى والأعجمى والألسن مختلفة واللغات متعدّدة سبحانك ياربّ الكلّ منك وإليك وأنت الغفور الرحيم.

أدركت فلسفة الحج بكلمة واحدة من خلال هذه المناظر وأداء المناسك (كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة) سبحانك يارب لو التزمنا بذلك وأدّينا الحق الذى اعتبره رسولك أعظم من كلّ شىء حقّ المسلم، فأين كانت امّتنا؟ فهل كنّا نعانى

ص: ۲۲۸

من الفرقة والتمزّق والضياع....؟ أَلسنا جميعاً نقف مع الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ونطلّ معه على الغيب نستحضر ذلك الماضى فنرى خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بعد أبينا آدم عليه السلام فى هذه الأماكن يؤدّى المناسك ويرمى الشيطان ويقدِّم القربان؟ وأى قربان؟! نبى اللَّه إسماعيل عليه السلام ونتذكّر التسليم والصدق والإخلاص بالطاعة ونحن نقرأ فى سورة الصافات فلما بلغ معه السعى قال يا بُنى إنّى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء اللَّه من الصابرين* فلما اسلما وتلَّه للجبين* وناديناه أن يا إبراهيم* قد صدقت الرؤيا إنّا كذلك نجزى المحسنين* إنّ هذا لهو البلاء المبين* وفديناه بذبحٍ عظيم.

سبحانك ربّى أنت الخالق وأنت المشرِّع، فالرسالة واحدة والرسول صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «مثلى ومثل من تقدّمنى من الأنبياء كمثل بيت كمل ولم يبق إلّاموضعة لبنة وأنا تلك اللبنة»..

والحجّ من أهم العبادات التى تؤكّد هذه الوحدة بالمواقف الحسية التى لا ندرك علّة تشريعها، وهرولة هاجر امّ إسماعيل تحوّلت إلى عبادة فضلًا عن سائر المناسك.

فالضرورة قاضية من أجل إعطاء الحجّ بُعده الحقيقى وفلسفته الصادقة من التوحيد وربط الرسالة الإسلامية بالرسالات السابقة واستمراريتها أن يعود الحجّ إلى انطلاقته المحمّدية صلى الله عليه و آله و سلم التى تجسّدت بالبراءة من الشرك، وسورة براءة قد بلغها خليفة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم الإمام على عليه السلام والتى حدّدت معالم العلاقات وآذان من اللَّه ورسوله إلى الناس يومَ الحجّ الأكبر أنّ اللَّه برىءٌ من المشركين ورسولُه وإذا لم يؤد الحج هذا الدور فقدت الفريضة فلسفتها وأهدافها، ولا نعجب أن يكون وضع المسلمين على ما هو عليه من المآسى.

والحجيج يتدافعون إلى بيت اللَّه الحرام ولكنّهم لم يرموا الشيطان وحبه من قلوبهم، لم يتبرأوا من المشركين، ولم يلتفتوا إلى هذه الفريضة العبادية السياسية،

ص: ۲۲۹

ولم يهتموا بالجانب الآخر الـذى لا يتم الجانب الأوّل بدونه، وفهمنا ذلك البُعد لهذه الفريضة من خطبة الرسول صـلى الله عليه و آله و سلم فى عرفة وغدير خم...

ونحن نسـتعرض هذا الواقع الأليم نتذكّر الإمام الخمينى قدس سـره قائد الامّة الإسلامية وصانع مجدها وعزّها فى هذا العصر كيف نظر إلى الفرائض، فقال عن الجمعة: «العبادية السياسـية» والحج: «فريضة عبادية سياسية» والشبه كبير بين الجمعة والحج، والقاسم المشترك اجتماع الناس، والاسـتفادة من هـذا الاجتماع، وتذكير الامّة بكلّ ما يعانيه أبناؤها، واطلاع الشـعب على كلّ مجريات الامور، ومن هذه المواقف تحـدّد الخطوط السياسـية لِلُامّـة من حيث العلاقات والمودّة والموالاة والبغضاء والمعاداة، والحجّ أهمّ لأنّه مؤتمر عالمى جامع لكـلّ مؤتمرات الجمعـات فى مكان واحـد. فلا حـجّ بـدون البراءة فكيف يجتمع حبّ اللّه مع حبّ أعـدائه؟! وكيف يكون هـذا القلب محطّة للعشق الإلهى مع استيلاء الشيطان عليه؟!

نحن اليوم- وبفضل الإمام الخمينى- نرى أنفسـنا نعود إلى الحـجّ المحمّدى صـلى الله عليه و آله و سـلم الإبراهيمى، ونرفع راية البراءة من المشـركين، ونعلنها صـرخة مدوّية فى وجه الشـيطان الأكبر وأذنابه. وما هذا إلّاتعبير عن إعطاء هذه الفريضة بُعدها الحقيقى؛ ليطّلع المسـلمون على أوضاعهم عن كثب ونقتنع جميعاً بضـرورة الأمّة الموحّدة، ولا خلاص لهذه الامّة من الضـياع إلّابالعمل الجاد من أجل الوصول إلى هذه الحقيقة.

فالمسـلمون اليوم مدعوون للتأمّل بواقعهم ومصـيرهم وعليهم أن يحافظوا على هذه الصـحوة الإسـلامية لتنمو وتكبر، والسـعى الدؤوب للوصول إلى جذور الوحدة الإسلامية، التى هى الردّ العملى والمباشر على كلّ مخططات الاستكبار، والصاعقة فى وجه الشيطان الأكبر أمريكا والأذناب، والتى تمنع من تحقّق النظام الدولى المتفرعن على حساب المسـلمين والشعوب المستضعفة؛ لأنّ مؤشرات هذا النظام الدولى الموهوم أنه محكوم لمصالح الصهيونية والصليبية العالمية والمؤسسات

ص: ۲۳۰

الدولية بحسب الممارسات العملية، محكومة كلّها لهذه الإرادة فلا شيء خارج قبضة الطاغوت إلّاالإسلام.

أيُّها المسلمون: عودوا إلى إسلامكم من خلال حجّكم الإبراهيمى المحمّدى صلى الله عليه و آله و سلم، وهو ما نادى به السيّد الإمام، وارفضوا الشرك والاستعانة بغير اللَّه تعالى واعتمدوا على قدراتكم وطاقاتكم متوكلين على اللَّه تعالى رافضين القوى الطاغية والظالمة والحلول الاستسلامية المهينة وفرض هيمنة النظام الدولى الجديد (نظام المحميات) بأساليبه البشعة وأنيابه الكاسرة.

من الحجّ يجب أن يتخرج الثوّار المجاهدون الذين يلبّون نداء العراق الجريح النازف عراق الإسلام الذى قدّم الآلاف من الشهداء المظلومين وعلى رأسهم المرجع الكبير والمفكّر الإسلامى السيّد محمّد باقر الصدر، على مذبحة الحق ضد أعتى طاغية يتحكّم بمصيره، ونداء البوسنيين والهرسك وسرايفو الذين يواجهون عصابات الصهيونية والصليبية المتمثّل مفتاحها بالصربيين، وفلسطين التى طال عذابها وأوحش ليلها كلّ عفيفة وحرّ وطفل حتى تفجّرت بانتفاضة إسلامية عارمة، حوّل فيها الطفل الحجر إلى قنبلة والمقلاع إلى مدفع والخنجر إلى قاذف، والقبضات والعصى إلى غضب إلهى. وكشمير التى تسجّل بدمائها دوماً الوفاء للإسلام فى مواجهة وثنية القرن العشرين وهجمته، والأقليات المسلمة فى جمهوريات الاتحاد السوفياتى سابقاً الذين يعانون الكثير من الوضع الاجتماعى والثقافى والاقتصادى والسياسى، والشيشان والمجازر التى يرتكبها الجيش الأحمر فيها. والجزائر وتونس ومصر الذين يستنهضون همم المسلمين ليرفعوا كابوس الأنظمة البوليسية الظالمة عن رقابهم.

ولبنان الذى قدّم المزيد من الشهداء مجاهدين وقادة من شيخ المقاومة راغب حرب إلى شيخ الأسرى عبد الكريم عبيد إلى سيّد شهداء المقاومة الإسلامية السيّد عبّاس الموسوى إلى كلّ الشهداء الذين سقطوا من أجل تحرير لبنان

ص: ۲۳۱

وفلسطين والامّة من الكيان الغاصب الغدّة السرطانية إسرائيل ومن مخطّطات الشيطان الأكبر أمريكا.

من الحجّ المحمّدى صلى الله عليه و آله و سلم تخرج الامّة بجوّ الالفة والمحبة والمناصرة تحت راية قيادة إسلامية موحّدة، وإنّه عصر الإسلام وليس عصر الشيطان الأكبر أمريكا والنظام الدولى الفرعونى الموهوم إنّها الراية بيد القائد الإمام الخامنئى (دام ظلّه) سنتوحد تحت هذه الراية ممهّدين لدولة الإسلام الكبرى التى تشرق أنوارها بالعدالة والمساواة والاستقامة بنور الإمام المهدى (عجل اللَّه تعالى فرجه المبارك).

الهوامش:

ص: ۲۳۲

الحج الابراهيمى

الحج الابراهيمى- رؤية احيائية جديدة فى منظور الامام الخمينى

الحج الابراهيمى- رؤية إحيائية جديدة فى منظور الامام الخمينى

مختار الأسدى

مقدمة

عاش الامام الخمينى أمة فى رجل، ورحل عظيماً عن أمة، كان تجسيداً كاملًا للمبادئ التى عاش لها ودعا إليها. لم تنفصل أقواله عن أفعاله، ولم تنسلخ كينونته عن كلماته، فكان النظرية والتطبيق، والقول والفعل، والمصداق والمفهوم، كان صدى أهل السماء لأهل الأرض، وهبة اللّه تعالى للمؤمنين والمسلمين والمستضعفين فى نهاية القرن العشرين...

حرّك الشارع الاسلامى عقداً كاملًا من السنين، ومن أقصى الأرض الى أقصاها، وحكم وما زال يحكم وسيظل هكذا عقوداً أخرى ومن قبره الشريف، ما دام على وجه الأرض غيارى يرفضون الظلم، أو أحرار يتمردون على البغى، أو ثوار يتحدّون الطغاة.

لقد أصبحت كلماته، مثل مرقده الشريف، مزاراً للعشاق ومنهلًا للثوار ومثابة لطلاب الكرامة والمحرومين، ونشيداً للمستضعفين والشرفاء ودعاة التغيير

ص: ۲۳۳

والاصلاح.

لم تكن كلماته التى تركها فى أعناق الرجال إلّامشعلًا آخر من مشاعل النور يضىء الدرب للأحرار والثوار، ليشقوا طريقهم فى الدهاليز المظلمة التى صنعها طواغيت الأرض، ونبراساً يواصل به رجال خطه الأصيل إضاءة هذه الدهاليز...

نعم، ستظل كلمات الامام الخمينى ومواقفه ووصاياه مصاديق صارخة لكشف زيف الأدعياء والمقاولين ووعاظ السلاطين وتجار الدين. كما ستظل صيحاته ورؤاه صرخات غضب مقدس لاستنهاض الأحرار والشرفاء واستصراخهم ومناشدتهم لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، سعياً حثيثاً لاستكمال المشروع التغييرى الذى بدأه وصولًا لإنجاز مشروع النهضة الاسلامية المعاصرة...

من هنا صار الوفاء واجباً لهذا الرجل، وصار لزاماً أن تبقى كلماته خالدة فى ضمائر الأحرار والنجباء، وأن تبقى بياناته وأفكاره شاخص هداية ونبرات نور للسالكين والمناضلين والمؤمنين...

العبادات وفلسفة التغيير عند الامام

فى فلسفة التغيير الاجتماعى والعبادات، كان للإمام الخمينى قدس سره رؤية خاصة وأطروحة متكاملة ميّزته عن الكثيرين من العلماء ومراجع الدين العظام، وجعلت منه رائداً ومجدّداً استطاع أن يؤكد قدرته التغييرية ومنهجه التجديدى بموفقية ونجاح باهرين. ولا نجانب الحق إذا قلنا: إنّ منهجه الإحيائى نال إعجاب العدو والصديق والقريب والبعيد حيث أعاد للدين الاسلامى العظيم قدرته الكامنة على تغيير النفوس، وفعله المؤثر على النفس البشرية فى انطلاقتها نحو التكامل والرقى...

وقد لُخصت رؤيته الإحيائية هذه فى إيمانه العميق بقدرة الاسلام العزيز على

ص: ۲۳۴

إحداث نقلة نوعية فى المحتوى الداخلى للانسان وصولًا الى التغيير الاجتماعى الشامل... ومن هنا نالت أفكاره قدرة إشعاعية فائقة، وصارت ثقافة جماهيرية يتحدث بها المثقفون والمفكرون وعوام الناس، فضلًا عن الفلاسفة والمتخصصين والعلماء.

هذه الرؤية هى التى مكّنته من تفجير ثورته الاسلامية العملاقة وإنهاء طاغوت متحكم، انطلق بعدها لتحكيم دين اللّه على أرض ايران الاسلام بعد غياب أو تغييب دام مئات السنين.

هذا الايمان وهذه الرؤية وهذا التصدّى لإقامة حكم إسلامى، كلّها كلّفت الامام ضريبة باهضة جعلته يتقاطع مع رؤى الكثيرين أو اجتهاداتهم ومناهجهم، ووضعته أمام مرافعات تاريخية حساسة خرج منها منتصراً، بعد أن تحدّدت المرتكزات الفقهية لهذا التوجّه، وبعد أن تجلّت قدرة الامام، بتوفيق اللّه تعالى، على صياغة نظرية متكاملة فى حركة التغيير وإعادة الروح الى عبادات وطقوس ما جاءت إلّالصالح الانسان، أو ما جىء بها إلا لمصلحة البشرية وإرساء دعائم الحب والمودّة بين بنى البشر، وصولًا لتحكيم حدود اللّه وشريعته وقرآنه...

لقد كان واضحاً تمام الوضوح لدى الامام رضى الله عنه أنّ الجماهير إذا عُبئت تعبئة رسالية واعية، ستكون أقوى من كلّ الأسلحة المادية والقوى السلطوية المعروفة فى دنيا الناس... وقد أثبت فعلًا أنّ (القبضات الخالية) إلّامن الايمان كانت أقوى من كلّ (سافاك) الشاه وجيشه ودرعه وأسلحته...

ففيما يرى بعض العلماء- وفق رؤيتهم الحركية ومنهجهم التغييرى- مثلًا أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يجبان إلّابعد (ضمان الأثر وحرز الأمن من الضرر) وأن التغيير يمكن أن يأتى بسياسة اللين ومداراة الحاكم، والتسلل تدريجياً الى أجهزة السلطة، يرى الامام الخمينى- وفق مبناه الفقهى طبعاً- أنّ التضحية والمواجهة وثقافة الاستشهاد وتحدّى السلطة الظالمة كلّها كفيلة بإحقاق الحق

ص: ۲۳۵

وإزهاق الباطل.

وهذا يعنى أنّ الامام أدرك بثاقب بصيرة وعمق رؤية أنّ الطواغيت لا يتنازلون عن السلطة ولا يذعنون للحق إلّاتحت التهديد والذعر، وهو عين ما فعله النبى صلى الله عليه و آله حيث بدأ دعوته المباركة سلمية وعظية حكيمة فى البداية، ولكن، وحين لم ترق لقريش وجبروتها وخيلائها، وحين قررت مواجهتها وملاحقة دعاتها، شهر السلاح وحكّم السيف فى رقاب المتجبّرين وأعداء (الحكمة والموعظة الحسنة).

صحيح أنه صلى الله عليه و آله وعلى امتداد رسالته الحركية دعوة وثورة ودولة لم يرق من الدماء إلّاالقليل القليل جدّاً، وأنه تحمّل من الأذى ما لم يتحمّله نبىّ قبله من أجل حقن الدماء واستفراغ الحجة، ولكنه صلوات اللّه وسلامه عليه وآله، لم يجد بدّاً من تحكيم القوة فى مرحلة من مراحل الصراع...

من هذا المنطلق يمكن القول: إنّ للامام منهجاً خاصاً يتميز به عن الكثير من العلماء سمى فيما بعد ب (خط الامام) أو (نهج الامام) أو (ما أطلق اصطلاحاً (خط الاسلام المحمدى الأصيل)) وكلّها مصطلحات حديثة شاع استخدامها بعد انتصار الثورة الاسلامية فى ايران، وتمّ ترويجها مقابل (الاسلام الامريكى) و (الخط الأموى) و (الحكم السلطانى) الذى كان يطلق على إسلام الملوك والسلاطين، الذين كانوا يوظفون الدين ونصوص الدين لتمرير مخططاتهم وتبرير شرعيتهم أو مشروعية حكمهم، وبتبريك من وعاظهم طبعاً (وعاظ السلاطين) وإطلاق بخور فقههم السلطانى (معمّداً) بمسوح دينية مزيفة.

ولا يعنى هذا، على الإطلاق، أنّ نهج الامام جاء شرعاً جديداً أو خطاً مذهبياً أو عقيدياً جديداً فى الاسلام مقطوعاً أو مبتوراً عن مبادئ الاسلام وقيم الدين العظيم، وإنما جاء سلوكاً وتجربة وممارسة، وجاء دعوة صادقة لإحياء المغيّب من تعاليم الاسلام، والدعوة الى إعادة حكومة الشريعة التى غابت أو

ص: ۲۳۶

غيبت لقرون مديدة، تارةً تحت شعار طاعة الحاكم الظالم براً كان أو فاجراً، وتارة تحت تمييع فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأخرى تحت شعار التقية وعدم الاصطدام بالسلاطين، وهكذا...

منهج الامام يهزّ الضمير المسلم بعنف

هذا من جانب، ومن جانب آخر، جاء خط الامام منـدداً بدعاة انتظار الفرج بمعنى القعود والانتظار السلبى وليس الايجابى، وجاء مشـدّداً النكير على أولئك الذين يريدون تهميش دور العالم الدينى وحصره فى التكايا وحلقات الذكر وفتاوى الفقه الفردية المحدودة، التى ابتعدت عن الواقع الاجتماعى كثيراً، وانهمكت بالكامل بأحكام الطهارة والنجاسات والقصاص والديات وأحكام الشكوك والمياه، وعموم العقود والايقاعات، والزواج والطلاق، وما الى ذلك، أى استغرقت فى العبادات دون المعاملات.

وهذا يعنى أنّ الامام الخمينى استطاع أن يُحدث هزّة عنيفة فى ضمير الانسان المسلم، ويُحدث (زلزالًا) فى وجدان الشعوب الاسلامية، بعد أن أحدث يقظةً فى نفوس العلماء، وفجر صحوة فى الفكر السياسى الاسلامى المعاصر.

هكذا تشكّلت خيوط (خط الامام) وهكذا بدأت حركته التغييرية من الحوزة ضد الطاغوت الحاكم، ومن العلماء ضد الحكم القائم، فتزلزلت (الثوابت) أو الرواسب البالية والموروثة، وتراجع الكثيرون ممن كانوا يعانون الحيرة فى شرعية الثورة، وتأمّل آخرون ممن كانوا يعتقدون أنّ السيف أقوى من الدم، وأنّ الدبابة لا تُهزم بالقبضة الخالية، وانبهر صنف ثالث قائلين: إنّ (الفرج) يمكن أن يأتى على يد نائب صاحب الأمر وليس بالضرورة أن تكون كلّ راية ترفع قبل ظهور (الحجة عليه السلام) (راية ضلال) وصاحبها (طاغوت) (تصطلمه البليّة)- على حدّ تعبير الروايات التاريخية المتدافعة-... نعم، اهتزت ثوابت ما كان يُظن أنها ستهتز أو تهزّ، وارتجت مقاييس ما ظنّ أصحابها أنها سترجّ يوماً أو تُرجّ.

ص: ۲۳۷

جاء خط الامام ليؤكد احتواء العصر، ويوجّه محددات الزمان والمكان وتحولاتها ومتغيراتها وحقائقها، ويترك للفقيه الكفوء العادل تقدير مصالح المجتمع الاسلامى الجديد، وفق هذه المتغيرات والتحولات. فقال:

«لو كان هناك شخص أعلم من ناحية العلوم المعهودة فى الحوزات، ولكنه لا يستطيع تحديد مصلحة المجتمع، فهذا الشخص ليس مجتهداً فى المسائل الاجتماعية والحكومية» أى أنه قدس سره اعتبر القدرة على تحديد مصالح المجتمع شرطاً من شروط الاجتهاد الجديدة، وأضاف عمقاً آخر لما يسمى ب (الاحكام الثانوية) التى تأتى مع الظرفين الزمانى والمكانى، وبالتالى أسّس رؤيته هذه على حدّ قوله:

«إنّ القضية التى لها حكم معيّن فى السابق، يمكن أن يكون لها فى الظاهر حكم جديد، فيما يتعلق بالعلاقات التى تحكم السياسة والاجتماع والاقتصاد فى نظام ما، بمعنى أنّ نتيجة المعرفة الدقيقة فى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تحوّل الموضوع الأول- الذى لم يتغير فى الظاهر- الى موضوع يستلزم حكماً جديداً بالضرورة...» هذا (الاتجاه الاجتهادى) الذى سماه بعض الفقهاء (تحوّل الاجتهاد) والذى يقوم على أساس الزمان والمكان والظروف والأحوال، هو الذى استلّ خيوطه (منهج الامام) هذا، وهذا لا يعنى بطبيعة الحال تغييراً فى حكم الشرع المقدس، بل المتغيّر هو موضوع الحكم؛ لأنّ (المقيّد عدم عند عدم قيده) كما يقول الذهن الفقهى، ولذلك فإنّ الحكم يمكن أن يتبدّل تبعاً لتبدّل الموضوع.

دوائر التغيير لدى الامام

وهنا نأتى الى إحصاء سريع لأهم الدوائر المغلقة التى سعى الامام لفكّ مغاليقها والانطلاق بها الى دوائر الفعل والتغيير وتجاوز دوائر التنظير والتحذير، لنأتى فى خاتمتها على أهم هذه الدوائر فى الفعل الحركى الاسلامى وهى دائرة الحج الابراهيمى حسب تعبيره رضوان اللّه عليه.

ويمكن القول: إن أول هذه الدوائر المغلقة هو الفصل بين الدين والسياسة،

ص: ۲۳۸

حيث انتقل الامام بعالم الدين من كونه (مفتياً) فى دار الافتاء أو موظفاً فى وزارة الأوقاف أو (عابداً) فى صومعة، الى مرجع للأمة وقائد للجماهير، وحاكم مبسوط اليد لتحكيم دين اللّه وتفعيل المشروع الاسلامى النهضوى الجديد...

وهذا يعنى أنّ الامام قدس سره استطاع أن يتخطى الكثير من الأطر التقليدية، التى انكمشت داخلها الحوزة العلمية، وكادت تخنقها فى جو من التشرنق والدوران حول الذات، وينتقل بالفكر الاسلامى من حالة التحجر والجمود والتقوقع الى آفاق واسعة فى الانفتاح والواقعية والشمول...

بكلمة أخرى استطاع الامام أن يتجاوز الواقع المتكلّس، ويقفز على المخطط الاستكبارى المدروس الذى أراد أو أريد به استغفال الشعوب الاسلامية واستهبالها، فنزل الى ميدان المعركة بوعى شمولى ثاقب وإرادة حديدية لا تخضع للتدجين ولا تنثنى أمام الابتزاز والإرهاب، فقال بوضوح كامل:

«إنّ المؤسسات الاستعمارية كلّها وسوست فى صدور الناس أنّ الدين لا يلتقى مع السياسة، والعلماء ليس لهم أن يتدخلوا فى الشؤون الاجتماعية، وليس من حق الفقهاء أن يعملوا لتقرير مصير الأمة، ومن المؤسف- والقول للامام طبعاً- أنّ البعض منا صدّق تلك الأباطيل، وقد تحقّق بهذا التصديق أكبر أمل تحلم به نفوس المستعمرين...».

وهذا يعنى أنّ الامام نسف القاعدة الغربية التى تدعو الى فصل الكنيسة عن السلطة؛ لأنّ الاسلام ليس كالمسيحية وأنّ علماء الاسلام ليسوا كالبابوات، وإذا صاروا مثلهم فسوف يحل بهم ما حلّ بأولئك... وباختصار شديد أنّ الغرب أراد للبابا أن يكون أباً روحياً لا علاقة له من قريب أو بعيد بشؤون الدولة وأمور الناس إلّامايخصّ الآثاموالذنوب والاستغفار و (صكوك الغفران) السيئة الصيت ...

ولكن ومع هذا الشدّ الأصيل لعدم فصل الدين عن السياسة، حذّر أشدّ الحذر من عدم انجرار العالم الدينى الى بحر السياسة الآسنة واصطياد أسماكه الميتة؛ لأنّ ذلك كما قال يؤدى الى خراب الدين والدنيا معاً... فقد كان دائم التحذير من

ص: ۲۳۹

الانجرار الى ألاعيب السياسة والسياسيين، وكثير التأكيد على تهذيب النفس وتزكيتها قبل الدخول فى دهاليز العمل السياسى... وكان يذكّر دائماً بأقوال الأئمة سلام اللَّه عليهم فى تحذيرهم الناس من حب الرئاسة وكيف أنّ «حب الرئاسة شاغل عن حب اللَّه» وأن (السلطة ماء آجن) و «من طلب الرئاسة هلك» و «ملعون من ترأّس» و «الرئاسة عطب» وأمثال ذلك.

أى أنّ الامام حاول التأكيد على الموازنة الدقيقة بين السياسة كهدف دنيوى رخيص، وبين كونها وسيلة ضرورية لإحقاق الحق وتحكيم الدين وإقامة المضيّع من حدوده وتعاليمه وقيمه...

هذا بشأن العلماء والسياسة، أما حول الأمة والسياسة، ودور الجماهير، فقد كان الامام الراحل دائم التأكيد على حضور الأمة فى الميدان وتحمّلها للمسؤولية فى خضم الصراع... وكان رضوان اللَّه عليه يراهن على المستضعفين؛ لأنهم مادة الثورة ووقودها ومعينها الذى لا ينضب، ويوصى بخدمة هؤلاء ورعايتهم...

ولعله لم يترك مناسبة إلّاوأكّد فيها على ما كان يسميه حضور الجماهير ورقابة الأمة، وكان يقول:

«ولولا حضوركم فى ساحة المواجهة لكانوا يسوّدون وجه ثورتكم فى العالم،.

إنكم بحضوركم الدائم أحبطتم مكائد أعدائكم... ليس هناك إثم أكبر من السكوت أمام أعداء الأمة... ولا توجد منحة إلهية أكبر من منحة حضوركم لمقاومة أعداء الثورة...».

انقذوا القرآن الكريم أولًا

وحين يقترب الامام قدس سره من شؤون العبادة وطقوسها المعروفة، خاصة فى كتاب العبادة الأول فى الاسلام (القرآن الكريم) نراه يتألم ألماً كبيراً وهويرى هذا الكتاب العظيم يتحول فى دوائر الناس والعلماء والسياسيين الى (رقيّة) يُعلق على صدور الفتيات، أو وسيلة تبرّك يوضع على الرفوف، أو وسيلة اصطياد للبسطاء

ص: ۲۴۰

عبر توظيف بعض نصوصه وتجاهل النصوص الأخرى، وفى أحسن الأحوال يتحول هذا الكتاب المقدس الى كتاب موتى يُقرأ على القبور وأيام الفواتح...

وليس كتاب أحياء.

يقول الامام فى هذا السياق:

«وقد عمدت الحكومات الشيطانية وبواسطة الحكومات المنحرفة التى تتظاهر كذباً بالارتباط بالاسلام، الى طبع القرآن الكريم بخط جميل وإرساله الى البلدان المختلفة، فيتم بذلك استغفال بعض الجهلة ممّن يتصورون أنّ هذا وحده يكفى...».

الى أن يعلن رأيه الواضح الصريح فى دور القرآن الكريم فى الحياة، ويدعو الى تحكيم حدوده وتعاليمه دون تعسف أو اجتزاء، ويصرخ بأعلى صوته يوماً قائلًا:

«إننا نريد إنقاذ القرآن الكريم من المقابر».

بهذا الفهم للقرآن الكريم وتكريس دوره فى حياة الناس، قيمةً ومنهجاً وثقافة، عقيدة ونظاماً، يأتى منهج الامام الراحل رداً واضحاً وصريحاً على أولئك الذين حاولوا إقصاء القرآن وتحنيط تعاليم السماء، ويأتى أيضاً تذكيراً صارخاً لأولئك الذين يريدون محاكمة (النص الدينى)- كما يقولون- حين يتهمون القرآن أنه أصبح شيئاً ثميناً فى ذاته، وبالأحرى أريد له أن يكون هكذا فيتألمون أو يتباكون قائلين:

«لقد تحول هذا النص المقدس الى شىء ثمين فى ذاته، وتمّ تشييئه فى الثقافة، فصار حلية للنساء ورقيّة للأطفال وزينة تعلّق على الحيطان، تُعرض الى جانب الفضيّات والذهبيات...».

الإمام الخمينى والحج الابراهيمى:

حين يأتى الإمام الخمينى الى الشعائر نرى له رؤية خاصة وفهماً خاصاً ميّزاه عن الكثير من العلماء والفقهاء... ويأتى هذا الفهم من إدراك الامام الى الدور

ص: ۲۴۱

العملى للشعار وليس فقط الى ظاهره وشكله...

ولعلّ الشغل الشاغل الذى استحوذ على فكر الامام وأثقل عليه همومه فى ايجاد معنى جديد لهذه الشعائر المقدسة هو رؤيته لمسألة الحج وما شخّص فيها من أبعاد إجتماعية مهمة جدّاً، أبعد بكثير مما كان يتصوّره الآخرون فى كونها ممارسة عبادية تنأى بالعبد الصالح بعيداً عن هموم الدنيا ومشاغلها وارتباطاتها...

نعم، كان الامام يقدر ما للحج من آثار معنوية ومعين روحى هائل وتزكية وتهذيب للنفوس لا حدود لهما، لما فى مشاعرها المقدسة من هيبة وأثر فى نفوس المؤمنين... ولكنه حاول أن يضيف الى ذلك المعنى الروحى معنىً اجتماعياً أغفله أو تغافل عنه الكثيرون ممن ينظرون الى الأمور بعين واحدة أو بُعدٍ واحد...

وكان أكثر ما أشار إليه الإمام وأكّده فى بياناته المتكررة الى حجاج بيت اللّه الحرام وتوضيح رؤيته فى فلسفة الحج، هو تحويل هذه الشعيرة الاسلامية الكبرى الى فعل عبادى حركى يقضى على ذلك (الفصام النكد) بين الدين والسياسة، من جهة، وبين العبادة فى بُعديها الروحى والاجتماعى من جهة أخرى...

هذا الموسم العبادى المقدس- فى وجهة نظر الإمام- الذى يجتمع فيه قرابة المليونى مسلم من مختلف أصقاع العالم الاسلامى، والذى شرعه البارى- عزّوجلّ- كملتقى عام للمسلمين يجب أن يتحول الى مؤتمر عالمى شعبى جماهيرى يتدارس فيه المسلمون همومهم وشجونهم، ويسعون من خلال دراسة أهدافه الى الانعتاق من جور الطواغيت والحكام الظلمة، وأن تتخطّى شعاريته حدود كونه طقساً عبادياً لتزكية النفس وتهذيبها رغم ما فى هذه التزكية والتهذيب من معانٍ عظيمة ودور مؤثر فى صياغة النفس الانسانية وإشعاعها.

جاء الامام لينسف الفهم التقليدى المتحجّر الذى يريد لهذه الفريضة الالهية أن تبقى طقساً عبادياً مجرّداً، لا يُعمق فيه وعى، ولا تتبلور فيه فكرة، ولا ينضج

ص: ۲۴۲

فيه رشد، ولا يتصعّد فيه شعار الى شعور... أراد الإمام أن يجعل من هذا الحج الابراهيمى- كما أراده خليل اللَّه ابراهيم عليه السلام- قياماً للناس جعل اللَّه الكعبة البيت الحرام قياماً للناس.

فكان- رضوان اللَّه عليه- يقول:

«إنّ على المسلمين الملتزمين الذين يجتمعون فى كلّ عام مرة واحدة فى المواقف الشريفة، ويؤدون واجباتهم الاسلامية فى هذا التجمع العام والحشد الالهى... وباندفاع خالص نحو اللَّه والقيم المعنوية والوفود على بيت اللَّه العتيق أن لا يغفلوا عن الجوانب السياسية والاجتماعية لهذه العبادة فى هذا الملتقى العبادى السياسى» ويضيف:

«على العلماء الأعلام والخطباء العظام أن ينبهوا المسلمين على مسائلهم السياسية وواجباتهم الخطيرة التى لو عملوا بها لنالوا الاستقلال الواقعى والحرية الحقيقية فى كنف الاسلام العزيز وقطعوا أيدى المستكبرين وأعادوا مجد الاسلام وعظمته».

ويقول الامام الخمينى فى مكان آخر من هذا البيان:

«فى هذا التجمع الالهى العظيم، الذى لا تستطيع أية قدرة سوى القدرة الأزلية للَّه تعالى أن تعقده، يتوجب على المسلمين أن يباشروا فى دراسة مشاكل المسلمين العامة ويبذلوا جهودهم بالتشاور لحلّها...».

فمن هذا الفهم الواعى لهذا المؤتمر الاسلامى الالهى الكبير، ينطلق الامام من محطة تغييرية كبرى يجدر بالمسلمين استثمارها فى تصعيد وعيهم ودراسة مشاكلهم والارتفاع الى مستوى مسؤوليتهم فى كونهم مستخلفين من قبل اللَّه تعالى على هذه الأرض فى إحقاق الحق وإقامة العدل...

وما دام هذا التجمع الالهى عالمياً- كما يرى الامام- وهو كذلك، فلماذا لا يجرى تدارس الوحدة الاسلامية؟ ولماذا يتواصل الطرْق على الخلافات بين المسلمين فى محاولات خبيثة لزرع الفتنة فى الصف الاسلامى؟ ولماذا لا يحجّم دور الحكام فى إذكاء نار الفتنة هذه؟

ص: ۲۴۳

الحج والوحدة بين المسلمين

يقول الامام متحرقاً فى هذا السياق:

«إنّ من أكبر هذه المشاكل وأكثرها أهمية، هى عدم الوحدة بين المسلمين، وإنّ بعض من يُسمّون بزعماء الدول الاسلامية هم أساس هذه المشكلة، إذ إنهم يقومون تماماً كما يقوم الجناة الطامعون باستغلال هذه الخلافات بين الشعوب والحكومات لصالحهم، فيرسّخون هذه الخلافات عن طريق عملائهم الذين لا يعرفون اللّه، وأكثر من ذلك كلما وضع أساس للوحدة بين المسلمين هبّ هؤلاء لمحاربته بكلّ ما أوتوا من قوة وعملوا على نشر بذور الفرقة والخلاف بين أبناء الأمة الاسلامية...».

ولعل أكثر هذه الخلافات أو الاثارات خبثاً ومكراً هو ما يثيره بعض وعاظ السلاطين حول بعض المسائل العبادية المذهبية، التى لا تخلّ بأصل العقيدة ولا تؤثر على جوهر الدين، وكيف أن بعض هؤلاء الوعاظ مثلًا ينشغلون فى مواسم الحج فى إثارة هذه النعرات الجانبية، فهذا يدعو اللّه باسم أوليائه وأنبيائه، وآخر لا يرضى بذلك؛ لأنّ المدعو هو اللّه تعالى وحده، وآخر يطلب الشفاعة بالوسيلة كما وردت فى القرآن الكريم وغريمه يؤاخذه على هذه الوسيلة ويعتبرها شركاً أو كفراً، وثالث يُقبّل قبر النبىّ مثلًا وصاحبه لا يرضى منه ذلك وهو يقبل القرآن الكريم مثلًا، وما الى ذلك من قناعات روحية وعاطفية لا تقتل فى الود قضية ولا تخلف ديناً جديداً أو عقيدة جديدة ما دام الربّ واحداً والنبىّ واحداً والقرآن واحداً والقبلة واحدة وكان اللّه يحب المحسنين.

ولم يكن الامام الخمينى قدس سره ليقول هذه الكلمات أو يؤكد على الوحدة الاسلامية بعبارات مجردة ويترك الأمور العملية على عواهنها كما يفعل الكثيرون، ولكنه- رضوان اللّه عليه- اقترب خطوات عملية أذهلت الخصوم وجعلتهم فى حيرة من أمرهم، فتراه مثلًا يُفتى بوجوب الصلاة خلف أئمة الجماعة فى مكة

ص: ۲۴۴

والمدينـة، وعـدم جواز الصـلاة خلف غيرهم فى الـديار المقدسـة رغم الخلافات الظاهريـة المزعومة بين الطائفتين المسـلمتين، ويُفتى كذلك بعدم الصـلاة على التربة الحسينية التى يعتبرها المسلمون الايرانيون شعاراً عظيماً لاستحضار التواضع والسجود على التراب كما صلى النبىّ صـلى الله عليه و آله فى مسجد المدينة... لئلا يثير حفيظة إخوانهم المسلمين الآخرين الذين لم يألفوا هذا الطقس... محاولًا جهـد إمكانه توصـية المؤمنين أن يكونوا يداً واحدة ضد أعداء الاسـلام وخاصة المسـتكبرين الذين لا يريدون للاسـلام عزّاً ولا لأهله وحدةً أو مجداً أو كرامة...

إثارة الخلافات فى الحج جريمة

ويروح الامام يندّد بأولئك الجناة الذين يحاولون شق الصف الاسلامى وتمزيق كلمة المسلمين الواحدة بقوله:

«إنّ إثارة الخلافات بين المـذاهب الاسـلامية تعتبر من الخطط الإجراميـة، التى تـدبّرها القوى المسـتفيدة من الخلافات بين المسـلمين، بالتعاون مع عملائها المنحرفين بمن فيهم وعاظ السلاطين الذين اسودت وجوههم أكثر من سلاطين الجور أنفسهم..».

ولعلّ أكثر ما كان يجرح قلب الامام قـدس سـره هو تلك المعزوفـة أو كلمـة الحقّ التى أريد بها الباطل، والترويج لها فى موسم الحج من قبـل بعض وعـاظ السـلاطين، وكيف كـانوا يوظفون ظاهرهـا أو معناهـا الظاهرى لإيقاع القطيعـة بين المسـلمين ومنعهم من الحوار وتجاذب الحديث وتدارس الهموم والمشاكل...

فكانوا يرفعون الآيـة القرآنيـة الكريمـة فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج شـعاراً لمنع أى حديث سياسـى أو اجتماعى يمرّ خلاله المسـلمون على آلامهم وأمالهم وتطلعاتهم، ويروحون يؤكـدون فقط وفقط على الجوانب العباديـة التى تنأى بالمسـلمين بعيداً عن أى حديث له علاقة بالأرض والواقع، وتُحرّضهم على

ص: ۲۴۵

التحليق والتحليق فقط فى ملكوت اللّه تعالى فى تلك الأجواء الروحانية العظيمة... وفى محاولات مقصودة لإبعادهم عن كلّ ما يثير اهتماماتهم بشعوبهم وأرضهم وأوطانهم وحكامهم وثرواتهم ووحدتهم وعزتهم...

هذا الشعار الذى أريد له أن يكون معولًا لتهديم كلّ حلقة حوار بنّاء بين المسلمين، ووصفه بأنه جدل وفسوق مقروناً بالرفث... جاء الامام ليحوّله الى جدل بالتى هى أحسن والى موعظة ودعوة كريمة لتلاقى المسلمين وحلّ مشاكلهم وحتى خلافاتهم بالكلمة الطيبة، وبعيداً عن السجال الفارغ والجدل المتهافت الذى لا يحل المشاكل فعلًا وإنّما يعقّدها ويُذكى نيرانها...

بل يمكن أن تكون خطورة هذا الشعار أكثر من ذلك الذى حجز القرآن فى المقابر، أو ذلك الذى راح يفسره ويوظف نصوصه لما يخدم أغراضه ومعالمه...

يقول الامام:

«إنّ هناك قضايا مؤسفة توجب البكاء عليها دماً... إنّ فقهاء البلاط الذين هم أسوأ من الطغاة اتخذوا من القرآن الكريم وسيلة للظلم وترويج الفساد وتسويغ أعمال الظلمة والمعاندين لإرادة الحق تعالى... فوا أسفاه، إنّ القرآن الكريم كتاب الهداية الربانى هذا، لم يُعد له من دور سوى فى المقابر والمآتم بسبب الأعداء المتآمرين...» وأكثر من ذلك- والقول للامام طبعاً- «وبسبب الأصدقاء الجهلة أيضاً، وبدل أن يكون محوراً لتوحيد المسلمين فى العالم ودستوراً لهم، أصبح هذا القرآن وسيلة للتفرقة وإثارة الفتن والخلافات...».

رسالة الحج امتداد لرسالة القرآن:

وفى سياق هذا الفهم الواعى لرسالة الحج يأتى الامام ليؤكد أنّ الدور المعوّل على هذا المؤتمر الالهى العالمى، لا يقلّ عن دور القرآن الكريم فى إحياء الأمة

ص: ۲۴۶

المسلمة واستنهاض مسؤوليتها فى الحركة والتغيير، اعتقاداً منه قدس سره أن القرآن كما هو كتاب هداية وحياة وليس كتاب موتى وقبور وفواتح فقط، فإنّ الحج هو الآخر كان وسيبقى مؤتمراً إسلامياً عالمياً لبناء الوحدة الاسلامية وتأكيد عزة المسلمين واستخلافهم أو ميراثهم لخلافة الأرض.

يقول الامام فى هذا السياق:

«الحج هو النداء السماوى لإيجاد وبناء المجتمع الجديد البعيد عن الرذائل المادية والمعنوية. إنّ الحج ومناسكه هو التجلّى الأعظم لحياة كريمة ومجتمع متكامل فى هذه الحياة الدنيا...» ويضيف:

«ومن ذلك المكان ومن ذلك الموقع الذى يتواصل فيه مجتمع المسلمين من أى قوميةٍ كانوا ويصبحون يداً واحدة، ينطلق أداء هذه الفريضة المباركة التى يجب أن يكون أداؤها وجوهرها توحيدياً إبراهيمياً محمدياً. إنّ الحج هو ساحة عرض ومرآة صادقة للاستعدادات والقابليات المادية والمعنوية للمسلمين. الحج كالقرآن يستفيد منه المجتمع، فالمفكرون والعارفون بآلام الأمة الاسلامية إذا ما فتحوا قلوبهم، ولم يهابوا الغوص عن قرب فى أحكامه وسياساته الاجتماعية سيصطادون الكثير من صدف هذا البحر، جواهر الهداية والرشد والحكمة والحرية، وسيرثون الى الأبد من زلال حكمته ومعارفه، ولكن ماذا نفعل؟».

وهنا يتأوه الإمام ويزفر زفرة مُرّة تعبّر عن لوعةٍ وحزن وألم، لما يراه من واقع المسلمين وابتعادهم عن جوهر الهداية هذا، فيقول:

«وأقولها بألم وحزن، إنّ الحج أصبح مهجوراً كالقرآن وبنفس النسبة التى اختفى فيها هذا الكتاب- كتاب الحياة والكمال والجمال- بسبب حجب النفس التى صنعناها بأيدينا ودفنّا هذا الكنز. كنز أسرار الخلقة، فكذلك الحج أصبح أسير هذا القدر، قدر أنّ الملايين من المسلمين يجتمعون كلّ سنة ويضعون

ص: ۲۴۷

أقدامهم محل قدم محمد وإبراهيم وإسماعيل وهاجر ولا يوجد أحد يسأل:

ماذا فعل إبراهيم ومحمد؟ وما هو هدفهما؟ ماذا طلبا منا؟ ماذا أرادا؟ وهذا مالا نفكر به مع الأسف الشديد».

بهذا التشخيص الدقيق للدور، وبهذه الرؤية الفاحصة لرسالة الحج يروح الامام الخمينى منظّراً ومفكراً حين يرى أن لابد من التنظير، والتنظير على الأقل، لإنقاذ المسلمين من هذا الواقع المؤلم.

الحج دون وعى ليس حجاً

يواصل الامام حديثه قائلًا:

«من المسلّم أن حجاً دون معرفة ووعى ودون روح ودون حركة ونهوض، وحجّاً دون براءة، وحجاً دون وحدة، وحجاً لا ينتج هدماً للكفر والشرك ليس حجاً. وخلاصة الأمر أنه يجب على جميع المسلمين السعى لأجل تجديد حياة الحج والقرآن وإعادتهما ثانية الى ساحة حياتهم، وعلى المحققين المؤمنين بالاسلام أن يبيّنوا التفاسير الصحيحة والواقعية لفلسفة الحج، ويرموا فى البحر كلّ نسيج الخرافات وادعاءات علماء البلاط».

ولم يكتف الامام بعرض هذا البُعد العملى لفلسفة الحج ودوره فى البناء الرسالى للشخصية الرسالية، بل راح الامام وفى مواطن كثيرة من بياناته وتوجيهاته يؤكد على البعد الآخر، وهو البعد الروحى والمعنوى، وهو ليس أقل من البعد الأول فى دوره وهدفيته فى بناء الشخصية الرسالية المتوازنة... إذ يقول قدس سره:

«إننى أوصى جميع العلماء المحترمين والكتاب والمتحدثين الملتزمين أن يوضحوا لجميع المسلمين وخاصة الحجاج منهم أهداف هذه الفريضة المقدسة. كما إنى أوصيهم بتعليم الحجاج مناسك الحج وكيفية أدائها بشكلها

ص: ۲۴۸

الصحيح حتى يكون عملهم خالياً من الأخطاء، وعدم الاكتفاء بأننا أدينا الفريضة وأنجزنا الواجب كيفما كان، فإنّ الأخطاء فى هذه الفريضة تترك آثاراً وإشكالات على صحتها قد تكلفهم وقتاً وجهداً مضاعفاً لتصحيحها...».

الحج عبادة ورسالة

ومن قراءة متأنية لبعض كلمات وخطابات الامام العميقة حول الحج كفريضة عبادية ذات بُعد اجتماعى وسياسى يكتشف المحلل أن الامام لم يفصل بين السماء والأرض، ولم تتضخّم لديه حالة على أخرى، فكما تراه هائماً عرفانياً فى ملكوت السماء عاشقاً لقدرة اللّه غارقاً فى محبته تراه فى الجانب الآخر غارقاً فى حب الناس مستشعراً همومهم متحسساً لآلامهم وأوجاعهم يحثّ السير لتحقيق العدل والحرية لبنى الانسان مستلّاً عمقاً اجتماعياً من هذه العبادة، ووعياً سياسياً تغييراً من تلك...

لنستمع الى الامام وهو يقول:

«عندما تلفظون لبيك اللهم لبيك، قولوا: لا، لجميع الأصنام، واصرخوا: لا، لكل الطواغيت الكبار والصغار...».

وهو بهذا يجسد الوحدانية الكبرى للّه‌تعالى والألوهية المطلقة له سبحانه...

فالتلبية للّه‌وحده هى رفض لكلّ الآلهة المزيفة الأخرى، والتوحيد المطلق لقدرته جلّ وعلا هى الرفض المطلق لكلّ الأصنام البشرية،... وعبارة (اللّه أكبر) هى الأخرى تعنى أنّ اللّه سبحانه وتعالى أكبر من كلّ كبير... وأن تكبيره سبحانه هو تصغير لكلّ الطواغيت الصغار والكبار وخاصة الكبار...

وهو بهذا المعنى يريد أن يؤكد أن هؤلاء الطواغيت والحكام الظلمة إنما هم أصنام وأوثان يجب سحقهم، وأنّ على المسلمين أن يعتمدوا على القدرة المطلقة للبارى تعالى وأن يتمردوا على الحكومات الظالمة ويحققوا عزتهم وكرامتهم من

ص: ۲۴۹

خلال الانتماء لقدرة اللَّه وإرادته وجبروته...

وهو فى مكان آخر، وحين يؤكد على مسيرة البراءة من المشركين والظالمين إنما يريد أن يعلن موقفه الواضح والصريح من أصنام الشرق والغرب وأذنابهم وأذيالهم، فنراه يقول:

«وأثناء الطواف فى حرم اللَّه حيث يتجلّى العشق الالهى، أخلوا قلوبكم من الآخرين، وطهّروا أرواحكم من أى خوف لغير اللَّه، وفى موازاة العشق الالهى، تبرأوا من الأصنام الكبيرة والصغيرة، وكذلك من الطواغيت وعملائهم وأزلامهم، حيث إنّ اللَّه تعالى ومحبيه تبرأوا منهم، وإنّ جميع أحرار العالم بريئون منهم...

وكلما اقترب الامام من تفاصيل الممارسة العبادية للحج، يضع لكلّ ممارسة هدفاً اجتماعياً يَشدّ المتعبد خلالها بما وراءها من أجل العمل فى سبيل عيال اللَّه وعدم الاكتفاء بالارتواء الروحى الذى هو بحد ذاته حالة نفسية عظيمة تشدّ العبد الى خالقه والتأمل بما وراء هذا الخلق والهدف منه ونهايته ومآله... يقول الامام:

«وحين تلمسون الحجر الأسود اعقدوا البيعة مع اللَّه أن تكونوا أعداءً لأعداء اللَّه ورسوله والصالحين والأحرار، ومطيعين وعبيداً له، أينما كنتم، لا تحنوا رؤوسكم واطردوا الخوف من قلوبكم، واعلموا أنّ أعداء اللَّه وعلى رأسهم الشيطان الأكبر جبناء وإنْ كانوا متفوقين فى قتل البشر وجرائمهم وجناياتهم».

وفى توجيهه أو تفسيره للسعى بين الصفا والمروة، يشير الامام الى هدف اجتماعى آخر أقل ما فيه هو الوصول الى المعشوق والسعى للالتحام به، وتجاوز كلّ المعشوقات الطينية الدنيوية التى تشدّ الانسان إلى الأرض وتُخذله وتُمسك به، وتُثقله بهموم تافهة وطموحات صغيرة...

يقول الامام فى هذا الصدد:

«أثناء سعيكم بين الصفا والمروة اسعوا سعى من يريد الوصول الى المحبوب،

ص: ۲۵۰

حتى إذا ما وجدتموه هانت كلّ الأمور الدنيوية، وانتهت كلّ الشكوك والترددات... وحينها تزول كلّ المخاوف والحبائل الشيطانية والارتباطات القلبية المادية، فتزهر الحرية، وتنكسر القيود الشيطانية والطاغوتية التى أسرت عباد اللّه...».

وهكذا فى كلّ موقف ومشهد من مواقف ومشاهد المشاعر المشرفة فى مسيرة الحج الكبرى، فترى للامام رؤية فى المشعر الحرام وفى عرفات، ورؤية فى منى وعند الرجم ورؤية عند الطواف وعند الذبح... وكلّها تؤكد على ضرورة استشعار الانسان لدوره على هذه الأرض وأنه خليفة اللّه وعليه أداء الرسالة وحمل الأمانة باخلاص وصدق... يقول الامام:

«سيروا الى المشعر الحرام وعرفات وأنتم فى حالة إحساس وعرفان، كونوا فى كلّ موقف مطمئنى القلب لوعد اللّه الحق بإقامة حكم المستضعفين. وبسكون وهدوء فكّروا بآيات اللّه الحق، وفكّروا بتخليص المحرومين والمستضعفين من براثن الاستكبار العالمى، واطلبوا من الحق تعالى فى تلك المواقف الكريمة تحقيق سبل النجاة. بعد ذلك عندما تذهبون الى منى اطلبوا هناك أن تتحقق الآمال الحقّة حيثالتضحية هناك بأثمنوأحبشىءفى طريق المحبوب المطلق، واعلموا أنه ما لم تتجاوزوا هذه الرغبات، التى أعلاها حبّ النفس وحبّ الدنيا التابع لها، فسوف لن تصلوا الى المحبوب المطلق. وفى هذا الحال ارجموا الشيطان، واطردوا الشيطان من أنفسكم، وكرّروا رجم الشيطان فىمواقع مختلفة بناءً علىالأوامر الالهية، لدفع شرّ الشياطين وأبنائهم عنكم ...».

لاحظ استخدام الامام لكلمة (الشياطين) و (أبنائهم) ولاحظ التوجيه المتعمّد للتأمل فى شياطين الأرض الذين هم أسوأ من شياطين السماء...، ولاحظ أيضاً كم استغرق (المستضعفون والمحرومون) من فكر الامام وهمّه، والذين هم ضحية الطواغيت وأبناء الشياطين.. هؤلاء الفقراء والحفاة- كما يسميهم الإمام- الذين

ص: ۲۵۱

يصنعون الحياة وهى محرّمة عليهم...

ولم يكتفِ الامام بأن يقف مع مناسك الحج وقفة عبادية بحتة لا علاقة لها مع دنيا الناس، ولكنه حاول إشعار ضيوف الرحمن بأن يتأدبوا بآداب اللَّه ويتخلقوا بأخلاق رسول اللَّه وأن يكونوا رحمانيين فى تعاملهم مع عباد اللَّه، وأن يحفظوا كرامة الاسلام بمحاربة أعداء الدين وتبنّى هموم المسلمين...

يقول الامام قدس سره:

إن هذا السفر الالهى الذى تذهبون إليه، وترجمون فيه الشيطان، وإذا ما كنتم- لا سمح اللَّه- من جنود الشيطان سترجمون أنفسكم أيضاً، يجب أن تكونوا فى هذا السفر رحمانيين، وأن تصبحوا رحمانيين، حتى يكون رجمكم رجم أتباع الرحمن وجنوده للشيطان، وأنتم تقفون فى تلك المواقف والمواضع الكريمة.

معاذ اللَّه أن يتلوث وقوفكم بشىء خلاف الشرع، أو يتلوث بالمعصية، ففضلًا عن إراقة ماء الوجه أمام اللَّه تسقط كرامة الاسلام فى الدنيا. إنّ كرامة الاسلام اليوم متقومة بوجودكم، أنتم الذين تذهبون جماعات جماعات الى تلك المواقف الكريمة ويشاهدكم سائر المسلمين فى شتى بقاع العالم...».

الحج هدف ووسيلة

وكما هى بقية العبادات فى نظر الامام، فإنّ الحج ليس هدفاً بحد ذاته وإلا «فما أكثر الضجيج وأقل الحجيج» كما جاء فى روايات أهل البيت عليهم السلام والحج ليس تزكية للنفس فقط من براثن الآثام وشرورها فقط، فقد يكون المرء أحياناً ولياً من أولياء اللَّه فى طهره ونظافته ونزاهته، ولكنه ليس ولياً لعباد اللَّه... أى أنه عمل لتزكية نفسه وتطهيرها ولم يعمل لتطهير الآخرين وتزكيتهم وتغيير نفوسهم، وربما يكون المرء نقياً طاهراً فى ذاته ولكنه لا علاقة له بالناس ولا شأن له بهم... يدور حول نفسه وذاته صائناً نفسه مهذباً لها، ولكن ليس له همٌّ غير همّ نفسه ولا يهمه غير تهذيب عائلته وبيته ولو تلوّث جو الأرض ومن عليها.

ص: ۲۵۲

هـذه الإثـارة الحساسـة، حـاول الامام الخمينى التحرش بها ودعوة الناس والعلماء خاصـة للتأمل فى آثارها الاجتماعيـة، ويتساءل كيف ولمـاذا بعـث اللّه تعـالى الأنبيـاء مبشـرين ومنـذرين؟ وكيـف دعـا سبحانه فى العديـد مـن آيـاته البينـات حـتى الى القتـال فى سـبيل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان؟

قال تعالى:

وما لكم لا تقاتلون فى سبيل اللّه والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان.

وهـذا يعنى أنّ العبادات والأحكام والأنبياء والرسل والكتب السـماوية كلّها جاءت من أجل الناس والمستضـعفين منهم خاصة الذين لا حول لهم ولا قوة، والذين يسحقهم طغيان الجبابرة وفرعونيتهم وغلظتهم...

فالمستضـعفون فى نظر الامام هم صناع التاريخ ووقود الثورات، وهم «أراذلنا» فى مصطلح القرآن الكريم، الذين اتبعوا الأنبياء وانتصروا لهم، وكانوا ندّاً للطغاة والمسـتكبرين على امتداد التاريخ... هم الحفاة الجياع القادرون على المواجهة ونزف الدم، فهم لا يساومون ولا يجاملون ولا يـداهنون... فهم الـذين أوصـى القرآن الكريم بإطعامهم وتقـديم الأضـحية لهم فى موسم الحـج والبدن جعلناها لكم من شعائر اللّه لكم فيها خير فاذكروا اسم اللّه عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر.

ولم يرفع الامـام الخمينى شـعار المحرومين والمستضـعفين للتجـارة والاسـتهلاك كمـا يفعـل السياسـيون عادة لتوظيف الشارع وتعبئته وتحشـيده باتجـاه هـدف خـاص، وإنمـا كـان ذلـك من مقـدمات وبواكير أفكاره... فهو القائل فى بـدايات محاضـراته حول الحكومة الاسلامية قبل سنين من انتصار ثورته:

«وقد اسـتعان المستعمرون بعملاء لهم فى بلادنا من أجل تنفيذ مآربهم الاقتصادية الجائرة، فنتج عن ذلك أن يوجد مئات الملايين من الناس الجياع

ص: ۲۵۳

يفتقدون أبسط الوسائل الصحية والتعليمية، وفى مقابلهم أفراد ذو ثراء فاحش وفساد عريض... وهؤلاء الجياع هم دائماً فى كفاح مستمر ضد الحكام الجائرين، أما نحن فمكلّفون بانقاذ المحرومين والمظلومين، وإننا مأمورون بإعانتهم لمناوأة الظالمين وفقاً لما جاء فى وصية أمير المؤمنين عليه السلام «كونوا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً».

واستمر الامام على هذا النهج طيلة أيام حكمه حتى قيل فيه: إنه لم يوجد عالم أو مرجع مبسوط اليد على امتداد عصر الغيبة، يحب شعبه ويناصر المحرومين، ويعيش همومهم وآلامهم مثل هذا الرجل. أما أقواله الشهيرة «أنا خادم وليس قائداً» و «أنا أقبل أيادى شباب التعبئة» و «إنّ شعرة واحدة من جلد فقير تساوى كل أصحاب القصور» معروفة للقاصى والدانى، وأنه مثّل تلك المفاهيم مصاديق واضحة فى شخصيته وزهده وتواضعه... فكان الوريث الطبيعى والامتداد الحق لذلك الوصى الزاهد العظيم، الذى عاش ورحل مثالًا رائعاً لقولته الخالدة:

«ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندى من عفطة عنز» أى أنه لم يكن يطلق هذه العبارات كشعارات ولافتات للاستهلاك والارتشاء السياسى، ولكنه كان مصداقاً رائعاً لما قاله وأطلقه وتحدّث به قبل ثورته وبعدها، فهو القائل لنجله (أحمد): «لا تكتب لى بعد الآن (اسحب خط هاتف وأنا أدفع) فأنت أيضاً لا تملك شيئاً سوى أموال الفقراء.

احترز من الصرف الزائد».

وهذا حينما كان الامام فى النجف الأشرف، ونجله فى ايران، وكذلك ما تذكره سيرته العطرة عن عدم وجود هاتف فى بيته فى النجف، وكانت زوجته كلما أرادت الاتصال بأولادها فى ايران كان عليها أن تخرج الى دائرة البريد فى حر الصيف أو تذهب بخجل الى بيت الشيخ نصر اللّه الخلخالى لتستأذنه فى الاتصال بايران، وكان الرجل يرحّب بها ويستقبلها بتكريم...

أما بعد انتصار الثورة وأثناءها فمعروفة مواقفه ومصاديق زهده بشكل

ص: ۲۵۴

مذهل، فهو الذى رفض أن يسكن بيتاً فخماً فى قم أو طهران، ورفض أن تخصص له سيارة خاصة فارهة، واعترض يوماً حين جىء له بسيارة أخرى غير السيارة الشعبية المصنوعة فى ايران، كما اعترض بشدّة يوماً حين اكتشف أنه قد تمّ إعداد ملجإ له خاص يحميه من القصف الجوى أثناء الحرب وأمر بتهديم الملجإ.

أما ما كتبه حول مسألة تَركته فتتوقف عنده العقول والقلوب معاً، ولا يعبّر فقط عن موقف استنهاضىّ أو تعبوى، وإنما عن موقف رسالى ومبدَئى مسؤول لا يقوله ولا يفعله إلّاالأولياء والأوصياء.

هاك ما كتبه فى هذا الصدد وأكّده على كلّ مسؤولى الدولة الاسلامية:

«... وإنى أعلم بوضوح كامل، أنه ليس لابنى أحمد فى أى بنك داخلى أو خارجى، أو أية مؤسسة أى سهم أو مبلغ، وأنه لا يملك فى أى مكان لا فى الداخل ولا فى الخارج أية أرضٍ، زراعية أو غير زراعية، ولا يملك أى مبنىً أو عقار أو ما شابه ذلك...».

ويضيف:

«وإذا ما تبيّن من بعدى أنه يملك أياً من ذلك فى الداخل أو الخارج فإنّ على الحكومة أن تصادرها منه بإجازة فقيه ذلك الزمان، أو تحاكمه (لاحظ)...

والمؤمل أن يراعى مسؤولو الجمهورية الاسلامية دوماً الضوابط وأن يحترزوا من الروابط...».

وعلى نفس النهج وفى نفس الاتجاه جاءت كلماتٌ معبّرة فى وصيته لنجله المذكور (رحمة اللّه عليه) ووصيته له بالمستضعفين والمحرومين، حين كتب له يوماً يقول:

«... آمل أن يرضى اللّه تعالى عنه (عن أحمد) كما رضى عنه أبوه، وأن يوفّق ما وسعه ذلك فى خدمة المحرومين والمستضعفين، الشريحة الأكثر استحقاقاً لتقديم الخدمة من بين جماهير الشعب التى أوصى بها الاسلام...».

ص: ۲۵۵

وفى وصيهٔ أخرى له لنجله أيضاً جاء فيها:

«... وكذلك من الأمور المهمهٔ التى ينبغى أن أوصى بها: هى الحرص على إعانهٔ عباد اللّه خصوصاً المحرومين والمستضعفين المظلومين الذين لا ملاذ لهم إلّااللّه تعالى، فابذل ما وسعك فى خدمتهم، فذلك خير زاد وهو من أفضل الأعمال عند اللّه، ومن أفضل الخدمات التى تقدّم للاسلام العظيم...»

وأضاف:

«اسعَ فى خدمهٔ المظلومين وفى حمايتهم مقابل المستكبرين الظلمهٔ»

وكأنه بذلك تجسيد جديد بل إحياء عظيم لذلك الصوت السماوى (صوت العدالهٔ الانسانيهٔ) الخالد، صوت أمير المؤمنين عليه السلام حين كتب لواليه على البصرهٔ يقول:

«... أأقنع من نفسى بأن يقال عنى أمير المؤمنين ولا أشاركهم فى مكاره الدهر، أو أكون لهم أسوهٔ فى جشوبهٔ العيش...».

وهكذا، ولئن افتتح الامام الخمينى مقدمات ثورته بهذا الحب للمستضعفين ومواساته لهم، فإنه عاش لهم نفس الحب ونفس المواساهٔ فى ثورته وأيام حكمه، ولم ينس ذلك فى معظم بياناته حتى لحجاج بيت اللّه الحرام وهم يؤدون مناسك حجهم الأعظم، ولم ينس أن يترك رؤيته الصريحهٔ فى هؤلاء المحرومين حتى فى وصيته الخالدهٔ، حيث كتب يقول:

«... إنّ كلّ ما فعلته الحكومات المتسلطهٔ كان من أجل مصالحها الشخصيهٔ أو الفئويهٔ، أو من أجل رفاهيهٔ فئهٔ المترفين والأعيان، فيما كانت الفئهٔ المظلومهٔ وسكنهٔ الأكواخ محرومين من كلّ مواهب الحياهٔ، حتى الماء والخبز وما يُقام به الأوَد، وهؤلاء المساكين مسخّرون لخدمهٔ تلك الفئهٔ المترفهٔ المنغمسهٔ فى الملذّات...»

وأضاف مستصرخاً هؤلاء المحرومين أنفسهم:

ص: ۲۵۶

«وليحرص أبناء الشعب النبيل أن يكون رئيس الجمهورية والنوّاب من الذين تحسّسوا حرمان المستضعفين والمحرومين وظلامتهم، وممن يسعون الى رفاهيتهم، وليسوا من الرأسماليين والإقطاع والأعيان المترفين الغارقين فى الملذات والشهوات، الذين لا يستطيعون إدراك معنى الحرمان وآلام الجياع والحفاة...».

اذن، ومن خلاصة ما أراد الامام تركيزه فى صناعة هدفية العبادة والحكم، والبحث عن مقاصد الشريعة كما يقولون، فى الحج وغير الحج، هو تأكيده على هؤلاء المستضعفين، وأنهم الأبناء البررة للثورة الذين يعطون عادةً ولا يأخذون، أو أنهم يعطون أضعاف ما يأخذون، أى عكس غيرهم الذين يأخذون ولا يعطون، وإذا أعطوا فإنهم يأخذون أضعاف ما يعطون... وهذا هو الفرق بين من يدرك أنّ السلطة عطاء وتضحية ونزف، وغيره الذى يفهم أنها سلطة وفرصة وحصة وسهم...

من هذه المنطلقات ووفق هذه الأسس والمقاييس كان الامام الخمينى يحاول خلق ثقافة جماهيرية ورأى عام إسلامى يُشعر الأمة الاسلامية أولًا بمسؤوليتها ويستنهضها على الارتفاع لتلك المسؤولية والنهوض بها... فلم يجد ملتقى أفضل من ملتقى الحج الابراهيمى هذا الذى يقوم فيه مئات الألوف من المسلمين الآتين لبيت اللّه العتيق من كلّ فج عميق، وجميعهم يرددون: «لبيك اللهم لبيك، لبّيك لا شريك لك لبيك... إنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»..

ومن هذه التلبية ومن هذا الجو الروحى المفعم بمعانى الطهر والصفاء وتزكية الروح... أراد الامام أن ينتقل بالفرد المسلم الى أبعد من هذه التزكية، وأن ينتقل بالعبادة من شأنها الفردى العظيم بحد ذاته الى شأنها الاجتماعى الفاعل ودورها فى تغيير الأمم والشعوب...

فما دام المسلمون فى هذا المؤتمر قلباً واحداً وروحاً واحدة، وتوجهاً واحداً

ص: ۲۵۷

نحو أنبياء اللّه، تجمعهم كعبة واحدة وقرآن واحد ونبيّ واحد وقبل كلّ ذلك وبعده ربّ واحد، فلماذا لا تستثمر هذه المعانى العالية لخلق إرادة إسلامية واحدة ومنهج إسلامى واحد وعلى الأقل لمواجهة أعداء الاسلام أو ممن يريدون تمزيق المسلمين بإثارة الفتن والثغرات، والنأى بهم بعيداً عن همومهم وآلامهم وآمالهم وتطلعاتهم...

كان الامام بهذا الاتجاه، وكان فى تعاطيه مع مسألة الحج بهذا المستوى من الشعور بالمسؤولية... مسيرة من الفرد الى المطلق، وسفر من الخلق الى الحق، وعودة ناضجة وراشدة لتحقيق رسالية المرء المسلم فى كونه خليفة اللّه فى أرضه ومستخلفاً عاهد ربّه على حمل رسالته حين ناءت بحملها الأرض والسماء والجبال...

إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان...

الهوامش:

ص: ۲۵۸

ص: ۲۵۹

أثر الحج فی الوحدة السیاسیة والاجتماعیة والثقافیة

اثر الحج فی الوحدة السیاسیة والاجتماعیة والثقافیة

أثر الحج فی الوحدة السیاسیة والاجتماعیة والثقافیة

عفیف النابلسی

قال تعالی: وأذن فی الناس بالحجّ یأتوک رجالًا وعلی کل ضامرٍ یأتین من کلّ فجٍّ عمیق* لیشهدوا منافع لهم ویذکروا اسم اللّه فی أیامٍ معلوماتٍ علی ما رزقهم من بهیمة الأنعام فکلوا منها وأطعموا البائس الفقیر.

فکرة الحج هی فکرة تمهیدیة وصورة مصغّرة عن یوم القیامة، بل قل هی القیامة الصغری، وهذه الفکرة تقوم بدور تذکیری کبیر لإعادة الوضع الإنسانی إلی الدائرة الوسط.

فهی أوّلًا: تثیر بنفس الإنسان حالة القرب من النهایة، والتی تجعل الإنسان یراجع حساباته فی الظروف الصعبة، ویتراجع عن أمور کثیرة، ویتنازل عنها لحساب المستقبل.

وثانیاً: تعید إلی الإنسان ذاکرة الإنسانیة فی نفسه، بل قل العبودیة الصحیحة؛ لأنّ البیئة الاجتماعیة خلقت فیه میلًا حسیّاً ونفسیّاً إلی عبودیات کثیرة، فهو مستغرق فی أشکال العبودیات یهتف لها ویعمل من أجلها ویفلسفها ویدعو إلی العمل تحت

ص: ۲۶۰

شعاراتها، کما نسمع أو نقرأ عن أشکال متعددة وعناوین متنوعة من فلسفة انجرار الإنسانیة إلی عبودیة البشر والحجر والشجر والذات والهوی والجند والرئاسة والقومیة والعرقیة والأصالة والعراقة والکرامة والمصلحة، فهو عندما یحرم ویلبّی ویصلّی وینوی ویطوف ویسعی ویقصر ویقف ویبیت ویرجم ویذبح ویحلق، یستشعر عظمة اللّه فی نفسه، ویستصغر کلّ الآلهة المصطنعة وأنصاف الآلهة الذین جعلوا أنفسهم أرباباً تُعبد من دون اللّه.

نعم فی مناسک الحج یتجاوز الإنسان ذاته ویهاجر کهوفها المظلمة ویترک أنانیته وکبریاءه؛ لیحقق أفضل المنطلقات الجدیدة لها، أو قل لیبنی ذاته من جدید، ویرکز وجوده من جدید ویؤمن ذاته من جدید. ویعلی ذاته من جدید؛ لأنه کما ساهم فی إنزال الذات وإسقاطها من لباس الکبریاء والعظمة والأنانیة کما أعلی شأنها وأقام بناءها علی أتمّ أساس وأکرم مستقبل.

ثالثاً: أن الحج یثیر فی النفس فکرة التجرّد والصعود إلی العلو حیث الشوق الکلی والاستغراق المجموعی فی انس القداسة حیث للنفس أشواق تتجاوز فیها المعانی التی تعرفها عبر الحب والعلم والمجد والأمر والنهی والکرامة، ولا یتم ذلک إلا من خلال المعاناة والقرب المعنوی، الذی یجعل دائرة الذات أقرب إلی دائرة الاتحاد الکلّی.

لا ـ یدرک الشوق إلا من یکابده ولا الصبابة إلّامن یعانیها رابعاً: الحج علی مستوی الدائرة الشخصیة أنفع عمل شاق لراحة النفس یکتسب الإنسان فیها قوّة ومناعة وطاقة روحیة وإضاءة نفسیة تعکس صورته وطاقته علی حیاته الفردیة والعائلیة والاجتماعیة، ویتحوّل الفرد من خلال هذا السلوک إلی امّة؛ لأنه یحقّق جوهر العبودیة، ولم یصل سیّدنا إبراهیم علیه السلام إلی هذا المستوی الرفیع من السلوک، أو قل لم یتحوّل إلی امّة إلّابعد أن مرَّ بمرحلة الاحتراق الکامل والانصهار التام بنار المحبّة الإلهیة إنّ إبراهیم کان أمّةً قانتاًللّه.

خامساً: عندما یصل الإنسان إلی المستوی العالی، ویطهر هذه الذات

ص: ۲۶۱

الأمّارة بالسوء ينتقل إلى حبّ الآخرين ويعمل من أجل إسعادهم، فهو يذوب جوعاً وشوقاً فی محبتهم وخدمتهم، ويعمل جاهداً من أجل راحتهم، وإذا أصبح الإنسان كذلك، ذابت من نفسه كلّ الفوارق القومية والعرقية والقبلية واللونية، ونظر إلى بقية المسلمين بمنظار عالمی لا- يفرق بين أرض وأرض وجنس وجنس وعرق وعرق ومذهب وآخر وعاد هذا الفرد يشكِّل امّة بكلّ ما لها من أحاسيس ومشاعر عامة وطموحات وتطلّعات كبيرة.

وأتذكّر أننی عندما تشرّفت قبل عشرين سنة إلى بيت اللّه الحرام وشاهدت عن كثب كيف أن الملايين من المسلمين ترمق بنظر الذلّة إلى العزيز الجبّار، والجميع يطلبون منه تعالى فكاك رقابهم من النار، ذهبت من نفسی كلّ الرواسب الجغرافية والعرقية والمذهبية، ورحت معهم أدعو إلى اللّه أن يغفر لهؤلاء جميعاً. شعرت أننی أحبّهم بصدق؛ لأنهم يحبّون معبودی ومعشوقی بصدق.

وعندما تصل الامّة إلى هذا المستوى من الصدق فی التعاطی، وتذوب فيها كلّ الرواسب الجليدية، وتلتقی على محبة اللّه سيكون عندئذ للُامّة شأن آخر.

سادساً: عندما يحجّ الإنسان بوعی سوف يشعر أنه كان معزولًا عن أهله ومحبّيه، وأنّ له اخوة إذا استحكمت علاقته الطيبة معهم سوف يكون علاقة من الوشائج الثقافية على مستوى طموحات الامّة ثقافياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً، ومن الأخطاء أن يحاول بعضٌ جرّ الناس لنفسه بدل أن يجرّها لربّه، ويقدِّم لها ثقافةً شخصية بدل أن يزوّدهم بثقافةٍ إلهية.

لأنه عندما يحجّ ويری هذه الحشود البشرية الدولية العالمية كلّها تلتقی فی الكعبة المشرّفة وتؤدّی نفس المناسك، وتعبِّر المناسك عن مدلول وحدوی كبير سوف يشعر الحاج بأدائه لهذه الفريضة أنه مل الزمن ومل التاريخ ومل المستقبل، وأنّ المعاناة التی يلاقيها من طواغيت زمانه ما هی إلّامشقّة صغيرة، وبعدها الراحة الكبرى فی وصول الإسلام المحمّدی الأصيل كما

ص: ۲۶۲

نادی به الإمام الخمینی قدس سره- إلی قیادة الامّة، وإحلال العدل الإلهی والسلام العالمی المنشود.

سابعاً: أنّ تأمّلات المسیرة الاجتماعیة من خلال التصور الإسلامی سوف تظهر بشکل أبرز وأوضح: لأنّ المجتمع الإسلامی المجتمع النخبة یعیش حالة الانصهار الکامل فی المشاعر والعواطف والشعائر، وهذا المجتمع المتماسک القوی، والذی یتفاعل مع ربّه وأولیائه فی هذه الرحلة هو الذی سوف ینقل هذا التفاعل من خلال عملیة تلقیحیة تنتج زروعاً نامیة الثمار فی الحقل الاجتماعی الکبیر. وأفضل وسیلة لتربیة الامة التعلیم السلوکی، الذی یجسّد الفکرة عملیاً من خلال صبر القیادة أو صلاتبها أو ذوبانها فی الحق.

وما کانت المسیرة الإسلامیة فی حیاة الرسول الأقدس لتنتصر لولا وجود المجتمع القدوة صاحب السلوک النبیل والفارق فی الایثار والمحبة وخدمة الناس، وکذلک ما کانت المسیرة الالهیة لتنتصر لولا وجود عناصر ذابت فی الوحدة والامة وأعطت کلّ ما عندها، وتنازلت عن الکثیر الکثیر من وجودها وحضورها فی المسرح وتحت الشعاع.

ثامناً: أنّ المدخل السیاسی المهم لحرکة الامّة یؤخذ من قوّتها وتمسّکها بشعائرها ومقدّساتها، وأنّه بلغ من حفاظ الامّة علی مقدّساتها أن تبذل النفس والنفیس للوصول إلیها، فهاهم المسلمون الیوم وقبل الیوم یستجیبون لنداء اللّه، ویأتون علی کلّ ضامر ومن کلّ فجّ عمیق فی الجو والبر والبحر، لیعلنوا موقفاً موحّداً وهدفاً موحّداً وثقافة موحّدة وشعائر موحّدة.

وعلی الامّة فی هذا المجال أن تضع القیادة الموحّدة، وتتّخذ المواقف الموحدة من أعدائها، وتحدّد العداوات علی ضوء المرحلة أو علی ضوء الهدف.

والعدوّ جاد لانتزاع الکعبة من ید المسلمین؛ لأنّ بقاءها یشکّل نقطة التمرکز الکلّی الدائم والعام، ویضفی علیها قوّة إضافیة یصعب علی العدو اختزان هذه المفاهیم.

بعد کلّ هذه المقدّمات، لابد لی من إثارة بعض النقاط الهامّة:

ص: ۲۶۳

أوّلًا: أنّ الاستکبار العالمی یرصد بحذر شدید کلّ تحرکات الامة، ویعمل جادّاً بکلّ ما یملک من وسائل متطوّرة لإیجاد حالة الشرخ بین المذاهب الإسلامیة کما أوجد حالة الشرخ بین القومیات والعرقیات، لهذا فإنّ هذا المؤتمر من الوسائل الأساسیة للوقوف فی وجه المدّ المعادی خارجیاً وداخلیاً، وعلی علماء المذاهب الإسلامیة تقع مسؤولیة توعیة الامّة أمام المخاطر المحدقة بها، وأنّ کلّ فرد یثیر فی مجتمعه أی نوع من التشنجات والتعقیدات المذهبیة یجب الوقوف فی وجهه ومناقشته وبیان خطورة ذلک، وأنّ عمله یصبّ فی خانة الاستکبار العالمی، وأنه یضرّ بالوحدة الإسلامیة، وبالتالی یضرّ طائفته ونفسه.

ثانیاً: علی علماء المذاهب الإسلامیة أن یدفعوا بعجلة اعتراف المذاهب بعضها ببعض، ولا یسمح لمن یکفر المسلمین لأی‌بادرة أن تتغلغل أفکاره بینهم، بل یجب علیهم العمل السریع، وتربیة الناشئة علی عملیة التسامح المذهبی بین أهل القبلة کما فعل وأفتی المرحوم الشیخ محمود شلتوت، وکما فعل الإمام المقدس الإمام الخمینی قدس سره فی دعوته إلی الوحدة بین المسلمین، وتجنب ما یثیر البغضاء بینهم..

ثالثاً: دعوة الحرکة الإسلامیة العالمیة للالتحاق بالموقف السیاسی العام، الذی تتبناه الجمهوریة الإسلامیة رائدة المسلمین، حیث لا یجوز أمام التغیرات السیاسیة المتلاحقة أن نستفرد کلّ حرکة علی حدة، بل لابد من ضم کلّ حرکة إلی اخری؛ لتتحول الحزمة الصغیرة إلی عود قوی وغلیظ یصعب علی الآخرین کسره فضلًا عن عصره.

رابعاً: أنّ مسیرة البراءة من المشرکین، التی جدّدها الإمام الخمینی وراح یدعو لها بکلّ قوّة، تعنی رفض اطروحة الشرک، لأنها تتباین مع الحالة الإسلامیة العالمیة تبایناً کلّیاً فی تصوراتها وحضارتها ورفض کلّ لوازمها، التی منها رفض نظریة السلام الأمریکیة والصلح مع العدوّ الصهیونی الغاشم.

خامساً: جعل القدس قضیة الإسلام المرکزیة، التی تتمحور حولها کلّ قضایا

ص: ۲۶۴

الامة المصیریة مثل قضیة المسلمین فی فلسطین ولبنان وافغانستان والعراق وکشمیر والبوسنة والهرسک والفلبین والصومال وغیرها.

إعادة النظر فی اسلوب الحرکات الإسلامیة والاستفادة من خبرات الجمهوریة الإسلامیة والعمل علی إسقاط الأنظمة الأمریکیة التی تحکم بالحدید والنار.

سادساً: توجیه الرأی العام الإسلامی لدعم الانتفاضة الإسلامیة الباسلة فی فلسطین و المقاومة الإسلامیة فی جبل عامل لبنان.

الهوامش:

ص: ۲۶۵

أبعاد الحجّ فی فکر الإمام الخمینی (قدّس سرّه)

ابعاد الحجّ فی فکر الامام الخمینی قدس سره

أبعاد الحجّ فی فکر الإمام الخمینی قدس سره

ماجدة المؤمن

مقدمة

أبعاد الحج بعیدة المدی، متعددة المیزات، واحدة الهدف فی شمولیتها للفکرة الواقعیة للفرد والجماعة والمجتمع، وهذه الأبعاد لا تسمح فی خصائصها الذاتیة بالانفصال عن الأخری، یمتزج بعضها مع بعض فی کلّ الجوانب المادیة والروحیة والمعنویة، فلیس هناک بُعد مادی تختنق فیه الروح داخل الأسوار المادیة، أو عنصر روحی تحلّق فیه النفس بعیداً عن المادة فی حالة تجریدیة، بل یمتزج فیه- فی الحج- البُعد الروحی مع البُعد التربوی، وهکذا مع البُعد السیاسی والعبادی والاقتصادی والثقافی والفقهی والاخلاقی بحیث تکمّل بعضها البعض؛ لتصبح کتلة واحدة لا تقبل الانفکاک أو التباعد أو التجرید...

وسنتحدث عن هذه الأبعاد بعد تفکیکها وقراءتها منفصلة الواحدة عن الأخری؛ لغرض منهجی یبین الفروقات بین البعد الواحد والآخر، وإلّا فالبُعد الواحد لا شک هو ذائب فی الأبعاد الأخری لا یمکن فصله عنها.

ص: ۲۶۶

سنقرأ أبعاد الحج فی أفکار الامام الخمینی- قدّس سرّه الشریف- واحداً واحداً وبُعداً بُعداً؛ لنعرف قیمة الحج المتکامل الذی یجمع بین الأعمال المادیة والمعانی الروحیة والهدف الإلهی السامی، الذی أراده اللّه تعالی من عباده الملتزمین المخلصین.

تمهید

علی الرغم من أنّ الحج فی الدین الاسلامی الحنیف واحد فی أغلب تفاصیله، یتفق المسلمون علی صلبه ویختلفون فی بعض تفاصیله، إلّاأنّ الامام الخمینی تمیز بین أقرانه العلماء برأیه المتمیز فی هذه الفریضة الاسلامیة.

فما أتی به الامام الخمینی- قدّس سرّه الشریف- أن أخرجه من جموده وروتینیته، مضیفاً الیه معنیً حیویاً جدیداً، فقد نادی بتفعیله وتحریکه علی الساحة الاسلامیة.

فلم یعد ذلک الحج الطقوسی أو الشعائری الجامد، لم یعد مجرّد سفر وحرکات محددة وأداء واجبات معینة، وإنما صار إضافة الی الأداء الصحیح لمراسمه وأرکانه، صار فریضة فاعلة لعبت دوراً حیویاً فی الحیاة الاجتماعیة والسیاسیة والنفسیة و... الخ.

فأصبح من خلال أفکار الامام الخمینی- قدّس سرّه الشریف- أقرب الی المؤتمر السنوی الحامل لرسالة الوعی والإرشاد، یستضیء المسلمون بضوئه فی حیاتهم وسلوکهم، دنیا وآخرة.

وهذا طرح جدید علی مستوی الحیاة الاسلامیة الدینیة اقتضتها ضرورة التجدید وإصلاح حال الامة الاسلامیة التی جمدت علی أفکار لابد من تفعیلها.

وما قام به الامام الخمینی- قدّس سرّه الشریف- لم یکن غریباً علی الدین الاسلامی ولا جدیداً علی أصالته، وإنما هو الرجوع الی الأصالة، والعودة الی الصورة الأصلیة التی أتی بها رسولنا الأکرم محمد صلی الله علیه و آله، منفذاً ما أمر اللّه تعالی،

ص: ۲۶۷

ومطبقاً فريضة إسلامية لابد من تطبيقها تطبيقاً دينياً صحيحاً منسجماً مع هدفها الأصلى الأول.

وهكذا دخل الامام الخمينى الى أبعاد الحج المتنوعة واحداً واحداً ليدرسها ويقرأها من جديد، ويقدمها للأمة حالة اسلامية عصرية ضرورية، فقد سلط الضوء على البُعد الفقهى للحج والبُعد الروحى والعبادى وكذلك البُعد التربوى والأخلاقى وأعطى للبُعد السياسى الثقل الأكبر والنصيب الأوفر، وتحدث عن البُعد الاجتماعى والثقافى والاقتصادى، كما سنرى لاحقاً:

البعد الفقهى

البعد الفقهى عند الامام الخمينى- قدّس سرّه الشريف- أحد الأبعاد الكثيرة للحج التى تحدث عنها الامام فى مؤلفاته، وهو لا شك بُعد أساسى ومحورى قامت الأبعاد الأخرى لدعمه وتركيزه، وقد أعطاه المعنى الحقيقى، فكان الحج الذى تحدث عنه الامام هو الحج الحقيقى المتكامل المعنى والأبعاد.

وحيث إنّ البعد الفقهى محور وأساس لكلّ الأبعاد الأخرى، وجدنا من المناسب الحديث عنه- مختصراً- كما ورد فى كتبه الفقهية...

فقد جاء عنه: أن الحج ركن من أركان الدين وتركه من الكبائر، وأنه واجب على من استجمع الشرائط كالبلوغ والعقل والمال والصحة وغيرها، وتجب فى أصل الشرع مرة واحدة فى العمر، ووجوبه فورى مع تحقق الشرائط، بمعنى وجوب المبادرة اليه فى العام الأول من الاستطاعة ولا يجوز تأخيره.

ولو توقف إدراكه على مقدمات بعد حصول الاستطاعة فى السفر وتهيئة أسبابه، وجب تحصيلها على وجه يدركه فى ذلك العام.

ويجب الحج بالنذر والعهد واليمين، ويشترط فى انعقادها: البلوغ والعقل والقصد والاختيار.

ويحج عن الميت إذا أوصى بالحج أُخرج من الأصل لو كان واجباً، إلّاأن

ص: ۲۶۸

یصرح بخروجه من الثلث فأخرج منه، فإن لم یفِ أخرج الزائد من الأصل، ولا فرق فی الخروج من الأصل بین حجة الاسلام والحج النذری والافسادی، وأُخرج من الثلث لو کان ندبیاً، ولو لم یعلم کونه واجباً أو مندوباً فمع قیام قرینة أو تحقق انصراف فهو، وإلّا فیخرج من الثلث إلّاأن یعلم وجوبه علیه سابقاً وشک فی أدائه فمن الأصل.

ویستحب لفاقد الشرائط من البلوغ والاستطاعة وغیرهما أن یحج مهما أمکن، وکذا من أتی بحجه الواجب، ویستحب تکراره بل فی کلّ سنة بل یکره ترکه خمس سنین متوالیة، ویستحب نیة العود الیه عند الخروج من مکه، ویکره نیة عدمه.

ویستحب التبرع بالحج عن الأقارب وغیرهم أحیاءً وأمواتاً، وکذا عن المعصومین علیهم السلام أحیاءً وأمواتاً، والطواف عنهم علیهم السلام وعن غیرهم أمواتاً وأحیاءً مع عدم حضورهم فی مکة أو کونهم معذورین، ویستحب احجاج الغیر استطاع أم لا، ویجوز إعطاء الزکاة لمن لا یستطیع الحج لیحج بها.

ویستحب لمن لیس له زاد وراحلة أن یستقرض ویحج إذا کان واثقاً بالوفاء، ویستحب کثرة الانفاق فی الحج، والحج أفضل من الصدقة بنفقته.

لا یجوز الحج بالمال الحرام، ویجوز بالمشتبه کجوائز الظلمة مع عدم العلم بحرمتها، ویجوز إهداء ثواب الحج الی الغیر بعد الفراغ عنه، کما یجوز أن یکون ذلک من نیته قبل الشروع فیه، ویستحب لمن لا مال له یحج به أن یأتی بالحج ولو باجارة نفسه عن غیره.

اما محرمات الحج ومکروهاته فقد ذکر الامام رضی الله عنه أن المحرمات هی:

الأول: صید البر اصطیاداً وأکلًا- ولو صاده محل- وإشارة ودلالة واغلاقاً وذبحاً وفرخاً وبیضه، فلو ذبحه کان میتة علی المشهور وهو أحوط، والطیور حتی الجراد بحکم الصید البری، والأحوط ترک قتل الزنبور والنحل إن لم یقصد إیذاءه.

ص: ۲۶۹

الثانی: النساء وطأً وتقبیلًا ولمساً ونظراً بشهوة، بل کل لذة وتمتع منها.

الثالث: إیقاع العقد لنفسه أو لغیره ولو کان محلًا، وشهادة العقد وإقامتها علیه علی الأحوط ولو تحملها محلًا وإن لا یبعد جوازها، ولو عقد لنفسه فی حال الاحرام حرمت علیه دائماً مع علمه بالحکم، ولو جهله فالعقد باطل لکن لا تحرم علیه دائماً. والأحوط ذلک سیما مع المقاربة.

الرابع: الاستمناء بیده أو غیرها بأیة وسیلة، فإن أمنی فعلیه بدنة والأحوط بطلان ما یوجب الجماع بطلانه..

الخامس: الطیب بأنواعه حتی الکافور صبغاً وإطلاءً وبخوراً علی بدنه أو لباسه، ولا یجوز لبس ما فیه رائحته، ولا أکل ما فیه الطیب کالزعفران، والأقوی عدم حرمة الزنجبیل والدارصینی..

السادس: حرمة لبس المخیط للرجال کالقمیص والسراویل والقباء وأشباهها.

السابع: لا یجوز الاکتحال بالسواد إن کان فیه الزینة وإن لم یقصدها.

الثامن: النظر فی المرآة من غیر فرق بین الرجل والمرأة.

التاسع: لبس ما یستر جمیع ظهر القدم کالخف والجورب وغیرهما، ویختص ذلک بالرجال ولا یحرم علی النساء.

العاشر: الفسوق، ولا یختص بالکذب، بل یشمل السباب والمفاخرة أیضاً ولیس فی الفسوق کفارة، بل یجب التوبة عنه، ویستحب الکفارة بشیء، والاحسن الذبح.

الحادی عشر: الجدال وهوقول «لا واللّه» و «بلی واللّه» وکلّ ما هو مرادف لذلک فی أی لغة کان إذا کان فی مقام إثبات أمر أو نفیه.

الثانی عشر: قتل هوام الجسد من القملة والبرغوث ونحوهما، وکذا هوام جسد سائر الحیوانات...

ص: ۲۷۰

الثالث عشر: لبس الخاتم للزينة واستعمال الحناء للزينة...

الرابع عشر: لبس المرأة الحلى للزينة، ولا بأس بما كانت معتادة به قبل الاحرام.

الخامس عشر: التدهين وإن لم يكن فيه طيب.

السادس عشر: إزالة الشعر كثيره وقليله حتى شعرة واحدة عن الرأس واللحية.

السابع عشر: تغطية الرجل رأسه بكلّ ما يغطيه حتى الحشيش والحناء والطين.

الثامن عشر: تغطية المرأة وجهها بنقاب وبرقع ونحوهما.

التاسع عشر: التظليل فوق الرأس للرجال دون النساء...

العشرون: إخراج الدم من بدنه ولو بنحو الخدش أو المسواك..

الحادى والعشرون: قلم الأظفار وقصّها كلًا أو بعضاً من اليد أو الرجل.

الثانى والعشرون: قلع الضرس ولو لم يدم على الأحوط، وفيه شاة على الأحوط.

الثالث والعشرون: قلع الشجر والحشيش النابتين فى الحرم وقطعهما.

الرابع والعشرون: لبس السلاح على الأحوط كالسيف والخنجر والطبنجة ونحوها مما هو آلات الحرب إلّالضرورة، ويكره حمل السلاح إذا لم يلبسه إن كان ظاهراً، والأحوط الترك.

هذا وقد تناول الامام- قدّس سرّه الشريف- كلّ ما يتعلق بالحج من الناحية الفقهية، لكننا نكتف بهذا المقدار ولغرض منهجي.

والجدير بالذكر أنّ الامام ركز على أهم مقومات الحج، كما ركّز العلماء الآخرون عليه، لكنه تميز أن فرّع من تلك المقومات الشرعية أبعاداً أبعدَ مدًى من المادة الفقهية والشرعية، فأقام أسساً جديدة جمع من خلال المادة الفقهية بالحياة

ص: ۲۷۱

العملیـة للانسان، فأخرج بـذلک الحـج من الفکرة النظریـة المجردة الی واقع عملی یعیشه الانسان بکلّ جوارحه، وذلک هو ما مارسـهُ الأئمة من أهل البیت علیهم السـلام عندما کانوا یعتبرون الحج قاعدة حوار فکری وساحة تربویة ومدرسة علم ومعرفة لکل أبعاد الحیاة وساحة صـراع مع شـیاطین الانس والجن، بل کانوا علیهم السـلام یعتبرون الحج الساحة التی یریدون للأمة المسـلمة أن تسیر فی خطّها الاسلامی المستقیم، فی خطة توجیهیة عملیة شاملة.

البُعد العبادی والروحی

المؤمن الصادق الطموح یجهـد نفسه فی أداء مناسک الحج بشـکل متقن وصـحیح وبنفسٍ طاهرة متعلقة بخالقها ومعبودها؛ لأنّ نفسـه تنظر الی المرآة الالهیـة قبل أن تنظر الی المرآة الاجتماعیـة والاقتصادیـة وغیرهما... بحیث یکون سـلوکه الـذاتی والـداخلی والروحی مطابقاً للخطاب الشرعی وأذن فی الناس بالحج یأتوک رجالًا وعلی کلّ ضامرٍ یأتین من کلّ فج عمیق.

وقـد وجه الامام الخمینی- قـدّس سرّه الشـریف- خطابات عدیدة فی هذا المجال؛ لیبین أنّ علی الحاج أن یطهّر نفسه ویخلی قلبه من کـلّ شـیء إلّاحب اللَّه والطاعـة والخضوع له، وأنه یجب علیه أن یربط روحه بمعبوده الواحـد الأحـد، فقـد قال رضـی الله عنه محـدثاً الحجیج:

«عندما تلفظون لبیک اللهم لبیک، قولوا: لا، لجمیع الاصنام، واصرخوا: لا، لکلّ الطواغیت الکبار والصغار، وأثناء الطواف فی حرم اللَّه حیث یتجلی العشق الالـهی، اخلوا قلوبکم من الآخرین، وطهروا أرواحکم من أی خوف لغیر اللَّه. وفی موازاة العشق الإلهی، تبرأوا من الأصـنام الکبیرة والصـغیرة والطواغیت وعملائهم وأزلامهم، من حیث أنّ اللَّه تعالی ومحبّیه تبرّوا منهم، وإنّ جمیع أحرار العالم بریئون منهم، وأثناء سـعیکم بین الصـفا والمروة اسعوا سعی من یرید الوصول الی المحبوب، حتی إذا ما وجدتموه هانت کلّ الامور الدنیویة، وتنتهی کلّ الشکوک والترددات. وتزول کل المخاوف والحبائل

ص: ۲۷۲

الشیطانیة والارتباطات المادیة.

وحین تلمسون الحجر الأسود أعقدوا البیعة مع اللّه أن تکونوا أعداء لأعداء اللّه ورسوله والصالحین والأحرار، ومطیعین وعبیداً له، أینما کنتم وکیفما کنتم، لا تحنوا رؤوسکم واطردوا الخوف من قلوبکم، واعلموا أنّ أعداء اللّه وعلی رأسهم الشیطان الأکبر جبناء، وإن کانوا متفوقین فی قتل البشر وفی جرائمهم وجناياتهم.

ویسترسل الامام رضی الله عنه فی حدیثه للحجیج مذکرهم بالاطمئنان القلبی الحاصل من الحالة العرفانیة التی یعیشها العبد من معبوده ومحبوبه قائلًا:

سیروا الی المشعر الحرام وعرفات وأنتم فی حالة إحساس وعرفان، وکونوا فی أی موقف مطمئنی القلب لوعد اللّه الحق بإقامة حکم المستضعفین، وبسکون وهدوء فکّروا بآیات اللّه الحق، وفکّروا بتخلیص المحرومین والمستضعفین من براثن الاستکبار العالمی، واطلبوا من الحق تعالی فی تلک المواقف الکریمة تحقیق سُبل النجاة. بعد ذلک عندما تذهبون الی منی أُطلبوا هناک أن تتحقق الآمال الحقّة حیث التضحیة هناک بأثمن وأحب شیء فی طریق المحبوب المطلق، وأعلموا أنه ما لم تتجاوزا هذه الرغبات، التی أعلاها حبّ النفس وحبّ الدنیا التابع لها، فسوف لن تصلوا الی المحبوب المطلق. وفی هذا الحال ارجموا الشیطان. واطردوا الشیطان من أنفسکم، وکرروا رجم الشیطان فی مواقع مختلفة بناءً علی الأوامر الإلهیة؛ لدفع شرّ الشیاطین وأبنائهم عنهم.

هذا وقد أکّد الامام رضی الله عنه مراراً وتکراراً أنّ هذا السفر سفر إلهی ولیس سفراً عادیاً مادیاً مجرّداً، وأنّ المراتب المعنویة للحج هی رأس مال الحیاة الخالدة وهی التی تقرّب الانسان من افق التوحید والتنزیه، وأنّه لن یحصل علیها الحاج ما لم یطبق أحکام وقوانین الحج العبادیة بشکل صحیح وحسن. وحرفاً بحرف، وإذا دفن الحاج فی عالم النسیان الجوانب المعنویة فلا یظن أنه قادر علی التخلص والتحرر من مخالب شیطان النفس، وما دام فی أسر وقید ذاته وأهوائه النفسیة فلن یستطیع جهاداً فی سبیل اللّه ودفاعاً عن حرماته تعالی...

ص: ۲۷۳

ومن الجدیر بالمعرفة أنّ روح الحاج من خلال المراسم العبادیة تسمو وترتفع الی أعلی درجات الکمال النفسی والروحی مع المعبود المحبوب من خلال تطبیق المناسک بالشکل الصحیح المتقن ومن خلال الأدعیة والخوف والانسجام والتضرع والبکاء، خصوصاً عندما یشعر الحاج أنه من أناس یخافون الخالق ویهابونه فی بیته وحرمه الشریف. یقول الامام رضی الله عنه: «اعلموا جمیعاً أنّ البعد السیاسی والاجتماعی للحج لا یتحقق إلّابعد أن یتحقق البُعد المعنوی».

فالبُعد المعنوی هو الدافع والوازع للمسلم یدفعه نحو الأبعاد الأخری بالشکل الذی یرضی اللَّه جلَّ وعلا...

البُعد التربوی والاخلاقی

مناسک الحج ومراسمه ما هی إلّادورة تدریبیة تربویة للنفس والروح والبدن علی السواء لصنع انسان الحیاة الحرّ فی فکره وإرادته وفی حرکة الحیاة من حوله غیر منقادٍ لأعداء اللَّه شیاطین الانس والجنّ کبیرهم وصغیرهم.

فالافعال العبادیة والتروک والالتزامات، کلّ هذه التعابیر الجسدیة والنفسیة وسیلة من وسائل انتظام الخُلق وسموه ککیان روحی فکری أخلاقی عبادی متمیز، ولهذا نجد الامام رضی الله عنه اهتم بهذا الجانب؛ لأنه الوسیلة الناجعة لارتقاء المسلم الأبعاد الأخری، فقد جاء عنه قدس سره:

«فی المواقیت الإلهیة والمقامات المقدسة، فی جوار بیت اللَّه الملیء بالبرکات، راعوا آداب الحضور فی الساحة المقدسة للعلیّ العظیم، وحرّروا قلوبکم أیها الحجاج الأعزاء من جمیع الارتباطات المتعلقة بغیر اللَّه...».

وفی محلٍ آخر بیّن الامام رضی الله عنه أنّ الحجاج الحقیقین الواعیین المعتبرین یرجعون الی أوطانهم حاملین الأخلاق المفروضة علیهم بالحج وکأنها ملکة تأصلت بروحهم والتصقت بتصرفاتهم، فیقول رضی الله عنه:

«وبنبذهم ما یمایزهم من اللون والقومیة والأصل، یعودون الی أرضهم وبیتهم

ص: ۲۷۴

الأول، وبمراعاتهم للأخلاق الاسلامیة الکریمة، وتجنبهم للجدال ومظاهر الزینة، یجسدون صفاء الأخوة الاسلامیة ومظهر وحدة الأمّة المحمدیة».

ففی الحج یتعود المسلم الإلفة، والتعارف عن طریق السفر والاختلاط، فتنمو لدیه الروح الاجتماعیة، وتتهذب ملکاته الأخلاقیة، عن طریق هذه الممارسة التربویة، والتفاعل البشری الرائع، الذی یشهده فی الحج، بأرقی درجات الالتزام، والاستقامة السلوکیة، من خلال المناسک والمراسم الشرعیة. وکثیر ما یتغیر الانسان الی الأفضل، فهو یربی- أیالحج- النفس علی السلوک الصالح ویقضی علی النوازع السلبیة لدی الانسان المسلم الملتزم الصادق مع اللَّه ومع نفسه، فیتعود الحاج علی الصبر، واحتمال المشاق والصعاب، اضافة الی تعوده من خلال المعاشرة علی حسن الخلق والصدق واتساع الصدر للمجاملة والنقاش أو المجادلة والحوار مع الحجاج الآخرین، ویتعود اللطف، والتواضع، واللین، وحسن المحادثة، والتعاطف، والکرم، والامتناع عن: الکذب، والخصومة والغیبة والنمیمة والتکبر، والعظمة، والجدال وغیرها حیث قال تعالی: فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فی الحج.

وهذه النواهی فی الحج تساهم فی بناء شخصیة المسلم، وتعمل علی اعادة تنظیمها، وتصحیح مسیرتها فی الحیاة، وتسد وجهتها ومسارها الی اللَّه تعالی...

وتزرع فی النفس مکارم الاخلاق وتقودها الی استقامة السلوک، وحسن المعاشرة...

فقد قال الامام الخمینی قدس سره مخاطباً الحجاج حاثاً علی مکارم الاخلاق:

«أخرجوا من قلوبکم غیر حب اللَّه ونوّروها بأنوار التجلیات الالهیة، حتی تکون الأعمال والمناسک فی سیرها الی اللَّه ملیئة بمضمون الحج الابراهیمی وبعده بالحج المحمدی، وبمقدار تخفیف الحمل من أفعال الطبیعة یسلم الجمیع من أوزار المنی والمنیة، وبحمل ثقل معرفة الحق وعشق المحبوب تعودون الی

ص: ۲۷۵

أوطانكم، وتجلبون للأصدقاء هدايا النعم الإلهية الأزلية بدل الهدايا المادية الفانية، وبقبضات مليئة بالقيم الاسلامية التى بعث لأجلها الأنبياء العظام من ابراهيم خليل اللّه الى محمد حبيب اللّه صلى اللّه عليهم وآلهم أجمعين...».

وقال فى مكارم الأخلاق وتربية النفس ايضاً:

«... تلتحقون بالرفاق عشّاق الشهادة. هذه القيم والدوافع التى تحرّر الانسان من أسر النفس الأمارة بالسوء، وتنجّى من الارتباط بالشرق والغرب، وتوصل الى شجرة الزيتون المباركة اللاشرقية واللاغربية».

البُعد السياسى

إنّ أغلب خطابات الامام رضى الله عنه السنوية لحجاج بيت اللّه الحرام كانت تتناول البُعد السياسى بالخصوص بعد انتصار الثورة الاسلامية فى ايران... كان يعرض فيها قضايا الأمة الكبرى ومشاكلها، مستنهضاً المسلمين الى وجوب التحرك الشامل للتصدى بها، داعياً إياهم الى الوحدة فى العمل والصف والأهداف تحت راية الاسلام للتخلص من الظلم والاستضعاف والتخلف والتبعية للاستكبار العالمى، والسعى الى تحقيق ما من شأنه تعزيز ونشر قيم اللّه وأحكامه فى الأرض.

يقول الامام الخمينى قدس سره: «هناك عوامل سياسية عديدة وراء عقد الاجتماعات والمجامع وخاصة اجتماع الحج القيم، والتى منها التعرف على المشاكل الأساسية والقضايا السياسية للاسلام والمسلمين، ولا يمكن ذلك إلّاباجتماع رجال الدين والمفكرين والملتزمين الزائرين لبيت اللّه الحرام، وذلك بعرض وبتبادل الآراء لإيجاد الحلول، وفى العودة الى البلدان الاسلامية يعرضونها فى المجامع العامة ويسعون فى رفع وحل مشاكلهم».

كان موسم الحج فرصة نادرة؛ ليوصل الامام قدس سره فكره النهضوى لجميع مسلمى العالم، فكان يناشد المسلمين فى موسم الحج قائلًا:

ص: ۲۷۶

«ماذا دهاکم یا مسلمی العالم، أنتم الذین استطعتم أن تحطموا القوی العظمی فی صدر الاسلام مع قلة عددکم، وأوجدتُم الأمة الاسلامیة الکبری، والیوم مع ما یقارب من ملیار نسمة وامتلاککم للثروات الکبیرة، التی هی أکبر حربة أمام الأعداء، أصبحتم هکذا أذلاء ضعفاء! هل تعلمون أنّ جمیع مصائبکم ناشئة من الاختلاف والتفرقة بین رُؤساء بلادکم وبالتالی بینکم أنفسکم.

قوموا من أماکنکم واحملوا القرآن الکریم بأیدیکم واخضعوا لأمر اللّه تعالی؛ لکی تعیدوا مجد الإسلام العزیز وعظمته. تعالوا واستمعوا الی موعظة واحدة من اللّه عندما یقول: قل إنّما أعظکم بواحدة أن تقوموا للّهمثنی وفرادی.

قوموا جمیعاً للّهقیاماً فردیاً لمواجهة جنود الشیطان فی باطنکم وقیاماً جماعیاً أمام القوی الشیطانیة؛ لذا کان القیام إلهیاً وکانت النهضة للّهوهی منتصرة.

یا زوار بیت اللّه: اتحدوا معاً فی المواقف والمشاعر الإلهیة، واطلبوا من اللّه تعالی غلبة الاسلام والمسلمین ومستضعفی العالم.

أیها المسلمون وأیها المستضعفون فی العالم؛ تعاضدوا وتوجهوا الی اللّه العظیم والجأوا الی الاسلام وانتفضوا ضد المستکبرین ومنتهکی حقوق الشعوب.

ولا نستغرب من الامام رضی الله عنه بصفته مرجعاً دینیاً أن یتجه هذا الاتجاه فی مفهوم الحج وواقعه العملی، فإنه کما قال د. سمیر سلیمان: «إنّ هذه الطروحات التی رأی الامام موسم الحج من خلالها هی- من غیر شک- انعطاف مفهومی کبیر فی اتجاه العودة الی الینابیع والاصول الاسلامیة التی لم تکن عبادة الحج فیها إلّامصادر طروحات الامام ومرجعها، فلم یکن الحج أیام النبی صلی الله علیه و آله إلّافی الإطار الذی أعاد الامام رسمه وربطه بالمتغیرات الزمنیة والاجتماعیة والسیاسیة المستجدة، فکان له فی رسول اللّه صلی الله علیه و آله أسوة حسنة عندما قام بمفرده لیرفع لواء التوحید لصالح المستضعفین، فی وجه عبدة الاصنام والمستکبرین».

وقد کان الامام رضی الله عنه جاداً ومخلصاً فی توجیه المسلمین کافة وتحویل الحج الی

ص: ۲۷۷

مؤتمر اسلامی عام، تعرض فیه المشاکل الصعبة التی یعانیها العالم الاسلامی فی کل بقاع العالم، کقضیة فلسطین وغیرها، ومعالجة کل القضایا بصدق وإخلاص ووفاء...

ولکن کانت الظروف أقوی من أن تأخذ هذه الخطوة مجراها الطبیعی، فقد قوبلت بالضغط والتعتیم والتشویه والتضیق من قبل الاستکبار العالمی.

«ولو رجع المسلمون الی الماضی قلیلًا، الی ما عانی النبی الأکرم صلی الله علیه و آله وأئمة الهدی من الغربة لأجل دین الحق وازهاق الباطل، لقد استقاموا ووقفوا ولم یهابوا أو یجزعوا علی کثرة التهم والإهانات التی کالتها ألسنة أمثال أبی لهب وأبی جهل وأبی سفیان. وفی نفس الوقت استمروا وأکملوا طریقهم مع وجود الحصار الاقتصادی فی شعب أبی طالب، ولم یستسلموا ولم یهنوا، ومن بعدها تحمّلوا الهجرة والغربة ومراراتها وآلامها فی سبیل دعوة الحق، وتبلیغ رسالة اللَّه وتواجدوا فی الحروب المتتالیة وغیر المتکافئة، رغم المؤامرات وکثرة المنافقین، قاموا بهدایة وإرشاد الناس بهمة عالیة وصلبة حیث شهدت صخور وحصی مکّة والمدینة وصحاریها وجبالها وأزقتها وأسواقها آثار تبلیغ رسالتهم.

وإذا ما رفعنا الستار وکشفنا النقاب عن سرّ ورمز تحقق فاستقم کما أمرت لعرف وعلم زوّار بیت اللَّه الحرام کم سعی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله لأجل هدایتنا وحصول المسلمین علی الجنّة».

البُعد الاجتماعی

الحج ذلک المؤتمر الکبیر الذی یجتمع فیه الملایین من المسلمین فی کلّ عام، وأغلبهم حریصٌ علی أن یکون علی أتم أشکال الطهارة البدنیة والروحیة، ولا شک أن هؤلاء الأفراد- بسبب شروط الحج فی البلوغ والعقل- لدیهم القابلیة الفکریة والاستعداد الروحی والذاتی علی استیعاب وتقبل شروط ومفردات التغیر الاجتماعی...

یقول الامام الخمینی قدس سره فی هذا المجال: «اعلموا أیها المسلمون، أن هذا التجمع

ص: ۲۷۸

الکبیر، الذی ینعقد کلّ عام بأمر من اللَّه تبارک وتعالی، یفرض علیکم- بصفتکم أمة مؤمنة ذات عقیدة راسخة- أن تبذلوا جهودکم فی سبیل تحقیق أهداف الاسلام السامیة وشریعته الغراء، وفی سبیل تقدم المسلمین وتضامنهم ووحدتهم الشاملة».

وهذا المؤتمر الالهی لا یعطی ثماره ولا یسمو الی الهدف الاسلامی المطلوب، إلّا إذا عرف الحاضرون فیه والمدعوون الیه کیف یتصرفون ویستخدمونه «لتبادل الآراء فی حل مشاکلهم العامة أولًا، ومشاکل بلادهم الاسلامیة ثانیاً، ولیتعرفوا علی ما یحلّ بإخوانهم المسلمین فی بلادهم من أسالیب المستعمر، وماذا یجری علیهم من مصائب وآلام» و «الآن حیث یجتمع مسلمو العالم من البلاد المختلفة حول کعبة الآمال وحج بیت اللَّه؛ للقیام بهذه الفریضة الإلهیة العظیمة، وعقد هذا المؤتمر الاسلامی الکبیر فی هذه الأیام المبارکة، فإنّ علی المسلمین الذین یتحملون رسالة اللَّه تعالی، أن یستفیدوا من المحتوی السیاسی والاجتماعی للحج بالاضافة الی المحتوی العبادی منه ولا یکتفوا بالمظهر».

وقد دعا الامامُ المسلمین فی کافة قارات العالم المدعوین الی مؤتمر السماء وحثهم علی الوحدة الاسلامیة ووحدة الکلمة والتعاون والاعتصام بحبل اللَّه المتین وعدم التفرقة قائلًا: «أیها المسلمون فی العالم ویا أتباع مبدإ التوحید: إنّ سبب کلّ المشاکل فی البلاد الاسلامیة هو اختلاف الکلمة وعدم التعاون، ورمز الانتصار هو وحدة الکلمة وایجاد التعاون. قال تعالی فی جملة واحدة: واعتصموا بحبل اللَّه جمیعاً ولا تفرقوا... الاعتصام بحبل اللَّه بیان لتعاون المسلمین، کونوا جمیعاً للاسلام وتوجهوا الی الاسلام ولصالح المسلمین، وابتعدوا عن التفرقة والخلاف الذی هو أساس مشاکلنا وتخلّفنا».

وقال قدس سره أیضاً: «إنّ الحج یمثل أفضل مکان لتعارف الشعوب الاسلامیة، حیث یتعرف المسلمون علی إخوانهم وأخواتهم فی الدین من شتّی أنحاء العالم، ویلتقون مع بعضهم فی البیت الذی تتعلق به کلّ المجتمعات الاسلامیة من أتباع إبراهیم الحنیف».

ص: ۲۷۹

فالحج إذن محل اجتماع المسلمين أسودهم وأبيضهم، عربيهم وأعجميهم، غنيهم وفقيرهم، رئيسهم ومرؤوسهم، رجالهم ونسائهم، كلّ ذلك يدلّ على أنّ من مقاصد الحج هو تقريب الأفراد من مختلف الأجناس والمواطن نحو بعضهم البعض، حتى يتم تفاعلهم الاجتماعى وهم فى أسمى درجات العبادة والتنسك والابتهال والدعاء فى مجتمع التوحيد الاسلامى وبالقرب من بيت المعبود والمحبوب.

ولا شك أنّ هذا ينسجم تماماً مع أهداف الرسالة الاسلامية فى إقامة دولة التوحيد العالمية المنسجمة على كلّ الأصعدة الحياتية.

يقول الامام الخمينى قدس سره فى بيانه الى حجاج بيت اللّه الحرام:

«ليعلم الاخوة أهل السُنة فى جميع البلدان الاسلامية أنّ المأجورين المرتبطين بالقوى الشيطانية الكبرى لا يستهدفون خير الاسلام والمسلمين. وعلى المسلمين ان يتبرأوا منهم ويعرضوا عن اشاعاتهم المنافقة».

ثم يضيف قائلًا: «إنّى أمد يد الأخوة الى جميع المسلمين المتلزمين فى العالم، وأطلب منهم أن ينظروا الى الشيعة باعتبارهم أخوة اعزاء لهم، وبذلك نشترك جميعاً فى إحباط هذه المخططات المشؤومة».

وقال أيضاً: «... وتجنبوا التفرقة والتنازع: ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم.....».

وخاطب الكتّاب والخطباء المجتمعين مع إخوانهم فى عرفات ومنى والمشعر وغيرها، قائلًا:

«أيها الكتّاب والخطباء: أُذكروا قضاياكم الاجتماعية والسياسية لاخوانكم المؤمنين أثناء الاجتماعات الكبيرة فى عرفات ومشعر ومنى ومكة المعظمة والمدينة المنورة واطلبوا منهم العون».

وقد يعرّف الامام الحج بأنه نداء لايجاد وبناء المجتمع البعيد عن الرذائل

ص: ۲۸۰

المادیـة والمعنویـة، وأنّ مناسـکه تجلٍ عظیم لحیاة کریمـة ومجتمع متکامل فی هـذه الدنیا، وانه یتواصل فیه مجتمع المسـلمین من أی قومیة کانوا ویصبحوا یداً واحدة، وأنه کذلک ساحة عرض ومرآة صادقة للاستعدادات والقابلیات المادیة والمعنویة للمسلمین.

البُعد الثقافی

الحـج یمنـح المجتمعـات الإنسانیـة مصـدراً مسـتمراً من مصادر الکسب الثقافی الناتـج عن تفاعل الأفراد من مختلف الثقافات والطبائع البشـریة، وذلـک عـن طریـق تقریب الأفـراد- بأجناسـهم المتباینـة- فی المکـان الواحـد فی الـوقت المعین؛ لیتشـاوروا فی أمـور دینهم وعقیـدتهم وحیاتهم، ویتبادلوا الخبرات والتجارب والآراء والعادات الحسـنة، ویتعرف بعضـهم علی أخبار البعض الآخر، فیزداد الوعی، وتنمو المعرفة، وتشحذ الهمم من أجل الاصلاح والتغییر والاهتمام بشؤون الأمة والعقیدة لیشهدوا منافع لهم.

وقـد بین الامام قـدس سـره أنّ الحج فرصة ثمینة لتشترک أفکار المسـلمین لنشـر الثقافة الاسـلامیة والقرآنیة، وحذّر من تسـرب الثقافة الغربیة الی الشعوب المسلمة، فقال:

«الیوم حیث نشـبت براثن الاستعمار الخبیثة- بسبب تهاون وتساهل الشعوب الاسلامیة- فی أعماق الأرض المترامیة لأمة القرآن، لتنهب جمیع الثروات الوطنیة والخیرات الطائلة، ولتنشر الثقافة الاستعماریة المسموعة فی أعماق وقصبات العالم الاسلامی، ولتقضی علی ثقافة القرآن، وتجنّد الشباب أفواجاً لخدمة الأجانب المستعمرین، وتطلع علینا کلّ یوم بنغمة جدیدة وبأسماء خادعة تضلّ بها شبابنا. فی مثل هـذه الظروف علیکم، یا أبناء الأمـة الأعزاء المجتمعین لأداء مناسک الحـج فی أرض الوحی هـذه، أن تسـتثمروا الفرصـة وتفکروا فی الحل، وأن تتبادلوا وجهات النظر وتتفاهموا لحل مسائل

ص: ۲۸۱

المسلمین المستعصیة».

ثم قال- قدّس سره الشریف- فی مناسبة أخری للحج:

«من المسلّم أن حجاً دون معرفة ووعی ودون روح ودون حرکة ونهوض، وحجاً دون براءة، وحجاً دون وحدة، وحجاً لا ینتج هدماً للکفر والشرک، لیس حجاً، وخلاصة الأمر أنه یجب علی جمیع المسلمین السعی لأجل تجدید حیاة الحج والقرآن وإعادتهما ثانیة الی ساحة حیاتهم، وعلی المحققین المؤمنین بالاسلام أن یبینوا التفاسیر الصحیحة والواقعیة لفلسفة الحج، ویرموا فی البحر کل نسیج خرافات وادعاءات علماء البلاط».

وقال أیضاً:

«إننی أوصی جمیع العلماء المحترمین والکتاب والمتحدثین الملتزمین أن یوضّحوا لجمیع المسلمین وخاصة الحجاج منهم أهداف هذه الفریضة المقدسة، کما أنی أوصیهم بتعلیم مناسک الحج وکیفیة أدائها بشکلها الصحیح حتی یکون عملهم خالیاً من الأخطاء. وعدم الاکتفاء بأننا أدینا الفریضة وأنجزنا الواجب کیفما کان، فإن الأخطاء فی هذه الفریضة تترک آثاراً واشکالًا علی صحتها قد تکلفهم وقتاً وجهداً مضاعفاً لتصحیحها».

وأیضاً خاطب العلماء وحملهم المسؤولیة فی إیقاظ المسلمین فی هذا الاجتماع الکبیر، فقال:

«وعلی العلماء المشارکین فی هذا الاجتماع، من أی بلد کانوا، أن یصدروا- بعد تبادل وجهات النظر- بیانات صریحة واضحة لإیقاظ المسلمین، وأن یوزعوها فی مهبط الوحی بین أبناء الأمة الاسلامیة، ثم ینشروها فی بلدانهم بعد عودتهم».

کان الامام قدس سره متیقناً أنّ التلاقح الفکری للمسلمین فی موسم الحج سیعطی ثماراً جیدة، لکن أین الأیادی المؤیدة لهذا المشروع الاصلاحی؟!

ص: ۲۸۲

البُعد الاقتصادی

والحج بما هو تجمع بشری ضخم، یستقطب الملایین من المسلمین، یأتون رجالًا وعلی کل ضامرٍ یأتین من کل فجّ عمیق، فهو ینتج حرکة بشریة هائلة، یتبعها تحرک اقتصادی ومالی ضخم، عن طریق النقل، والاستهلاک، وحمل البضائع، وتبادل النقود، وشراء الأضاحی والحاجیات، ومستلزمات الحج والإقامة والسفر، فینتفع العدید من المسلمین ویشهد مجتمعهم حرکة اقتصادیة ومالیة نشطة.

والحالة الاقتصادیة ترتبط ارتباطاً وثیقاً بالمجتمع، وما یشهد من منافع یمکن تحقیقها من خلال الحج فی الحیاة الفردیة والاجتماعیة الی جانب الروح العبادیة المتمثلة بذکر اللّه تعالی فی الأیام المعلومات وذلک فی قوله تعالی:

لیشهدوا منافع لهم ویذکروا اسم اللّه فی أیام معلومات علی ما رزقهم من بهیمة الأنعام فکلوا منها وأطعموا البائس الفقیر.

وکذلک فی قوله تعالی: لیس علیکم جناحٌ أن تبتغوا فضلًا من ربکم حیث توهم البعض أنّ الاکتساب فی أیام الحج حرام، فأزال اللّه سبحانه هذا الوهم وبین أنّ الاکتساب لا یتنافی مع الإخلاص فی أعمال الحج.

ولم یغفل الامام الخمینی قدس سره البعد الاقتصادی للحج فقد اصدر بیاناً بمناسبة موسم الحج قال فیه:

«اخوانی وأخواتی:

إنکم تعرفون أنّ القوی الکبری الشرقیة والغربیة تنهب جمیع ثرواتنا المادیة والمعنویة وقد جعلونا فی حالة فقر وحاجة، سواء من الناحیة السیاسیة أم الاقتصادیة أم الثقافیة، عودوا الی أنفسکم واسترجعوا شخصیتکم الاسلامیة.

لا تخضعوا للظلم وافضحوا- بکلّ حذر- المؤامرات المشؤومة للناهبین الدولیین وعلی رأسهم أمریکا».

ص: ۲۸۳

هـذا وقـد اکـد الامـام الخمینی علی الجـانب الاقتصادی للحـج راملیاً الی عـدم تقـدیم العمل التجاری علی مبادئ وأولیات وأساسـیات الحـج، حیث یجب أن لا تطغی العملیات التجاریة علی أصالة الحج، وإلّا فالتجارة أیام الحج مباحة شـرعاً، لکن المفروض أن لا تتغلب علی الجانب الروحی والمعنوی والشـرعی، وفی هـذا المجال اکـد الامام هذا المعنی معبّراً أنّ العمل التجاری من أمور الدنیا... فقد قال لحجاج بیت اللّه الحرام محذراً:

«یا حجاج بیت اللّه الحرام! انتبهوا الی أنّ السـفر الی الحج لیس سـفراً للتجارة، ولیس سفراً لتحصیل أمور الدنیا، وإنما هو سفر الی اللّه. أنتم ذاهبون الی بیت اللّه الحرام، فـأتموا کـلّ الأـمور والأعمـال المطلوبـة منکم بطریقـة إلهیـة... معاذ اللّه أن تجعلوا هـذا السـفر سـفراً للتجارة، وأن یکون میداناً تبیحوا فیه الامور والمسائل التجاریة فیما بینکم».

وفی النهایة

لابـد من القول: إنّ جمیع المـذاهب الاسـلامیة اهتمت بفریضـة الحـج وعـدتها شـعیرة مهمة من شـعائر الدین الحنیف، وأنها مظهر من مظاهر وحدة الأمة الاسلامیة واستقلال کیانها، وأنه- أی الحج- مظهر قوة المسلمین وعظمتهم...

لکن کـثیراً من المسـلمین، ابتعـدوا عن أهـدافه وجردوه من أصـالته، وألبسوه لباسـاً شـکلیاً یهتم بـالمظهر الخـارجی فی أغلب تکـالیفه الشـرعیة، حتی ظهور المشـروع الاصـلاحی للامـام الخمینی رضوان اللّه تعالی علیه الـذی شـمل کلّ جوانب الحیاة العبادیـة والسیاسـیة والاجتماعیة والروحیة... الخ.

وکـان الامـام یتحرک فی مشـروعه الاصـلاحی باتجاه هـدف واضـح، وقـد أعلن عنه فی أکثر من مناسـبة، من خلال توجیهاته وبیاناته وخطاباته الموجهة للأمة ولحجاج بیت اللّه الحرام فی موسم الحج من کلّ عام، وبذلک أثبت صدقیة مشروعه من خلال الواقع...

ص: ۲۸۴

وقد حرص على تأكيد دور علماء الدين فى الأمة باعتبارهم: «خلفاء الرسل» و «حكاماً على الناس» و «ورثة الأنبياء».

وذكّر أبناء آدم بشكل عام مبيناً الهدف الرئيسى من إيجاد فريضة الحج فى الأماكن المقدسة من مكة ومنى، قائلًا:

«لقد عرفنا نحن ذرية آدم أنّ مكة ومنى أماكن لنشر التوحيد ونفى الشرك، الذى من مصاديقه التعلّق بالنفس والأعزاء.

لقد تعلّم أبناء آدم من هذه الأماكن الجهاد فى سبيل اللَّه، فعليكم أن تعلموا العالم قيمة الفداء والتضحية، وقولوا له: إنه فى سبيل اللَّه وإقامة العدل الإلهى وقطع أيادى المشركين فى هذا الزمان، يجب أن يخلد الحق بتمامه ببذل أى شىء حتى ولو كان مثل اسماعيل».

وقال أيضاً:

«إن إبراهيم واسماعيل وولدهم العزيز سيد الأنبياء محمد المصطفى صلى الله عليه و آله محطمو الأصنام ومعلمو البشرية أنه يجب تحطيم كلّ الأصنام والأوثان كيفما تكن. وأنّ الكعبة أم القرى على امتدادها وسعتها حتى آخر نقطة من الأرض وحتى آخر يوم فى العالم يجب أن تطهّر من دنس الأصنام. أى صنم كان وكيفما كان أكان هياكلَ أو شمساً أو قمراً أو حيواناً أو انساناً أو صنماً».

ثم يضيف قائلًا ومتسائلًا:

«أوليست القوى الكبرى فى زماننا أصناماً كبيرة سيطرت على العالم ودعته لعبادتها وفرضت نفسها عليه بالقوة والتزوير؟!... إنّ الكعبة المعظمة هى المركز الأوحد لتحطيم هذه الأصنام وتطهير هذه البقاع من كلّ أنواعها... قال اللَّه تعالى: وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهّرا بيتى للطائفين والقائمين والركّع السجود».

وكان ما نسجه الامام فى مشروعه على منوال أجداده السابقين من آل‌البيت- صلوات اللَّه عليهم جميعاً- فكان هدف الحج لديه واضحاً كوضوح

ص: ۲۸۵

الشمس فی رابعة النهار، کما کان لدیهم، فقد تحدث الامام جعفر الصادق علیه السلام عن منافع الحج وفوائده بإجابته البلیغة عن سؤال أحد أصحابه (هشام بن الحکم).

قال هذا الصحابی الجلیل للامام یسأله: ما العلة التی من أجلها کلّف اللّه العباد بالحج والطواف بالبیت؟

فقال علیه السلام: «إنّ اللّه خلق الخلق... الی أن قال- وأمرهم بما یکون من أمر الطاعة فی الدین، ومصلحتهم من أمر دنیاهم، فجعل فیه الاجتماع من الشرق والغرب، لیتعارفوا، ولینزع کلّ قوم من التجارات من بلد الی بلد، ولینتفع بذلک المکاری والجمال، ولتعرف آثار رسول اللّه صلی الله علیه و آله، وتعرف أخباره، ویذکر ولا ینسی... الخ».

وعن الامام الرضا علیه السلام قال: «إنما امروا بالحج لعلة الوفادة الی اللّه عزوجل، وطلب الزیادة، والخروج من کلّ ما اقترف العبد، تائباً مما مضی، مستأنفاً لما یستقبل،... وحظر النفس عن اللذات، دائماً مع الخضوع والاستکانة والتذلل مع ما فی ذلک لجمیع الخلق من المنافع، لجمیع من فی شرق الأرض وغربها، ومن فی البر والبحر ممن یحج وممن لم یحج، من بین تاجر، وجالب، وبائع، ومشتر، وکاسب، ومسکین، ومکار، وفقیر، وقضاء حوائج أهل الأطراف فی المواضع الممکن لهم الاجتماع فیه، مع ما فیه من التفقه، ونقل أخبار الأئمة الی کل صقع وناحیة، کما قال اللّه عزّوجلّ... فلولا نفرَ من کلّ فرقة منهم طائفة لیتفقهوا فی الدین ولینذروا قومهم إذا رجعوا إلیهم لعلهم یحذرون ولیشهدوا منافع لهم..

وبهذا خرجت فریضة الحج من جمودها وسکونها الی الحج المتحرک الهادف الذی أراده اللّه تعالی لبنی البشر فی سبیل بناء الروح وتکامل الذات، ومن ثم بناء مجتمع متکامل الأبعاد.

ص: ۲۸۶

الهوامش:

ص: ۲۸۷

فريضة الحجّ فى نظر الامام

ص: ۲۸۸

فريضة الحجّ فى نظر الإمام

حيدر حسن

«فريضة الحجّ لها بين الفرائض الإلهيّة خصائص متميّزة، ولعلّ الجوانب السياسية والاجتماعية لهذه الفريضة تفوق جوانبها الأخرى، مع أنّ جانبها العبادىّ ذو خصائص متميّزة أيضاً.

على المسلمين الملتزمين الذين يجتمعون مرّةً فى كلّ عام على صعيد المواقف الشريفة ويؤدّون واجباتهم الإسلاميّة فى هذا المجتمع العامّ والحشْد الإلهىّ بمعزل عن الامتيازات، وبمظهر واحد، ودون اهتمام بما يميّز بينهم من لون أو لغة أو بلد أو منطقة، وبأبسط المظاهر المادّية، وباندفاع نحو المعنويّة والوفود على اللَّه... عليهم أن لا يغفلوا عن الجوانب السياسيّة والاجتماعيّة لهذه العبادة».

الإمام الخمينى قدس سره

ص: ۲۸۹

اعتاد المسلمون على ممارسة الحج ممارسة عباديّة جافّة لا تنعكس لها أيّة آثار على شخصياتهم وسلوكهم إلّانادراً، كما لم يستغل هذا الملتقى الواسع والشامل لكلّ الشعوب الاسلاميّة- يوماً ما- من قبل المسلمين ولا سيّما العلماء المتواجدين فى الحج لطرح القضايا والمشاكل المشتركة بينهم أو التفكير بوضع الحلول المناسبة لها. بل صيّروا منه سفرة سياحيّة لزيارة بيت اللّه الحرام وزيارة قبر النبى وآله الأطهار مع الإتيان بالواجبات والمستحبّات الموارده فى هذه العبادة فقط. أمّا التدخُّل فى الشؤون الإسلاميّة فهو من ضمن الخطوط الحمر التى لا يحقّ للحاج تجاوزها؛ لذلك افتقدت هذه العبادة روحها والغاية من تشريعها.

مفهوم الحجِّ عند الإمام

«إنّ الحجّ هو أفضل ملتقًى للتعارف بين أبناء الشعوب الإسلاميّة. إذ يتعرّف المسلمون على إخوانهم فى الدين من جميع أنحاء العالم، ويجتمعون فى ذلك البيت الذى يخصّ جميع المجتمعات الإسلاميّة، وأتباع إبراهيم الحنيف، ويرجعون إلى بيتهم الأوّل من خلال وضع كلّ القوميّات والألوان والعناصر جانباً، ويعرضون على العالم كلّه صفاء الأخوّة الإسلاميّة، وآفاق انسجام الأمّة المحمديّة، من خلال رعاية الأخلاق الكريمة، وتجنُّب الجدل والتمحّلات».

إنّ الحج عند الامام- مفهوماً- يتجاوز حدود الممارسة العباديّة والطقوس التقليديّة إلى دائرة أوسع. فالحجّ- برأيه- مناسبة نادرة وفرصة ثمينة حيث تلتقى أعداد كبيرة من مسلمى العالم بما فى ذلك العلماء والمفكّرون استجابة لأمر اللّه- تعالى- لأداء مناسك الحجّ، ومثل هذه الفريضة لا يمكن أن تحقّقها أىّ قوّة اخرى.

يقول الإمام قدس سره: «اجتماع الحجّ أعظم اجتماع إذ لا تستطيع أىّ دولة أن تخلق مثله، واللّه- تبارك وتعالى- أوجده لكى يجتمع المسلمون دون أن تنفق الدول أموالًا طائلة لتحقيق ذلك، ودون مشقّة وتعب، ولكن لا يستفاد من ذلك مع الأسف».

ص: ۲۹۰

لذا يجب أن تستغل هذه المناسبة من قبل المسلمين؛ لتدارس أوضاعهم العامّة والخاصّة بعد أن يتعرفوا على بعضهم بعضاً.

وقد أناط الامام مهمّة تبنّى عقد الاجتماعات واللقاءات وإدارة الندوات إضافة إلى تعبئة المسلمين الوافدين إلى الديار المقدّسة وتوعيتهم، أناطها بالعلماء والمرشدين، فخاطبهم قائلًا:

«يجب على العلماء الذين يشاركون فى هذا الاجتماع- من أىّ بلد كانوا- أن يتبادلوا الآراء وينشروا بيانات تستهدف توعية الشعوب، وينشروها بين المسلمين فى مهبط الوحى، كما يجب عليهم نشرها بين أبناء بلادهم بعد الرجوع إليها. وليطلبوا فيها الى زعماء البلدان الإسلاميّة أن يجعلوا الأهداف الإسلاميّة نُصْبَ أعينهم، فلا يختلفوا فيما بينهم، ويتفكّروا فى التخلّص من براثن الاستعمار».

ويضيف رحمه الله:

«على العلماء الأعلام، والخطباء العظام، أن يُنبّهوا المسلمين على مسائلهم السياسيّة وواجباتهم الخطيرة».

كما طالب الإمام أن تكون هذه الاجتماعات محرّرة من القيود، بعيدة عن الاضطهاد والإرهاب والممارسات التعسّفية؛ لأنّ المسلمين- كما يقول رحمه الله- المضطهدين فى بلدانهم سياسيّاً يجب أن تعطى لهم الفرصة للتعبير عن آرائهم وإبداء وجهات نظرهم بالقضايا الراهنة. فهو يقول:

«بما أنّ مسلمى العالم لا يستطيعون تبيان مصائبهم والمظالم التى يفرضها عليهم حكّامهم المسلّطون عليهم بسيف الإرهاب والسجن والإعدام، فيجب أن يُسمح لهم بأن يعرضوا مظلوميّتهم ويبيّنوا مصائبهم فى حرم الأمن الإلهىّ بكامل الحريّة ليذكّروا باقى المسلمين بالسعى لإنقاذهم؛ لذا نحن نصرّ (بقوّة) على أن يَعتبِر المسلمون أنفسهم فى بيت اللّه الحرام وحرم الأمن الإلهىّ

ص: ۲۹۱

أحراراً، فى الأقل، من جميع قيود الظالمين، وأن يعلنوا البراءة ممّا يبغضون فى استعراض مهيب ويستثمروا كلّ الوسائل للخلاص».

فلسفة الحجِّ فى نظر الإمام

يقول رحمه اللَّه:

«إنّ أهم أسباب ما تعانيه المجتمعات الإسلاميّة هى أنّها لم تدرك الفلسفة الحقيقيّة للكثير من الأحكام الإلهيّة. والحجّ- بما يشتمل عليه من أسرار وعظمة- لا زال يُمارَس كعبادة جامدة، وحركات غير مثمرة؛ لذا فإنّ من الواجبات الكبرى على المسلمين أن يتوصّلوا إلى فهم حقيقة الحجّ. فما هو الحجّ؟ ولماذا يجب عليهم أن يخصّصوا جزءاً من إمكاناتهم المادّيّة والمعنويّة من أجل أدائه؟!

كلّ ما قدّمه الجهلة أو المغرضون أو المرتزقة تحت عنوان (فلسفة الحجّ) لا يعدو إطار تصويره بأنه عبادة جماعية وزيارة سياحيّة، فما علاقة الحجّ بالإجابة عن تساؤلات: كيف يجب أن نحيا؟ وكيف يجب أن نجاهد؟ وبأيّة صورة نواجه عالَم الرأسماليّة والشيوعيّة؟ وما علاقة الحجّ بوجوب انتزاع حقوق المسلمين والمحرومين من الظالمين؟ ما علاقة الحجّ بلزوم أن يظهر المسلمون كَقوّة كبرى ثالثة فى العالم؟ وما شأنه هو بتحريض المسلمين للانقضاض على الحكومات العميلة؟ وهل هو إلّاسفرة سياحيّة لزيارة الكعبة والمدينة لا أكثر؟ هذا كلّما قدّمه أولئك».

انتهج المستكبرون فى البلاد الإسلاميّة سياسة معادية مبرمجة تستهدف صرف أبناء الأمة الإسلامية عن دينهم وإسلامهم عن طريق نشر المدارس الفكريّة المادّية والتيّارات المنحرفة، فعمدوا بواسطة الحملات الإعلاميّة المكثّفة إلى إفراغ الإسلام من محتواه وروحه، وتشويه أحكامه ومبادئه حتّى أصبح الدين فى أذهان معتنقيه مجرد طقوس لا علاقة لها بحياة الإنسان ومستقبله.

ص: ۲۹۲

وقد وظّف الطغاة طاقات كبيرة لتحقيق ذلك، كما استعانوا ببعض المثقفين دعاة الحداثة والمعاصَرة المرتبطين بالشرق أو الغرب، والمتظاهرين بالتطرّف الدينىّ السلفىّ لتنفيذ مشاريعهم وخططهم.

لكن بالرغم من جميع تلك المحاولات لم تتمكن تلك الجهود أن تحقّق كامل أهدافها طالما كان فى الأمّة رجال يَقِظون كالإمام القائد رحمه الله يتمتّعون بدرجة عالية من الوعى والثقافة، فلا تنطلى عليهم خطط الاستعمار وألاعيبه.

والحجّ هو أحد المفردات التى عمل عليها الاستكبار العالمى بواسطة عملائه طويلًا حتّى تمكّن من أن يصيِّر منه طقساً عبادياً يحظر خلاله ممارسة أىّ نشاط آخر خلافاً لما كان عليه المسلمون الأوائل، وبعيداً عن روح التشريع الإسلامىّ.

لذا يقول الإمام بهذا الصدد:

«لقد كان هذان الحرمان مركزين للعبادة والسياسة الإسلاميّة. فيهما ترسم خطط الفتح، وتحدّد مناهج السياسة فى عهد الرسول صلى الله عليه و آله وهكذا بقيا فترة طويلة بعد رحيله.

بيد أنّ سوء الفهم وأغراض القوى الكبرى ودعايتها الواسعة جعلت المشاركة فى الشؤون السياسيّة والاجتماعيّة، التى هى من أهمّ واجبات المسلمين، داخل الحرمين الشريفين جريمة.

... هل هتاف هؤلاء ضدّ أميركا وإسرائيل- عدوّتى اللَّه ورسوله- جريمة؟».

إنّ فصل السياسة عن الدين من الأمور التى يرفضها الإمام رحمه الله لأنه يعتقد أنّها جزء منه. وما لم يتمكن الدين من ممارسة دوره على الصعيد السياسىّ يفتقد حركيّته وفاعليّته. كما يعتقد أنّ التجمّعات العباديّة تنطوى فى ذاتها على عطاء سياسىّ؛ فلا يجوز أن تجرَّد عنه وإلّا فقدت محتواها ولم تحقّق أهدافها. يقول رحمه الله:

«كثير من الأحكام العباديّة تصدر عنها معطيات اجتماعيّة وسياسيّة. فعبادات الإسلام عادة توأم سياسته وتدابيره الاجتماعيّة.

ص: ۲۹۳

صلاة الجماعة، مثلًا، واجتماعات الحجّ والجمعة تحقق- بالإضافة إلى مالها من آثار خلقيّة وعاطفية- نتائج وآثاراً سياسية.

استحدث الإسلام هذه الاجتماعات وندب الناس إليها، وألزمهم ببعضها حتّى تعمّ المعرفة الدينيّة وتعمّ العواطف الأخويّة وتتماسك عرى الصداقة والتعارف بين الناس، وتنضج الأفكار وتنمو وتتلاقح، وتبحث المشاكل السياسيّة والاجتماعيّة وحلولها.

المسلمون الأوائل كانوا يجنون من جماعاتهم وجُمعاتهم وأعيادهم ومواقف حجّهم أحسن الثمار».

لذا فالإمام رحمه الله يتوفّر على فلسفة خاصّة بالحجّ تعتمد على أساس إسلامىّ رصين. وفيما يلى استعراض موجز لفلسفة الحجّ على ضوء توجيهاته وبياناته:

أولًا: العمل على إرساء دعائم الوحدة الإسلاميّة، وتوظيفها لخدمة المصالح الإسلاميّة المشتركة، وتكريسها لطرح الحلول المناسبة للقضايا الراهنة، واستغلالها لمواجهة التحدّيات الداخليّة والخارجيّة. يقول الإمام قدس سره:

«علينا أن نستثمر موسم الحجّ ونجنى منه أطيب الثمار فى الدعوة إلى الوحدة، وإلى تحكيم الإسلام فى حياة الناس كافّة. علينا أن نبحث مشاكلها ونستمدّ حلولها من الإسلام. علينا أن نسعى لتحرير فلسطين وغيرها».

«فى هذا الاجتماع المقدّس (الحجّ) لابدّ من تبادل الآراء فى القضايا الاساسيّة للإسلام أوّلًا، وتبادل الآراء فى القضايا والمشاكل الخاصّة للبلدان الإسلاميّة، وليتعرّف الحجاج على ما يحلّ بإخوانهم المسلمين فى بلدانهم على أيدى الاستعمار وعملائه. ولابدّ لأهل كلّ بلد فى هذا الاجتماع المقدّس أن يعرّفوا المسلمين فى العالم بمشاكلهم الداخليّة».

ثانياً: تعميق روح العبودية للّه‌تعالى، من خلال ممارسة مناسك الحجّ ممارسةً عباديّةً واعية تتجاوز حدود المظاهر والأفعال المرئية، وترقى بالمرء إلى أعلى

ص: ۲۹۴

درجات سلّم التكامل الأخلاقى والعقائدى، وتدفعه نحو بناء مجتمع تحكمه المبادئ والقيم الإسلاميّة. يقول الإمام رحمه الله:

«الحجّ هو منطلق رسالة بناء مجتمع المستقبل المطهّر من الرذائل الماديّة والمعنويّة كافة».

«مناسك الحجّ هى مناسك الحياة برمّتها».

«الحجّ تنظيم وتدريب وتأسيس لهذه الحياة التوحيديّة... والحجّ ميدان لتجلّى عظمة طاقات المسلمين ولاختبار قواهم الماديّة والمعنويّة. والحجّ كالقرآن...

مبارك ينتفع منه الجميع، ولكنّ العلماء والمتبحرين والعارفين بآلام الأمّة الإسلاميّة، إذا فتحوا قلوبهم لبحر معارفه- ولم يرهبوا الغوص والتعمق فى أحكامه وسياساته الاجتماعيّة- فإنهم حاصلون من أصداف هذا البحر على لئالئ الهداية والوعى والحكمة والرشاد والتحرر أكثر من غيرهم، ولارتووا من زلال الحكمة والمعرفة إلى الأبد».

«إنّ الحجّ أفضل مناسبة تدعو المؤمن للتفكير؛ لأنّها تثير أمامه الكثير من التساؤلات بشأن الأهداف الداعية إلى ممارسة هذه العبادة الشاقّة المكلفة، وتدفعه لبلورة أجوبة مقنِعة بشأنها:

لماذاالطواف فى البيت الحرام؟ لماذا السعى بين الصفا والمروة؟ لماذا الوقوف فى عرفات والمشعر الحرام؟ لماذا المبيت فى مِنى؟ لماذا يرجم الشيطان؟

وعندما يقف المؤمن على أرض مكّة يتوجّب عليه أن يتساءل مع نفسه:

لماذا حطّم إبراهيم الاصنام؟ ولماذا حطّم محمدّ صلى الله عليه و آله الاصنام؟ وما هى دعوى رسول اللّه؟ وهل نحن على نهجه سائرون؟ وماذا ينبغى علينا الآن فعله؟».

يقول الإمام رحمه الله:

«حقيقة الأمر أنّ الحجّ هو من أجل اقتراب الإنسان من ربّ البيت وارتباطه به، فليس الحجّ حركات وأوراداً وألفاظاً وحسب، فبالكلام والألفاظ والحركات

ص: ۲۹۵

الشكليّة الجامدة لا يمكن أن يصل الإنسان إلى اللَّه.

الحجّ منبع المعارف الإلهيّة، فيجب البحث فيه عن المحتوى الحق للسياسة الإسلاميّة لجميع شؤون الحياة».

«على شعوب الأمّة الإسلاميّة من أىّ قوميّة كانت أن تصبح إبراهيمية؛ لتلتحق بصفّ أمّة محمّد صلى الله عليه و آله وتذوب فيه فتصبح معه يداً واحدة».

«الملايين يذهبون كلّ عام إلى مكّة وتطأ أقدامهم الأرض التى وطئتها أقدام النّبى الأعظم صلى الله عليه و آله وإبراهيم وإسماعيل وهاجر، ولكن ما من أحد يسائل نفسه:

مَنْ هما إبراهيم ومحمّد عليهما السلام؟ وماذا فعلا؟ وماذا كانت أهدافهما؟ ولأىّ شىء دعوانا؟ وكأنّ هذا هو الشىء الوحيد الذى لا ينبغى لنا التأمّل فيه!».

«الإسلام دينٌ عبادته سياسة، وسياسته عبادة. والآن إذ يجتمع المسلمون من شتّى بقاع الأرض حول كعبة الآمال لحجّ بيت اللَّه، والقيام بالفرائض الإلهيّة، وعقد هذا المؤتمر الاسلامىّ الكبير، فى هذه الأيّام المباركة وفى هذه البقعة المباركة... يتوجّب على المسلمين، الذين يحملون رسالة اللَّه- تعالى- أن يستوعبوا المحتوى السياسىّ والاجتماعى للحجّ إضافة إلى محتواه العبادى».

«إنّ الطواف حول بيت اللَّه يعلّمنا أن لا نطوف حول بيت إلهٍ غيرِ اللَّه، ورجم الشيطان يرمز لرجم شياطين الإنس والجنّ».

«فحينما ترجمون الشيطان عاهدوا ربّكم على طرد شياطين الإنس والقوى الكبرى من بلادكم الإسلاميّة العزيزة».

ثالثاً: البراءة من المشركين.

«ولاشكّ فى أنّ الحجّ بغير روح ولاحركة، ولاانتفاضة ... ولابراءة من المشركين ...

ولا وحدة... ودون أن يؤدى إلى تدمير الكفر والشرك... ما هو بِحَجٍّ».

«على المسلمين، إذن، تقع مهمة إحياء الحجّ والقرآن الكريم وإعادتهما إلى ميادين حياتهم. وعلى الباحثين الملتزمين أن يلقوا فى اليمّ بكلّ الخرافات

ص: ۲۹۶

والضلالات التى يطرحها فقهاء البلاط، وذلك بأن يتصدوا بجدّ لإيضاح أسرار الحجّ وفلسفته الحقّة».

«إنّ إعلان البراءة من المشركين يعتبر من الأركان التوحيديّة والواجبات السياسيّة للحجّ. ويجب أن تقام فى أيّام الحجّ بكلّ صلابة وعظمة مسيرات ومظاهرات كبرى. وعلى الحجّاج المحترمين- إيرانيّين وغير إيرانيّين- أن يشاركوا فيها بتنسيق تامّ... ويطلقوا بجوار بيت التوحيد صرخة البراءة من مشركى الاستكبار العالمى وملحديهم وعلى رأسهم أمريكا المجرمة، وأن لا يغفلوا عن إظهار عدائهم وتذمُّرهم من أعداء اللَّه وأعداء خَلقه».

إن كلمة التوحيد وشعار المسلمين (لا إلهَ إلّااللَّه) عبارة عن معادلة متوازنة وثابتة لا تقبل التلاعب ولا الالتواء. أحد طرفيها: إثبات الألوهيّة للَّهوحده.

وطرفها الآخر: نفى كلّ الآلهة الأخرى.

ويترتّب على هذه المعاملة الصارمة أننا عندما نؤمن بالطرف الأوّل يجب أن نكفر بالثانى. وعندما ندين للأوّل نترك الثانى. وعندما نحب الأول نتبرأ من الثانى. وهذه هى حقيقة العبوديّة للَّهتعالى كما يقول الإمام رحمه الله:

«تُرى هل تحقيق الديانة هو غير إعلان المحبّة والإخلاص للحقّ وإعلان السخط والغضب والبراءة من الباطل؟ يستحيل أن يتحقّق خلوص حب الموحّدين بغير إعلان الاستياء من المشركين من أعداء اللَّه وأعداء خلقه».

ولما كان الحجّ عبارة عن تكريس وتأكيد العبودية للَّهسبحانه تعالى- قولًا وعملًا- فيجب إذن فى قبال ذلك أن نكرّس ونؤكّد البراءة من كلّ المشركين والشياطين والطواغيت قولًا وعملًا؛ لذا ففى الوقت الذى نطوف فيه فى البيت، ونقف فى عرفات لدعاء اللَّه يجب أن نذهب لنرجم الشيطان، ونعلن براءتنا منه، وعندما نلبّى بأعلى أصواتنا: «لَبّيك اللّهمّ لَبّيك...» يجب أن نرفع أصواتنا عالياً لإعلان البراءة من أعدائه؛ لكى تبقى (لا إله إلّااللَّه) حيّةً فى قلوبنا وتتفاعل فى

ص: ۲۹۷

نفوسنا، وعلى ضوئها نتّخذ موقفنا، ونرسم منهج سياستنا، ونخطط لمستقبلنا، ونضع الحلول لمشكلاتنا.

إذ لم تكن أطروحة الإمام (إعلان البراءة من المشركين) فى موسم الحجّ عن طريق التظاهرات والمسيرات، وعقد الندوات والمؤتمرات أجنبيّةً عن روح الاسلام، ولا غريبة على تشريعاته، وإنّما السياسات العملية هى التى عملت على قلب الحقيقة ودأبت على تمويهها حتّى صار إعلان البراءة من المشركين مخالفاً يتنافى مع مناسك الحجّ ويؤدّى إلى المساس بقداسة بيت اللّه الحرام!!

مع أنّ الحجّ- كما مرّ- ليس إلّاتظاهرة عامّة دعا لها اللّه (جلّ وعلا):

وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ ورسولِهِ إلى النّاس يَوم الحج الأكبر... لتأكيد العبودية الخالصة للّه- تعالى- وإعلان البراءة من الشرك والمشركين.

وهنا يقول الإمام الخمينى رحمه الله:

«وأىّ بيت هو أفضل من الكعبة- البيت الآمن، الطاهر... بيت الناس- لنبذ كلّ أشكال الظلم والعدوان والاستغلال والرقّ والدناءة واللاإنسانيّة قولًا وفعلًا؟

وتحطيم أصنام الآلهة تجديداً لميثاق: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ... وذلك إحياءً لذكرى أهم وأكبر حركة سياسيّة للرسول صلى الله عليه و آله؟»

«فإذا لم يعلن المسلمون البراءة من أعداء اللّه فى بيت الناس وبيت اللّه، فأين يستطيعون إعلان ذلك؟ وإذا لم يكن الحرم والكعبة والمسجد والمحراب خندقاً ومتراساً لجنود الرحمن، المدافعين عن الحرم، وحرمة الأنبياء، فأين هو مأمنهم وملجؤهم إذن؟».

«وعلى أية حال، فإنّ إعلان البراءة فى الحجّ هو تجديد العهد بالجهاد، وتربية المجاهدين لمواصلة الحرب ضد الكفر والشرك وعبادة الأصنام، وهو لا يقتصر على الشعارات بل يتعداها لتعبئة جنود اللّه وتنظيمهم أمام جنود إبليس، وبقيّة الأبالسة، والبراءة هذه تعتبر من المبادئ الأوّليّة للتوحيد».

ص: ۲۹۸

الحج وآثاره التربوية والاجتماعية والسياسية..

الحج وآثاره التربوية والاجتماعية والسياسية..

الحج وآثاره التربوية والاجتماعية والسياسية..

حسين علاوى

الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، التى ثبتت أصولها بالكتاب والسنّة، وقد عرّف بتعاريف متعدّدة أجمعها وأشملها ما جاء فى كتب الفقه من أنّ الحج هو قصد مكة لأداء عبادة الطواف والسعى والوقوف بعرفة، وسائر المناسك استجابة لأمر اللّه وابتغاء مرضاته.. والكتب المقدّسة تذكر أنّ أوّل من بنى البيت، وأقام أركان الكعبة هما إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام بعد أن أوحى إليهما.. وأدركا أنّ البناء الذى أقاماه لم يكن رصّاً للأحجار وتعلية للجدار.. فجهرا بالدعاء وهما يبنيان القبلة، أن يقبل اللّه منهما ما عملا وما جهدا فى طاعة أمره وإبلاغ وحيه.. ثمّ رغبا إليه حين انتهيا من الرفع والتشييد أن يعلمهما مناسك العبادة التى وضع لها هذا البيت فعلمهما، فكانت الكعبة أوّل بيت للعبادة وضع فى الأرض، ثم أُمر إبراهيم أن يؤذن فى الناس بالحجّ، وضمن اللّه سبحانه أن يستجيب الناس للنداء.. فأقبلوا على الحج مشاةً وركباناً يحملون الأجساد والقلوب

ص: ۲۹۹

والتقوى.. ثم ظلّت تلك الاستجابة تزداد مع كل عام.. حتى أقرّ مؤذن الرسالة الخاتمة أن تستمر الفريضة بعد أن تتضح معالمها من الإبهام الذى غشيها.. وتنتفى أكدارها من الرّين الذى أصابها.. فكانت الدعوة الاولى فى دائرة أبى الأنبياء، والدعوة الثانية فى دائرة خاتمهم.. فأسمعت الاولى قوم إبراهيم فى حدود البلدان التى هاجر إليها.. واتبعه من أهلها.. أما الثانية فقد أسمعت الخليقة كلّها.

«وخطّ الإمامان الأولان مشرعا للحنفية الاولى، وقاما لها فى أرض العرب إرهاصاً للمطلع الذى تطلع منه دعوة الختام التى صرخت فى العرب والعجم، للحفاظ على ما استفاض عن الإمامين من المسالك والمناسك فى قول الرسول صلى الله عليه و آله: «قفوا على مشاعركم فإنّكم على إرث من أبيكم إبراهيم».

ولاشك ان فى سيرة الحج إلى مكة منذ إبراهيم إلى محمد- عليهما الصلاة والسلام- لم ينكرها التاريخ بل أكّدها قولًا وفعلًا..

وللحج شروط بوجودها يجب، وبانعدامها ينعدم الوجوب، منها الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة.. والشروط الثلاثة الاولى من شروط التكليف فى كلّ عبادة.

وأما الشرط الرابع فقد زال بزوال العبودية.. بعد أن جاء الإسلام مرغباً فى العتق.. أما الشرط الأخير فهو الاستطاعة وهى القدرة المادية مصداق قوله تعالى: وللَّه على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلًا.

والحجّ هو مظهر من مظاهر مجاهدة الفرد لميوله الشخصية.. وطموحاته التى قد تتعارض والمصالح العامة..

فالزىّ الذى يرتديه الحاج بصرف النظر عن مركزه الاجتماعى يدخل فى شكله البسيط ولونه الملائكى فى عملية عميقة جذورها عميم نفعها ألا وهى عملية توحيد فصائل المجتمع؛ لأنّ المجتمع الإسلامى هو مجتمع لا يعترف بالقوميات.. ولا بالطبقيات.. ووحدة الأدعية.. ووحدة المشاعر.. وتجمع المسلمين فى مكان واحد هى من الأهداف الكبرى التى تهدف شريعة القرآن إلى زرعها فى رحاب المجتمع

ص: ۳۰۰

الأكبر حتى يكون مجتمعاً متّحداً عقيدة وسلوكاً وأخلاقاً.. مجتمعاً يتفاوت فيه الناس بحسب أعمالهم وأهدافهم من وراء أدائهم لتلك الأعمال.

الحج مؤتمر عالمى

وبالإضافة إلى كونه منهجاً تربوياً يغرس فى نفس المسلم المشاعر الإنسانية العالية، والأخلاق الحميدة الفاضلة، فهو أيضاً لقاء يكتسب منه المسلم ثقافة اجتماعية، وفوائد مسلكية، ومنافع مادية قد تنجر عنها بركة عظيمة، وفوائد جمّة لشعوب إسلامية بكاملها، إذ قد تعقد فيه المعاهدات التجارية، كتبادل البضائع ممّا ينشط الاقتصاد الإسلامى..

ولم يكن هذا ليقع لولا تعارف المسلمين بسبب اجتماعهم المبارك لأداء هذه الفريضة المباركة. ذلك أنّ فى تعارف الشعوب الإسلامية وتبادلها الآراء وطرحها لمشاكلها ما يقرب شقّة الخلاف إن كان هناك خلاف، وإذا انعدم الخلاف عمّ التفاهم ووحدت الغايات واتحدت المناهج.

إلّا أن الحديث عن العبادات والشعائر وما يتعلّق بها غدا حديثاً ناقصاً ومملًا لدى الكثيرين.. لأنه توقف أو كاد عند عتبة الحلال والحرام، والثواب والعقاب، أو تحت مظلّة الشكليات التى تقيم هيكل العبادة دون أن تبثّ الروح فيها.. ممّا أورث تصوّراً خاطئاً عن العبادة أشبه ما يكون بالطقوس فى الأديان الاخرى..

ومن هنا فإن إعادة قراءة هذه العبادات والشعائر قراءة تستوحى أهدافها التربوية.. وأبعادها النفسية..

ومفرداتها العملية.. ووظيفتها التربوية والاجتماعية والسياسية والتنظيمية..

أصبحت ضرورة يلح الواقع عليها.

وممّا يؤكّد هذه الأهمية أنها تمثّل ركناً أساسياً من أركان النهوض بالشخصية المسلمة بما تتركه من آثار فى النفس الإنسانية، وبالمجتمع الإسلامى بما تمليه من قواعد تنظيمية وتكافلية.. فمعرفتها بالصورة المقنعة المتوازنة بين الطرح المتكرّر والمفرط لشكلياتها.. وبين الجانب الغائب ما وراء هذه الشكليات جدير بأن يعزّز المسير فى اتجاه الوعى الإسلامى

ص: ۳۰۱

النهضوى المتوازن والمتكامل.

الحجّ ثورة على العادة..

الحجّ ثورة موظّفة لمعنى يتجلّى من وراء تقنينها بالسلوكيات والشكليات والرمزيات.. ثورة ضد التقليد الذى يسير عليه الإنسان بجميع أشكاله ليعيش نمطاً جديداً من الحياة فى أيام، فحمل من إيحاءاتها ما يثقل وزنه فى سلوكه ووجدانه..

فاللحظة الاولى فيه لحظة تخليه الواعى الممنهج عن اللباس والطيب وأسباب الزينة وملذّات الدنيا.. وليس رداءً وإزاراً أبيضين غير مخيطين يمثّلان الاستسلام للّه‌طواعية قبل الاستسلام له كراهية عند الموت فى لباس شبيه..

إقبال على اللّه بفتح صفحة جديدة من العمل محفوفة بالأمل الذى لا يلغى من حسبانه ساعة الموت، الذى هو صفحة جديدة أيضاً ولكن من حساب قديم..

والمناسك التالية لهذه الخطوة تأكيد لها، وتسديد لمستقبلها المنشود فى حياة جديدة منتظمة قائمة على منهج اللّه، وتكرّس فى نفس صاحبها روح الخير والبذل والعطاء من خلال ما يغدقه الحاج فى سبيل هذه الفريضة ومناسكها، وتعوّد على النظام والجدّية والمسؤولية فى الحياة بالتزامه بنظام دقيق شامل لجميع شؤون الفرد لباساً وطعاماً وجسداً وزماناً ومكاناً ومجتمعاً و...

إنّها «حركة شمولية ذات أبعاد تربوية حقيقية استعملت فيها أساليب الحسبة والتجريدية والممارسات التجريبية بكل ما تعنى من عمق فى قدرة الحج على التغيير بطريقة تخلو من كلّ السلبيات فى العملية التربوية على العموم.. فالحج فريضة متعدّدة الجوانب والاطر: اجتماعية، تربوية، سياسية، علمية، عقلية، وجدانية، بدنية، فنية..».

الحج ترسيخ لقيم التواضع والمساواة

إنّ الحجّ تدريب عملى للمسلم على المبادئ الإنسانية العليا التى جاء بها الإسلام، فقد أراد دين اللّه أن لا تكون تعاليمه ومبادئه مجرّد شعارات أو نداءات، بل ربطها بعبادته وشعائره ربطاً وثيقاً، حتى تكون سلوكاً تطبيقياً

ص: ۳۰۲

فی حیاة المسلم وفی علاقته مع الآخرین.

«فمن خلال الإحرام- مثلًا- الذی هو رکن من أرکان الحجّ- وحیث تشمل الجمیع صحوة للنفس البشریة التی قد یستولی علیها الکبریاء والخیلاء فی بعض الأحیان، وتجمع بها الشهوات، أن تفکر وهی محرمة فی أصلها وتدرک أنه لا یُفضّل أحدٌ أحداً إلّا بالتقوی والعمل الصالح».

إنّ المسلم هناک وعندما یتجرّد عن الثوب الأنیق بل الثوب المخیط ویحرم علیه أن یمسّ الطیب.. ویری نفسه فی لباسٍ یساوی أقلّ الناس مالًا وجاهاً، هناک یتلقّی درساً فی المساواة لا تبلغه أقوی العبارات وأعظم الدروس.

الحجّ ترسیخ للوحدة الإنسانیة

إنّ الحجّ لیس مجرّد فریضة تهذّب النفس وتعصم السلوک بل هو أیضاً عنوان لِلُاخوّة الإنسانیة العامة.. إنّ الإسلام بتعالیمه لا یدع الفرد ینطوی علی أنانیة مُفرِّقة.. بل تطبعه بشرائعه وآدابه علی الإیثار والحبّ..

«فأرض الحج هی البلد الحرام، والبیت الحرم من دخله کان آمناً..

أمانٌ وسلام فرید فی نوعه، یشمل الطیر والصید والنبات فضلًا عن الإنسان، وان المسلم حین یُحرم بالحجّ یظلّ فترة إحرامه فی سلامٍ حقیقی مع من حوله، فلا یجوز له أن یقطع نباتاً أو یقلع شجرة، کما لا یجوز أن یذبح حیواناً صاده غیره له أو یرمی هو صیداً فی الحرم أو خارجه».

وهکذا نری من خلال مناسک الحج وشعائره خدمة لما یخص المجتمع البشری علی اختلاف ألوانه ولغاته وبلاده دون تفرقة ولا تمییز.. ولقد أعطت المسألة الإسلامیة الفتیة قوّة دفع کبیرة لإحدی مرتکزات المجتمع الإسلامی الأساسیة، عبر تحریرها الفرد المسلم والجماعة المسلمة من جملة قیود تاریخیة وراهنة أحالت دورة الحج إلی واقعة محکومة بنظم فکریة وسیاسیة مسیطرة علی المجتمع الإسلامی، هجرت الشریعة الإسلامیة منذ زمن بعید، وحطّت رحالها فی أرض التبعیة الشاملة لنظم التسلط العالمیة!

ص: ۳۰۳

لقد أوصلت التجربة الإسلامية الفتية المجتمع الإسلامى المعاصر بأصول الشريعة فى أكثر من نقطة كانت عصور الظلم السابقة ونظم القهر الحديثة قد قطعتها وأحلت مكانها منطقها وأفكارها وسياساتها التى مزّقت الشخصية الإسلامية على أكثر من صعيد، وصادرت هوية الامّة فى أكثر من موقع.

إنّ انفتاح الحالة الإسلامية الفتية على فضاء البشرية التوحيدية، فتح لها آفاق حركة شاملة فى مواجهة ظلم الآخرين.. وغفلة الذات، وذلك عبر ما أحيته من قيم ومعايير غطّت جوانب أساسية من شبكة العلاقات الناظمة والموجّهة لسلوك المسلمين. لكن ذلك وضعها مباشرةً فى مواجهة التيارات الفكرية والسياسية المناهضة لتطلّعات المجتمع الإسلامى ولقضاياه العادلة.

«وإذا كانت الحالة الإسلامية قد تمكّنت من فرض نفسها كتيّار جديد ومجدّد ومكتمل البنيان فى مواجهة تيارات العجز والقصور التى تقودها نظم التبعية والانحطاط، فإن واقع المواجهة وما ينطوى عليه من مشاكل شتّى سيشكّل عنواناً لمرحلة طويلة قادمة».

الحجّ عبادة وسياسة

لقد دفعت النظم الهاجرة للشريعة، فى مواجهة التصوّر الإسلامى للحج، مقولة أنّ الحج ممارسة عبادية لا ارتباط لها بالسياسة.. وقبل علماء الامّة هذا التحدّى، عبر تقديمهم لتصوّر إيجابى متكامل يؤكّد استناداً إلى القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، كون الحج جزءاً لا يتجزّأ من دورة المجتمع الإسلامى العامة وبالتالى ميزان الامّة وقضاياها.. فإنه من الطبيعى، أن يحمل كلّ ركن من أركان الامّة هموم الامّة فى أحشائه بهذا القدر أو ذاك وبشكلٍ أو بآخر.. أى أنّ الحج كركن أساسى لابدّ له من أن ينفتح على سماء الامّة وقضاياها السياسية المختلفة..

«فتحوّل الحج فى قائمة معطيات الثورة الإسلامية العظمى، ليحتلّ مكانة خاصة. إنه تحوّل، لا فى الشكل المعين لمناسك هذه الفريضة الإلهية الكبرى، بل فى إحياء هذه المناسك وفى إثراء هذا

ص: ۳۰۴

الركن الإسلامى الركين بالمعنى والاتجاه.. فى هذا التحوّل، عاد الحج ليكون مرّة اخرى مؤتمراً عظيماً عبادياً- سياسياً وتجمعاً لإعلان البراءة من المشركين..».

فركّز الإمام الخمينى قدس سره فى أكثر نداءاته التى كان يطلقها فى كلّ موسم حج على ضرورة إعلان البراءة من المشركين كأمر وجوبى لابدّ منه لكلّ فرد موحِّد؛ لأنه يعتبر من الأركان التوحيدية والواجبات السياسية للحج.. ويجب أن تقام فى أيّام الحج بكلّ صلابة وعظمة..

وطلب من الحجّاج- الإيرانيين وغير الإيرانيين- المشاركة فيها وإطلاق صرخة البراءة من المشركين والملحدين فى جوار بيت التوحيد..

حيث إنّ هذه البراءة تهدف إلى وضع الحواجز النفسية والاجتماعية والعقائدية بين معسكر الموحِّدين من جهة، ومعسكر المشركين من جهة اخرى..

ويعتبر الإمام أنّ إعلان البراءة هو المرحلة الاولى من الجهاد، ومواصلته هى من المراحل الأساسية لواجبنا..

وثمرة هذا المفهوم الشامل تتمثّل فى تجييش الامّة نحو أعدائها.. وتربية أبنائها على المناعة والصلابة فى مقابل التحديات التى تعصف بها..

فأكثر حجّاج بيت اللّه الحرام مصابون بالغفلة كما وصفهم الإمام الخمينى قائلًا: «لا يمكن للمسلمين أن يحيوا حياة مشرّفة إلّابالإسلام، لقد أضاعوا إسلامهم، لقد عدنا نجهل الإسلام بسبب إيحاءات الغرب وتشويهاته، ولذلك فإنّ المسلمين يجتمعون كلّ عام فى مكة المكرّمة، لكنّهم لا يدرون ماذا يفعلون...».

ولو استثمر المسلمون عطاء الحج السياسى كما يقول الإمام:

«لكان ذلك كفيلًا بتحقيق استقلالهم، لكننا مع الأسف أضعنا الإسلام.. لقد أبعدوا الإسلام عن السياسة فقطعوا رأسه وسلموا لنا بقيته، وجرّونا إلى الوضع الذى نعيشه اليوم، وما دام المسلمون على هذه الحالة فلن يستعيدوا مجدهم..».

ويقول الإمام الراحل قدس سره:

«كثير من الأحكام العبادية تصدر عنها

ص: ۳۰۵

معطيات اجتماعيـة وسياسـية، فعبادات الإسـلام عادةً توأم سياسـته وتـدابيره الاجتماعيـة.. فصـلاة الجمعة- مثلًا، واجتماع الحج والجمعة تؤدّى بالإضافـة إلى ما لها من آثار خلقيـة وعاطفيـة، إلى نتائـج وآثار سياسـية، فالإسـلام هو الـذى استحدث هذه الاجتماعات وندب النـاس إليهـا وألزمهم ببعضـها حتى تعمّم المعرفـة الدينيـة، وتسـيطر العواطف الأخويـة والتعـارف بين النـاس.. وتتلاقـح الأفكـار فتنمو وتنضـج، وتبعث المشاكل السياسـية والاجتماعيـة وحلولها.. فيسـتوجب على المسـلمين الـذين يحملون رسالـة اللَّه تعالى، أن يسـتوعبوا المحتوى السياسى والاجتماعى للحج إضافة إلى محتواه العبادى».

الحج ووحدة المسلمين

وبمـا أنّ الوحـدة هى الكفيلـة لحفـظ كيـان الامّـة وتماسـكها، وترسـيخ وجودهـا، وتثبيت أقـدامها.. وبـأنّ التوحّـد والترابـط، والتآلف والتماسك، هى مصـدر القوّة والغلبـة، ومنبع القـدرة والمنعة.. وأنّ القوّة أمر ضـرورى لحفظ الشـرائع والمبادئ.. والوحدة مصدر قوّة.. يقول الإمام الخمينى قدس سره: «من واجبات المسلمين فى تجمع الحج العظيم دعوة الشعوب والتجمّعات الإسلامية إلى وحدة الكلمة ونبذ الخلافات بين المسلمين».

ويقول قدس سره: «إنّ الحجّ أفضل مكان لتعارف الشـعوب الإسـلامية، حيث يتعرّف المسلمون على إخوانهم وأخواتهم فى الدين من شتّى أنحاء العالم، ويلتقون مع بعضهم فى البيت الذى به كلّ المجتمعات الإسلامية وأتباع إبراهيم الحنيف..

وبنبذهم ما يمايزهم من اللون والقومية ..

والأصل.. يعودون إلى أرضهم وبيتهم الأوّل..».

ص: ۳۰۶

الهوامش:

ص: ۳۰۷

وقفة مع مجتمع الحجّ

وقفة مع مجتمع الحجّ

وقفة مع مجتمع الحجّ

محمّد المدنى

إنّ ما تعانيه امّتنا الإسلامية خاصة والمستضعفون بشكل عام من أشكال القهر والابتزاز فى كلّ النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية، من قبل الأنظمة الاستكبارية خصوصاً بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وما رافقتها من آثار وأوضاع جديدة سادت كثيراً من مناطق العالم وبالذات العالم الثالث الذى كان الضحية الرئيسية لنتائج تلك الحرب المدمّرة وما تلاها من عقد اتفاقيات على تقسيم النفوذ بين الدول المنتصرة.. وممّا انتهت إليه نتائج الحرب العالمية الثانية أيضاً- وكما هو متوقع- كانت شعوبنا الإسلامية هى الخاسرة بعد أن تسلّط عليها حكّام عملاء وأنظمة قاهرة ليس لديها- إلّاالسيف والمال، فمن لم يرضخ لها بالمال فالسيف مصيره المحتوم. فتشتت فرقاً وأحزاباً وتضاعفت عليها الويلات وصودرت حرياتها وانتهكت مقدّساتها، وما بقى شىء فيها إلا ونالته يد الضيم والقمع والتعسف والتشتت والتقسيم...

فراح النظامان الغربى والشرقى بوصفهما يشكّلان القوّتين الرئيسيتين فى العالم

ص: ۳۰۸

يحكمان سيطرتهما المباشرة أو غير المباشرة عبر عملائهما وعبر قوى سياسية أفرزها الواقع السياسى المداهن لها فى المنطقة على كلّ الأمة الإسلامية والشعوب الإسلامية.

وفى الوقت الذى ظهرت- نتيجة ذلك كلّه- مدارس ومؤسسات وكتابات ومؤلّفات همّها دعم هذه الأنظمة المتسلّطة وتبرير وجودها بل وتسويقها، ظهرت بالمقابل مدارس وحركات متنوّعة إسلامية ووطنية وأخرى قومية كان همّها الذى يؤرقها هو حماية شعوبها من ذلك الانحراف الجارف، ومن ذلك القمع المتواصل والتشتت والتمزّق إرباً إرباً، فقدّمت من أجل ذلك الكثير من الضحايا والقرابين فى سبيل إبقاء الحالة خاصة الإسلامية بعيدةً عن الموت والانتهاء والفناء، وكم حاولت هذه الحركات وبالذات الإسلاميّة أن تلملم جراحها العميقة التى تولّدت نتيجة صراعها المرير وغير المتكافئ قوّةً وعدداً مع الجهات الظالمة. وكم كانت الحركات الإسلامية والشخصيات الإسلاميّة جاهدة فى قراءة وأسباب انحسار النظام الإسلامى عن الساحة السياسية.. وطرق عودته إلى هذه الساحة والعقبات والصعاب التى تواجه ذلك..

وقد انبرى سماحة السيد الإمام لمعالجة ما تعانيه الأمة الإسلامية وشعوبها من فرقة وتناحر، فرأى أن يجمع ما يمكن جمعه، وأن يوقظ ما يمكن إيقاظه، وأن يداوى ما يمكنه من جراحها الكثيرة، فراح رحمه الله يضع الحلول ويستفيد من كلّ ما يمكنه من فرص متاحة لجمع شتاتها سواء أكانت هذه الفرص عبادية أو غيرها كالمؤتمرات والندوات والتجمعات ومن كلّ ما يتاح له من وسائل إعلاميّة وسياسيّة وثقافيّة واجتماعيّة..

فعلى مستوى العبادات راحت وصاياه وفتاواه تؤكّد على إقامتها جماعة فكانت صلاة الجمعة العبادية السياسية، وكانت دعواته للمشاركة فى الصلوات التى يقيمها أبناء الإسلام من المذاهب الأخرى.. كلّ هذا وغيره ليحقّق لهذه الأمة

ص: ۳۰۹

مجتمعاً إسلامياً وإن كان مصغّراً إلّاأنه يبتغى من ورائه بناء مجتمع آخر أوسع منه وأكثر شمولًا ونفعاً، مجتمع موحّد وبالتالى الحيلولة دون انهيار الأمة وقيمها ومحاولة شدّ أزرها لمقارعة الاستبداد والظلم من أى طرف حصل وبأى شكل كان، فالظلم قطعاً يحول دون سمو الفرد وبالتالى يحول دون سمو المجتمع والأمة.

فالحج هذه الظاهرة الربّانية الاجتماعية جعلها اللَّه تعالى مناسبة لأكبر وأعظم لقاءٍ اجتماعى كبير يحتضن الآلاف من المسلمين من كلّ حدب وصوب ليشكّلوا مجتمعاً يكون نموذجاً مصغّراً لمجتمع كبير أفراده من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويكون هذا المجتمع قائماً بالقسط ليقوم الناس بالقسط وبالتالى ينتج أمّة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتنبثق منه حكومة إسلامية تتصف بالعدل وتعمل به انطلاقاً من الآية الكريمة إنّ اللَّه يأمر بالعدل...

حقّاً إنّ مجتمع الحج مجتمع يدعوننا إلى التفاؤل والسعادة ويدعوننا أيضاً إلى أن نقول إنّ أمتنا بخير.

ولا أظنّ أحداً خاصّة ممّن وفّق لأداء هذه الفريضة المقدّسة، أو كان ممّن اطّلع على خطاباتها وأحكامها الشرعية وأهدافها الساميّة وطريقة أدائها، لا يشاركنى فى أنّ لفريضة الحج إطاراً آخر غير ما يترتّب على تطبيق أحكامها وأداء فعاليتها من إطار إنسانى تفوح منه رائحة الإيمان وتسمو به روحيات المشاركين وأخلاقهم، والإطار الذى أعنيه هو الإطار الاجتماعى بكلّ ما يتضمّن من أبعاد تربوية وسياسية وثقافية... تجعله يحمل نواة بقائه وديمومته وخلوده.

إن الهدف الأسمى للدين الإسلامى الحنيف هو خلق روحية اجتماعية- والإنسان اجتماعى بطبعه كما يقولون- تصبو لأن يكون كلّ تعاملها مع من حولها مبنياً على صفات نبيلة كالتآلف والتوادد والمحبة ممّا يولّد فى نفوسنا جميعاً حاجة نفسية للاجتماع والاتصال بأجناس أخرى وشعوب متعدّدة تكون ساحة الحج ميداناً واسعاً وحقلًا خصباً لتواجدها وتلاقح أفكارها واستماع آراء الآخرين مهما

ص: ۳۱۰

كانت مخالفةً أو متقاطعةً.

فالحجّ إذن- إضافة إلى أنّه يستطيع الإنسان فيه أن يشبع ويروى حاجته النفسيّة وهو الانتماء الاجتماعى، الانتماء إلى أبناء جنسه، وظمأه الروحى- فهو مؤتمر تتجاذب الأفكارَ فيه كثيرٌ من الطوائف والقوميات والألوان؛ ليتم التعارف بينهما والانتفاع بثمار هذه الفريضة وما يترتّب على أدائها بشكلها الإبراهيمى المحمّدى من إيجابيات وفوائد جمّة يحمل الحجّاج أكثرها إلى حيث بلادهم وإلى أوطانهم وشعوبهم حتّى يكونوا دعاةً لها إذا رجعوا إليهم.

يخاطب السيّد الإمام الحجّاج بقوله: «احملوا من ربّكم نداءً إلى شعوبكم أن لا تعبدوا غير اللّه، وأن لا تخضعوا لغيره» ما أروعه من خطاب!

خاصة إذا كانت هذه الشريحة متميّزة بفهمها لأهداف هذه الفريضة وعارفة بأحكامها، فإنّها ستترك بصماتها على باقى فصائل المجتمع الحاج من قوميات أخرى وشعوب أخرى وعادات ولغات مختلفة، كما ستجيد نقل ما لمسته من آثار هذه الفريضة إلى قومها وستحسن تصويره لهم، وبالتالى تُقتطف ثمارٌ أخرى خارج الحرم وبعيداً عن مكة والمدينة تضاف إلى ثمار ومنافع الحج ليشهدوا منافع لهم.. فتشدّ تلك الأقوام الرحال إلى منابع النور والعظمة إلى مكّة والمدينة، وتتوجه إلى أهمية هذه الفريضة ودورها الإيجابى الكبير فى التغيير الاجتماعى بل والفكرى والثقافى، فتشتاق النفوس أكثر وتتعلّق القلوب بأداء هذه الفريضة واقتطاف ثمارها، وبالتالى ديمومتها وإمدادها بطاقات بشرية جديدة فى كلّ عام وهكذا.. يبدأ التحوّل سنوياً ويتواصل التغيير فى المجتمع الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه.. ويتمّ عبر الحج- وهو وسيلة من وسائل التغيير- التغيير المنشود إنّ اللّه لا يغير ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم.

إنّ المساواة بين أفراد الحجيج، مساواتهم فى الزى (لباس الإحرام) المتكوّن من ثوبين يرتدى بالأول ويأتزر بالثانى على أن لا يكونا مخيطين إيغالًا فى البساطة

ص: ۳۱۱

وبعيداً عن التكاثر والتظاهر والتفاخر بالأنساب والألقاب.. يعدّ هذا مساواة وعدلًا بين الناس الذين وفّقوا لأداء مناسك الحج بأموال ليس للغير حقّ فيها نظيفة من كلّ شائبة حرام. كل هذا يعدّ محطّات لتزكية النفوس.

يقول السيّد الإمام: «هذا البيت للنّاس، ولا توجد أولويّة لأحد على أحد، أو لمجموعة على أخرى، أو لطائفة على أخرى، الجميع بشر...»

إنّ الحجيج وهم يؤدّون مناسكهم بعيداً عن كلّ أشكال النجاسات المادية والمعنوية التى تتمثّل بالجدال والفسوق والأذى للحيوانات والنباتات فضلًا عن الإنسان، يشكلون بذلك مجتمعاً إنسانياً متحرّكاً هنا وهناك فى عرفات، وعند الإفاضة إلى المزدلفة وفى منى، وعند الطواف بالبيت وفى السعى.. حقّاً إنه مجتمع إنسانى بدوافع ذاتية مستجيبة لنداء ربّها لا غير وملبّية لأذان إبراهيم لا غير، ومنقادة لخطاب السماء لا غير، ومنفّذة لأحكامها الشرعية لا غير.. دون أن يكون هناك أمر دنيوى يُطاع..

مثل هكذا تجمّع فى بقعة مباركة محدودة، وفى زمن هو الآخر محدّد، وفى مظهر واحد، وتحت ظلّ شعار واحد، ومنسك واحد يضمّ محاور متعدّدة ممّا يجعله ذا خصوصية لا تجدها فى غيره، لا شك ولا ريب أنه سيترك آثاره سواءً كانت آثاراً نفسية أم كانت آثاراً تربوية على الإنسان الحاج كشخص، أو على الإنسان الحاج كمجتمع، كما يترك آثاره على من يرى من بعيد هذه المشاهد عبر وسائل النقل والاعلام أو يسمع عنها أو يقرأ..

لهذا رأى القائد الامام الخمينى فى موسم الحج فرصاً عظيمة لتحقيق الأهداف العليا.

إن الحج إذا ما أودّى بشكله الإبراهيمى المحمّدى وتحت الشعار الرئيسى فيه وهو البراءة، البراءة من المشركين «صرخة البراءة من المشركين فى مراسم الحجّ هى صرخة سياسيّة عباديّة» كما عبّر عنها الإمام الخمينى، فهو قطعاً بهذا الشكل مجتمع

ص: ۳۱۲

متحرّك واع، رافض للظلم والطغيان، يحتفظ بسلوك منظم، ويتقيّد بما وضع له من أحكام وتشريعات، وسيبقى بلا شك نموذجاً اجتماعياً رائعاً فاعلًا ذا آثار كبيرة على الوضع النفسى للأفراد وبالتالى الوضع الاجتماعى، وهو بعد ذلك نموذج فذّ لتصميم سماوى، غايته خدمة الإنسان ومصالحه التى غالباً ما تتأتى من خلال اجتماعه وائتلافه مع بنى جنسه.

يقول السيّد الإمام: «إنّ الحجّ هو أفضل مكان لتعارف الشعوب الإسلامية حيث يتعرّف المسلمون على إخوانهم وأخواتهم فى دين الإسلام من جميع أنحاء العالم.. ومع مراعاة الأخلاق الكريمة الإسلامية واجتناب الجدال، يتجلّى ويتمظهر صفاء الاخوة الإسلامية وأبعاد تنظيم الأمة المحمّدية فى جميع أنحاء العالم.

ولنصل إلى النصر من خلال الاجتماع على الحق وتوحيد الكلمة، وكلمة التوحيد التى هى أساس ومنبع عظمة الأمة الإسلامية».

فكلّ منسك يؤدّيه الحاج وكلّ موقف يقفه، بل وكلّ حركة وسكون يلتزم بهما الحاج تشعره بأنه جزء مهمّ من منظومة الأمة الواحدة، فالمناسك وأحكامها تجعل الإنسان الحاج يعتقد بأنّ عليه مسؤولية خاصة مسؤوليّة عظيمة فى إطار العمل العام والجهد العام للحجّاج فتدفعه إلى أن يجهد نفسه لكى لا يعيق ذلك التحرّك العام أو يمنعه بل وعليه أن يفكّر بمسؤوليته كإنسان فى مجتمع عام إزاء الآخرين من هذا المجتمع، فيتدرب على ذلك السلوك وعلى رعايته وتبنّيه فى حياته العامة والخاصة.

وما توصيات السيد الإمام على أن يكون الوقوف واحداً فى عرفات والمزدلفة ومنى؛ إلّاكان تأكيداً منه على الجانب الاجتماعى الموحّد فى هذه الفريضة، إضافة إلى آثاره الأخرى ومنافعه المتعدّدة، وكذلك أمره بالصلاة جماعة مع الطوائف المسلمة الأخرى، وعدم جواز أدائها جماعة فى البيوت وفى مراكز بعثات الحجّ، بل وعدم جواز إعادتها «ينبغى الحضور بين جماعات أهل السنّة،

ص: ۳۱۳

واجتناب الصلاة فى المنازل» إلا جانب آخر من جوانب اهتماماته رضوان اللّه عليه فى مسألة هذا الاجتماع ودليل حرصه الأكيد على ما يتركه من آثار، فشقّ الصف يؤدّى إلى نتائج وخيمة وبالتالى نفقد ونخسر فوائد الحج واجتماع المسلمين فى هذا الموسم المبارك وما يتركه من هيبة ورهبة فى صفوف الأعداء، فمن أقواله بهذا الخصوص:

«طوفوا حول الكعبة بالطواف المتعارف على النحو الذى يقوم به جميع الحجاج».

أى بعيداً عمّا يثير الانتباه لنشازه وغرابته، فيكون له أثر بالغ فى شقّ الظاهرة الاجتماعية هذه «احترزوا من الأعمال التى يفعلها الأشخاص الجاهلون» لما تتركه هذه الأعمال من آثار سيئة على هذه الفريضة ووحدة الصف فيها واجتماع المسلمين الموحّد، «ويجب على الاخوة الايرانيين وشيعة سائر الدول الاحتراز من الأعمال الجاهلة التى تؤدى لتفرقة المسلمين».

ولم يبخل رحمه اللّه تعالى بما يمدّ هذا التجمّع الأكبر من عناصر القوّة والثبات والديمومة؛ ليؤدى معانيه الإنسانية الجميلة فى ظلال الدين الإسلامى الحنيف.

فالهدف الأسمى من إرسال هذه الرسالة الخاتمة هو إنشاء الجماعة الفاضلة التى تُبنى على الفضيلة، ويرتبط أبناؤها بالأخلاق الفاضلة والمودّة الواصلة؛ لتكون نموذجاً يحتذى من قبل الآخرين، وفضيلة متحرّكة قد يتأثّر بها من يراها حتّى وإن كان من أعدائها.

الهوامش:

ص: ۳۱۴

البعد الإجتماعی للحج فی نظر الإمام الخمینی (قدّس سرّه)

البعد الإجتماعی للحج فی نظر الإمام الخمینی قدس سره

البعد الإجتماعی للحج فی نظر الإمام الخمینی قدس سره

أحمد الواسطی

یتمتّع الإمام الخمینی قدس سره بفکر وعبقریة ذات طابع تجدیدی مستوحی من مبادئ الإسلام الأصیلة. فهو رحمه الله عندما ینظر لمسألة الحج فی بعده الاجتماعی ینطلق من هذا المعین المتمثّل بأحکام السماء الخالدة، ومن الصعب- بهذه العجالة- الإحاطة بفکر الإمام العملاق.

لقد أصبح الإمام قدس سره رمزاً إنسانیاً عالمیاً؛ لأنه کرّس کلّ حیاته وعمره الشریف- الذی لیس ملکاً له- من أجل تغییر الإنسان وتزکیته من کلّ أشکال العبودیات وبنائه بناءً إسلامیاً جدیداً.

موقع النظریة الاجتماعیة فی الحیاة الإنسانیة

إنّ الجوانب الرئیسیة لاسلوب وطریقة تعامل النظریة الاجتماعیة مع مختلف جوانب الحیاة البشریة تتمثّل بالمجتمع الإنسانی والسلوک الاجتماعی.

والجدیر بالذکر أنّ النظریة الاجتماعیة هی ما یطرحه الدین علی نطاق النظریة الفقهیة الدینیة.

ص: ۳۱۵

وتتمتّع النظریـة الاجتماعیـة بخاصـیة وضع المؤشـرات الدقیقـة للموازین الاجتماعیـة فی الحکم والسـیاسة، والقضـاء والتعلیم، والعائلـة، والقانون، والدفاع، والصحة، والتجارة والزراعة، والصـناعة... لذا فالمسؤولیة الملقاة علی عاتق النظریة الاجتماعیة کبیرة جدّاً، ذلک أنّ جمیع العناوین السابقـة سـتدخل تحت مظلّـة عنوان کلّی هو دراسة السـلوک الاجتماعی والمجتمع الإنسانی. ومن هنا یتضح ان النظریة الاجتماعیة فی ظل النظام الإسلامی، تستلهم أفکارها من مبادئ الدین وأحکامه الشرعیة ونظامه الأخلاقی.

الإسلام والواقع الاجتماعی للحج

إنّ الإسـلام کنظام عالمی خالد قرّر أحکاماً وقوانین ثابتة لجمیع نواحی الحیاة الإنسانیة. منها ماله علاقة بالخالق البارئ، ومنها ما یرتبط ببنی النوع المماثلین فی الخلق. ومنها ما یرتبط بأتباع الدین الواحد من سائر المسلمین.

والإسـلام یربّی المسـلمین تربیـة إلهیّـة، ویوجّههم نحو صـراط العزیز الحکیم من خلال تـذکیرهم وإرشادهم إلی صالـح الأعمال، قال تعالی:... قـد جاءکم من اللَّه نور وکتاب مبین* یهدی به اللَّه من اتّبع رضوانه سُـبل السـلام ویخرجهم من الظلمات إلی النور ویهدیهم إلی صراطٍ مستقیم.

فـالقرآن المبیّن للأحکـام والوظـائف دعوته عامـة لکـلّ الأفراد والجماعات، کما أنّ النبیّ محمّـداً صـلی الله علیه و آله رسول اللَّه إلی الناس جمیعاً. ومن هنا، فالإسـلام یدعو الناس جمیعاً وبصوت واحد. والمسـلمون المعتقدون بالإسلام تتوحّد أهدافهم الإسلامیة باتجاه واحد وبخطی متراصّة.

وان کلّ ما رآه الإسـلام هدفاً قیّماً مقدّساً یراه جمیع المسـلمین کذلک. هذا مع العلم بأنّ هذه الأحکام والقوانین کالحج مثلًا تبیّن فیما یتعلّق بالمسلمین أهدافاً یهتم بها الإسلام ویرکّز علیها.

وأن العزّة والانتصار فی حیاة المسلمین یترتّبان علی مدی الالتزام بهذه

ص: ۳۱۶

الأحکام والقوانین وتحکیمها فی مختلف شؤون الحیاة الیومیة.

وقد أکّد الإمام الراحل قدس سره علی «أنّ جمیع الانتصارات والهزائم تنطلق من الإنسان، والإنسان أساس النصر وأساس الفشل، وما یحمله الإنسان من أفکار وتصوّرات هو أساس کلّ شیء».

فالذی یحثّ علیه الإمام رحمه الله بشکل متواصل لبلوغ الهدف هو مسألة التغییر الذاتی والنفسی للفرد والمجتمع علی حدٍّ سواء انطلاقاً من مبادئ الإسلام ومفاهیمه الکلیة الشاملة إنّ اللّه لا یغیّر ما بقومٍ حتّی یغیّروا ما بأنفسهم.

الإمام والمسیرة التاریخیة

إنّ حرکة التاریخ فی فکر الإمام قدس سره، ترتکز علی مبدإ وحدة الامّة، وأیّ أمر من شأنه إیجاد العقبات، أو تفریق الامّة یکون مرفوضاً إسلامیاً. فالإمام رحمه الله شخّص القاسم المشترک والأرضیة المشترکة، التی یجب أن تقف علیها الامّة فی مواجهة قوی الاستکبار العالمی.

فهو قدس سره ینظر إلی الحج باعتباره الساحة التی یمکن فیها تعریة النفاق فی الامّة.

وفیما یتعلّق بالانقسامات بین المسلمین، فقد استطاعت الطائفیة أن تَنْخَرَ جسم عالمنا الإسلامی طیلة قرون عدیدة.

وکان نتیجة هذه الظاهرة والانقسام الکبیر بین السنّة والشیعة، أن تسود العالم الإسلامی حالة الضعف. وقد کان میسوراً علی الإمام الاستفادة من هذا الوضع، إلّاأنه بشخصیّته الإسلامیة الفذّة، بقی فوق کلّ هذه الانقسامات، بل قام بوظیفته الإسلامیة بتوحید صفوف جمیع المسلمین علی اختلاف مذاهبهم، من خلال نظرته الإسلامیة الشاملة.

فالإمام الراحل قدس سره لا یمکن تحجیمه بأی شکل من الأشکال، أو تحدیده ضمن مدرسة فکریة إسلامیة. کما أنّ الحجّ بالنسبة للإمام یمثّل أقصی درجات التعبیر عن قوّة الإسلام.

ص: ۳۱۷

الحجّ فی الفکر الاجتماعی الشمولی للإمام قدس سره

قال اللّه تعالی: وأذّن فی الناس بالحجّ یأتوک رجالًا وعلی کلّ ضامرٍ یأتین من کلّ فجٍّ عمیق.

تشغل أهمیة البُعد الاجتماعی للحج حیّزاً کبیراً فی فکر الإمام الخمینی رحمه الله لما له من دور تغییری علی الصعید العالمی. ذلک أنّ المسلم فی الحج یدرک بشکل واضح وجلیّ أنه یعیش فی جسم الامّة، وأنّه جزءٌ لا یتجزّأ من هذه الامّة الکبیرة.

کما یشعر بأنّ کیانه مرتبط بکیانها، وأن المسلمین جمیعاً ذمّتهم واحدة یسعی بها أدناهم.

فهذا الأذان والإعلان العام للحج من قبل خالق الکون والرسول الأکرم صلی الله علیه و آله، ثم التجاوب البشری من مختلف بقاع الأرض یمثّل التواجد الواقعی لُلامّة الإسلامیة. ومن هنا جاء نداء الإمام رحمه الله «یا مسلمی العالم، یا مستضعفی الأرض هیّا إلی النظام الذی جاء من قِبل اللّه تعالی لنموّکم وتکاملکم ولسعادتکم فی الدنیا والآخرة، ولإزالة الظلم وحقن الدماء ونصرة المظلومین فی العالم...».

فالحج فی رؤیة الإمام العمیقة تترتّب علیه الأهداف الإسلامیة الکبری لإزالة الظلم ونصرة الحق.

لذا یتّضح أنّ الحجّ حرکة إلی اللّه من خلال الاندکاک والذوبان مع الجماعة الإسلامیة ومن مختلف الأجناس والألوان والأصقاع. فالوسط الاجتماعی یعتبر المحکّ الذی من خلاله یستطیع الفرد المسلم تهذیب «الأنا» وتجاوز الوقوع فی دائرة الإغراء، أو الإثارة. ذلک أنّ المسلم إسلام مجسّد لتحقیق أهدافه وطموحاته وتجسیدها فی حیّز الواقع. علماً بأنّ هذه الأهداف تؤثّر فی إیجاد علاقة اجتماعیة بین کلّ المسلمین، فإذا کان کل مسلم بصدد تحقیق هذه الأهداف، فهو یکون بصدد بناء مجتمع عالمی صالح علی ما یدعو إلیه إسلامه.

لقد أکّد الإمام رحمه الله علی التحرّک الجماهیری الإسلامی فی مختلف بقاع العالم

ص: ۳۱۸

الإسلامی، وبقی وفیاً لشعاراته الواضحة حتی انتهاء حیاته، وأوصی بها بعد وفاته.

وکم کان یتألّم رحمه الله حینما یری هذا التخاذل والتراجع المستمر، فهو رحمه الله کان یحذِّر المسلمین من القعود والوقوف مکتوفی الأیدی إزاء ما یجری حولهم.

لقد سعی الإمام قدس سره بکل ما أُوتی من قوّة من أجل ربط الإسلام بواقع المسلمین الاجتماعی. کما وقف بحزم وشدّة بوجه الذین شوّهوا صورة الإسلام الواقعیة، حیث قال بشأنهم: «أَبعَدوا الإسلام عن واقع الحیاة الاجتماعیة... فقطعوا رأسه وسلّموا لنا بقیّته، وجرّونا إلی الوضع الذی نعیشه الیوم، وما دام المسلمون علی هذه الحالة فلن یستعیدوا مجدهم».

وعلی صعید آخر نجد الإمام رحمه الله یُلفت أنظار المسلمین إلی مسألة إثارة الشکوک حول الإسلام وعلمائه، وأن الدین لا علاقة له بالأوضاع الاجتماعیة من خلال ما أثارته المؤسسات الاستعماریة حیث یقول قدس سره:

«ووسوست لهم فی صدور الناس أنّ علماء الدین لیس لهم أن یتدخّلوا فی الشؤون الاجتماعیة...، لیس من حق الفقهاء أن یعملوا لتقریر مصیر الامّة..

ومن المؤسف جدّاً أنّ بعضنا صدّق بتلک الأباطیل. وقد تحقّق بهذا التصدیق أکبر أمل کانت تحلم به نفوس المستعمرین».

ومن هنا یمکن القول: إنّ الإمام رحمه الله من خلال وصایاه وتوجیهاته فی مختلف المناسبات، یحاول إماطة اللثام عن مکر الماکرین، وتوعیة الامّة علی أهمیة الأهداف الاجتماعیة فی تبلیغ الرسالة الإسلامیة.

فهو قدس سره یشیر مراراً وتکراراً إلی أنّ «کثیراً من الأحکام العبادیة تصدر عنها معطیات اجتماعیة...».

فصلاة الجماعة مثلًا واجتماع الحج والجُمعة تؤدی- بالإضافة إلی ما بها من آثار خلقیة وعاطفیة- إلی توحید کلمة المسلمین باتجاه الأهداف المطلوبة.

ص: ۳۱۹

کما أشار رحمه الله موضّحاً آثار الحج الاجتماعیة قائلًا:

«استحدث الإسلام هذه العواطف، وندب الناس إلیها، وألزمهم ببعضها حتی تعمّ المعرفة الدینیة وتعمّ العواطف الأخویة، والتعارف بین الناس وتنضج الأفکار وتنمو وتتلاقح، وتبحث المشاکل الاجتماعیة... وحلولها».

لقد استوحی الإمام قدس سره هذه المعطیات من القرآن وسنّة الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله فی تکریس الوظیفة الاجتماعیة للحج الإسلامی، وتعریة کلّ المحاولات الجاهلیة لتشویه هذه الشعیرة، وإبعادها عن أهدافها الحقیقیة. فعندما نمعن النظر فی مسألة الطواف والسعی وغیر ذلک من شعائر الحج الإبراهیمی نلاحظ أنّ هناک انصهاراً وذوباناً ضمن کتلة بشریة واحدة تسودها القوة والفاعلیة، وتموت فیها «الأنا» ولا نجد أی مجال للفردیة، بل الحضور کلّ الحضور للجماعة المسلمة، حیث یشعر الفرد المسلم بأنّ هذه الامّة لم تعدّ أمّة مجزّأة ومشتّتة العری والأوصال، وإنما تتمتّع بکیان واحد ومصیر مشترک. ذلک أنّ المسلمین فی الحج یتحوّلون إلی امّة واحدة، عندما یتحرّکون باتجاه واحد، ویلبّون تلبیة واحدة، ویلبسون لباساً واحداً، ویطوفون حول کعبة واحدة، ویسعون فی اتجاه واحد، وفق مناسک مشترکة.

لذا من أجل هکذا نوع من الارتباط والتلاقی، تمّ إعداد الإنسان لیکون اجتماعیاً. ذلک أنّ الإنسان من خلال هذا اللقاء والارتباط بالمجتمع یصل إلی درجة من النضج والرُقیّ فی سُلّم الکمال الذی أعدّه اللّه تعالی له.

فالإحرام من المیقات تعبیر عن الذوبان فی المجموع. والطواف حول البیت یمثّل الانجذاب إلی اللّه تعالی والتوجّه نحو الحیاة، قال تعالی: قل إنّ صلاتی ونسکی ومحیای ومماتی للّه‌ربّ العالمین* لا شریک له وبذلک أُمرتُ وأنا أوّل المسلمین.

ومن هنا یتضح أنّ الامّة من خلال مناسک الحج تعیش تجربة التوحید، والارتباط باللّه والمعایشة الفعلیة مع الامّة- بنظر الإمام الراحل- فی جوّ یسوده

ص: ۳۲۰

الودّ والاخاء بعیداً عن روح الإثارة والفوضی والجدل.

ومن هنا جاء تأکید الإمام الراحل بشکل متواصل علی توحید الکلمة والصفّ الإسلامی، ونبذ الخلافات الجانبیة، والرجوع إلی القرآن الکریم مصدر القوّة والعزّة، حیث قال رحمه الله بهذا الصدد: «إن سبب کل المشاکل فی البلاد الإسلامیة هو اختلاف الکلمة وعدم التعاون، ورمز الانتصار هو وحدة الکلمة وإیجاد التعاون... کونوا جمیعاً للإسلام، وتوجّهوا إلی الإسلام ولصالح المسلمین، وابتعدوا عن التفرقة والخلاف الذی هو أساس مشاکلنا وتخلّفنا».

فالإمام رحمه الله یعمل بدقّة ومبدئیة لتوحید کلمة المسلمین، وإرجاعهم إلی القرآن والسنّة والعمل علی أساس الإسلام. والحج الإسلامی فی بعده الاجتماعی الکبیر والواسع أحد أهم الطروحات، التی أعلنها الإمام الراحل فی مواجهة المستکبرین والمتصیدین بالماء العکر، والحیلولة دون تحقیق أهدافهم المتمثّلة بفرض سیطرتهم علی البلاد الإسلامیة، وبثّ روح الخلاف والتفرقة بین المسلمین؛ لیسهل بالتالی نهب ثرواتهم ومصادرتها.

إنّ البُعد الاجتماعی للحج من خلال فکر الإمام الشمولی یعدّ عاملًا واسع الأبعاد؛ لما له من دور مهم وکبیر فی تربیة الإنسان علی أن یکون تغییریاً لا یقبل الواقع الفاسد بشکل مطلق.

فنجده رحمه الله یقول: «یجب استثمار هذه الاجتماعات لأهداف الإعلام والتعلیمات الدینیة، وتوسعة مدار النهضة العقیدیة...».

کما کان یحرص رحمه الله کلّ الحرص فی أن یؤدّی الحجّ دوره الکبیر فی إعداد المجتمع الإسلامی المؤمن، العابد، الموحِّد، الواعی لخطط الاستکبار ودسائس المستعمرین.

ص: ۳۲۱

الهوامش:

ص: ۳۲۲

هموم الوحدة

هموم الوحدة

هموم الوحدة

نبيل على صالح

تمهيد عام:

تواجه امّتنا الإسلامية فى العصر الراهن تحديات مصيرية جمة، تختزن- فى كلّ مضمونها وحركتها الداخلية- أبعاداً وأهدافاً تخريبية عنصرية، تتحرّك- فى حسابات الواقع- من خلال مخطط استكبارى عالمى ينظم حركتها، وينسق مواقفها، ويجسّد مطامعها فى تحقيق مزيد من حالات السيطرة والاستغلال عبر أساليب همجية بعيدة كلّ البعد عن أدنى حالات التخلّق بالقيم الإنسانية، ومبادئ حقوق الإنسان فى العيش الآمن المستقر، وطبيعة الهدف التكاملى الأعلى للإنسان فى حركة الحياة.

ويمكننا- فى هذا المجال- ملاحقة هذه التوجّهات العامة، ودراسة إرهاصاتها، ونوعية أهدافها فى الواقع العالمى الجديد، من خلال معرفة كيفية تحرّك مساراتها فى داخل حياتنا ونسيجنا السياسى والاجتماعى، حيث يصرّ منتجوها- كما يظهر- على تكريس حاكمية الاستعمار الحديث المستكبر، فى فرض سيطرته المطلقة

ص: ۳۲۳

على حركة الشعوب الإنسانية المستضعفة فى شتّى بقاع المعمورة، وفى جميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتّى الفكرية والإعلامية.

ونحن لا نريد أن نُتَّهم بالتجنّى على الغرب أو الدخول فى متاهات العقدة النفسية والفكرية تجاه السلوكية الغربية- كما يحلو للبعض أن ينسب إلينا ذلك- لأنّ المسألة ترتبط ارتباطاً مباشراً ووثيقاً بالواقع المتعثّر والمفكّك الذى خُلقنا فيه، ونتحرّك ضمنه، ونتنفّس هواءه، ونعايشه بكلّ معطياته، وعناصره، ومقوّمات وجوده الداخلية والخارجية التى تتصل بقضايا وإشكاليات هامّة وخطيرة على مستوى علاقة الإنسان بحركة الأبعاد الفكرية والسياسية والاجتماعية فى ضمن أجواء ومناخات العمل الحضارى الراهن.

ويكاد هذا الواقع العالمى الجديد يُجْمِع بكليته- من خلال سلوكيته وأدائه، وإنْ لم يعلن ذلك رسمياً- على أنّ هناك تحرّكات وفعاليات منظمة ودقيقة يقوم بها الاستكبار والكفر العالمى لتأكيد خطّه الحضارى الذى يتوافق مع مصالحه فى استمرارية جَعْل المنطقة العربية والإسلامية عموماً دائرةً لنفوذه وسيطرته، ومجالًا حيوياً لتنفيذ مخطّطاته ومؤمراته ومصالحه، بهدف تطويق الأمّة، ومواجهة إسلامها الحركى الفاعل الذى يشعرون بأنّه أصبح يمثّل خطراً داهماً على مصالحهم الاستكبارية فى العالم كلّه؛ ولهذا فإنّهم يواجهونه بكل الوسائل التعسفية على جميع المستويات والأصعدة. ونستطيع أن نتلمس واقعياً آثار هذا المخطط، وامتداداته العملية من خلال متابعة الأحداث، التى جرت وتجرى الآن فى العالم الإسلامى الذى حوّلوه إلى بؤرة للتوتر والانفجار.

إنها مشاكلنا نحن كمسلمين، حُوربنا فى وجودنا الفكرى والعقائدى، وفقدنا شعورنا الواعى والأصيل بهويتنا وانتمائنا الدينى الحضارى، وتغرّبنا عن واقعنا تائهين فى سراديب العالم وأنفاقه المظلمة، نلتقط فكرة هنا واخرى هناك، عسى أن تساهم فى حلّ مشاكلنا التى استعصت علينا، والحلّ كائن- أصلًا-

ص: ۳۲۴

بين ظهرانينا. لقد أصبحنا فرقاً وشِيَعاً يكفّر بعضنا بعضاً وينافق بعضنا على بعض آخر، ويحاول كلّ فريق منّا أن يبحث عن عقد الفريق الآخر، وهو يحمل فى ذاته أكثر من عقدة، فقط من أجل النيل منه، أو تسجيل نقطة لصالح هذا الطرف أو ذاك.

أجل لقد انطلقنا نحو الزوايا المظلمة والضيّقة، وابتعدنا- فى سلوكنا الذاتى والاجتماعى، وأساليب ممارستنا لأجواء وأبعاد الواقع المختلفة- عن ساحة اللقاء والتواصل، والحوار الهادئ والواعى والمنفتح على اللَّه تعالى بقلوب صافية وعقول واعية من أجل نيل رضاه، وإعلاء كلمته. ولعل الأمر الذى يدعونا- أكثر من أى وقت مضى- إلى تعميق أواصر الوحدة، والمحبة، والتعاون، والتضامن ورص الصفوف، هو وجود كلّ تلك المشاكل والعقبات المتأصلة فى نفوسنا وواقعنا (وهى فى أغلبها مضخّمة، ومصطنعة، ومطبوخة فى دوائر المخابرات والأمن الإقليمى والدولى). حيث نجد أنها تعيق مسار حركتنا باتجاه اللَّه أوّلًا، ومن ثم باتجاه وحدتنا الإسلامية ثانياً. ونحن- حقيقةً- المعنيين والمستهدفين بها أوّلًا وأخيراً؛ لأنها وُجدتْ وانطلقت فى فكرنا وعاطفتنا وواقعنا، ولا نجد أن هناك إمكانية لحلّها والتخلّص من أجوائها السلبية الضاغطة، إلّابتعميق الشعور بالتقريب الروحى والفكرى بين المسلمين، ومن ثم السعى الحثيث الصادق والمخلص على طريق تحقيق وحدتنا الإسلامية المنفتحة والواعية والواقعية. ولكن ما هى هذه الوحدة؟! وكيف السبيل إلى تمثُّل هذا الهدف السامى والعظيم؟! ومن ثم كيف يمكننا تَفَهُّم حقيقة بواعث ونتائج تلك الوحدة على ضوء القرآن الكريم والسنّة الشريفة؟! وما علاقتها بقضية النهضة الإسلامية المنشودة؟ هل هى مجرّد دعوات وصيحات حماسية انفعالية نُطلِقها فى الهواء ليحلم بها الإنسان المسلم كملجإ يفرّ إليه هارباً من تعقيدات الواقع، ومشكلات الحياة، وضبابية الأهداف فيها، أم أنها مخدّر روحى يبعث فى النفس راحة وطمأنينة لبعض الوقت كملاذ يعيش فيه مجتمعنا

ص: ۳۲۵

وإنساننا ازدواجية الشخصية الروحية والسلوكية؟

إنّ العناوين القادمة تحاول رصد إجابات واقعية هادئة وعقلانية عن ذلك كله، من خلال متابعة الهدف الكبير فى إطار الواقع الحى، فى مواقع السمو والرفعة بطريقة متوازنة بعيدة عن أجواء العاطفة الانفعالية، والحماس اللاعقلانى المنطلِق كردّة فعل على واقع التخلّف والتجزئة الذى نعايشه فى عصرنا الراهن.

الوحدة الإسلامية على ضوء القرآن والسنّة:

أبدى القرآن اهتماماً بالغاً وملحوظاً بقضية الوحدة وإشكالية التقريب بين مذاهب المسلمين، ودعا إلى بذل كلّ الطاقات والجهود الممكنة على هذا الطريق من أجل الوصول إلى الواقع الوحدوى الإسلامى، فيما يعطيه من عوامل متعدّدة تتحرّك فى مفردات الحياة من موقع القوّة الحركية فى الفكر والوجدان والعاطفة، بهدف تحصين الامة الإسلامية من عوامل الانهيار والانقسام والتفكّك الاجتماعى والسياسى والأخلاقى والفكرى، وإعادة حضارتها الشاملة، وثقافتها الإنسانية الرسالية الغنية إلى الساحة العالمية.

ويمكن أن نقرأ فى صفحات كتاب اللّه العظيم الآيات التالية التى تشكّل- بحدّ ذاتها- عناصر وحدوية فعّالة، واسساً راسخة فى عملية الدعوة إلى بناء فكر واحد، وعاطفة واحدة، وشعور واحد، يمكن أن تنطلق- فى كلّ زمان- دعوةً فى المطلق، تحتاج- فيما تحتاج- إلى إنزالها، بوعى، حركةً وممارسةً نسبيةً على أرض الواقع المحدود- المثقل بالهموم والانكسارات والانقسامات والتراجعات- لتشييد الدولة الإسلامية الواحدة فى مستقبل الدعوة:

قوله تعالى: واعتصموا بحبل اللّه جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمة اللّه عليكم إذْ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً .... تُحدّثنا الآية الكريمة السابقة عن عمق هدف الوحدة من خلال إظهارها لنتائج الوحدة وآثار التفكّك والتفرقة، فالمجتمع الجاهلى- وكلمة جاهلية

ص: ۳۲۶

تتحرّك فی کـلّ زمن یبتعـد فیه الإنسان عن اللَّه- کان یحمل بین طیّاته عوامل الضـیاع والانقسام والتشـرذم إلی عصبیات قبلیـة، وعقد طائفیـة، وعاطفـة ساذجـة ممزوجة بالحقد والبغضاء، بینما کانت الحالة مختلفة تماماً فی ظلّ الدولة الإسـلامیة الواحدة التی عَمِلت علی تجسید أهداف الوحدة، وتمثّلت- بعمق ووعی- دعوتها الوحدویة المبنیة علی المحبة، والمودة، وروح التعاون والوفاق والأخوة والإلفة فیما هی الوحـدة فی العاطفـة والوجـدان، وفیما هی الوحـدة فی الفکر الواحـد أیضاً، حیث لَمَّتْ الـدعوة الوحدویة الإسـلامیة شَـعْثهم، وجمعت کلمتهم، ووحّدت صـفوفهم فکراً وروحاً، قلباً وقالباً، ونسـفت من الجذور المناخات الجاهلیة بکلّ موروثاتها وتبعاتها السـلبیة. ونسـتطیع أن نفهم من خلال کلمة «الاعتصام» بحبل اللَّه تعالی معنی الالتزام بنهج القرآن کقاعدة صـلبة متماسـکة للوحدة المنطلقة من عوامل الوحـدة الفکریـة والعملیـة بعیـداً عن کلّ الإثارات العائلیـة، والقومیـة، والإقلیمیـة المصـطنعة والمسـتغرقة فی الذاتیـة والانفعالیة والأنانیة.

یقول الشـیخ محمد عبده، فی تفسیر المنار، معلّقاً علی الآیة السابقة: «.. فی کلمة الاعتصام المشتقّة من کلمة العصمة، توجد نقطة مهمة وجمیلة جدّاً وهی أنه سبحانه کأنما یرید أن یقول:

إنّ أساس هذا الاعتصام یتهیّأ عن طریق التمسّک (بحبل اللَّه) وهو نفسه الشریعة الإلهیة، وبعبارة اخری الکتاب السماوی.

إذاً یمثّل الاعتصام بحبل اللَّه القاعدة الصلبة التی یمکن للمسلمین أنْ یرتکزوا علیها من أجل توحید المسیرة، وتوحید الهدف فی نطاق توحید الامة، وذلک فی إطار التخطیط الواعی الذی یتجاوز السـلبیات والإیجابیات، ویقف مع السـلبیات وقفة فکر لا عاطفة، ویعتبر أن وضوح الرؤیـا لـدی أیـة جهـة لا یعنی وضوحها لـدی الآخرین ممّا یسـتدعی مزیـداً من العمل والصبر والتحمُّل فی سبیل الوصول إلی وحدة الرؤیة للأشیاء والمواقف فی اتجاه وحدة الهدف الکبیر، وذلک هو ما یبعدنا عن متاهات النظرات والتحلیلات التی

ص: ۳۲۷

يثيرها الآخرون فى أجواء غير إسلامية ممّا استحدثوه واستنتجوه من تجارب ذاتية أو أهواء منحرفة.

قوله تعالى: إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء إنّما أمرهم إلى اللّه ثمّ ينبئهم بما كانوا يفعلون.

تستنكر الآية السابقة إثارة الخلافات والنزاعات المنحرفة، وتدين- فى الوقت نفسه- عناصر الضعف والتباعد والتفرقة فى كلّ زمان، ويتبرأ فيها النبى صلى الله عليه و آله و سلم من اولئك الذين حملوا راية الفتنة، وحاولوا تحجيم دور الإسلام الرسالى فى الحياة، ومن خلال إضعاف وحدته وبثّ الفتن والاضطرابات، وزرع الأحقاد داخل المجتمع الواحد.

قوله تعالى: ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم.

يأمرنا اللّه تعالى فى هذه الآية المباركة بلزوم الوحدة، والابتعاد عن الأجواء الخانقة والضيّقة التى تثير الخصومات، وتؤجج الصراعات والمنازعات بين أفراد المجتمع؛ لأنها تنطلق من الأفكار الذاتية المنحرفة والخاضعة لسلوكية النوازع الشخصية، الأمر الذى يؤدى إلى إضعاف حركة الإنسان والرسالة فى الواقع فى خط وحدة الكلمة والصف والموقع.

قوله تعالى: إنّ هذه امّتكم امّة واحدة وأنا ربّكم فاعبدون.

إنّ هذه امّتكم امة واحدة وأنا ربّكم فاتقون.

فى هذه الحالة الإنسانية النفسية الرائعة، ومن خلال هذا المناخ الروحى المنفتح، تنطلق الآيتان على طريق الإنسانية الموحدة بهدف حثّنا على ضرورة أن نكون امّة واحدة فى الفكر والشعور والهدف من خلال وحدتنا فى عبودية الخالق الواحد العظيم .. لنتحرك فى الدائرة الإنسانية- بعد تَوَحُّدِنا فى الدائرة الإسلامية- على طريق التوحيد والشريعة، بعيداً عن الانغلاق والتقوقع والتعصب، وبالتالى الانفتاح على الآفاق الإنسانية الرحبة من موقع رسالتنا وفكرنا ومبادئنا الإسلامية الرفيعة ..

فالوحدة الإسلامية إذاً أمر إلهى علينا أن نصدع له بالانفتاح بعضنا على بعض

ص: ۳۲۸

فی مواقع کلٍّ منّا فی الإسلام، وتعمیق أواصر الاخوة واللحمة بیننا؛ لتشرق من جدید شمس الامة الإسلامیة الواحدة فکراً وروحاً، وذلک بالابتعاد عن مواطن الفرقة، وتجاوز العقد الذاتیة من خلال العمل علی ترسیخ النظرة الکلیة الواعیة المنطلقة فی وعینا علی أساس القواسم المشترکة الکبیرة القائمة- بالدرجة الاولی- علی وحدة الخالق والشعور بعظمته، وهذا ما نحسّ به من قوله تعالی: کنتم خیر امّة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنکر. إننا نتصوّر أن التحرّک علی طریق تمثّل وتجسید قیم ومبادئ القدوة الحسنة لا یتمّ إلّا بالتأسیس لعناصرها القاعدیة الأساسیة فی شتّی الحقول والمیادین الحیاتیة والاجتماعیة، ومن أولویات وبدیهیات ذلک، مسألة الوحدة العملیة .. هذا ما بدأه عملیاً رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم والائمة الأطهار علیهم السلام من خلال السعی الی تقویة رکائزها، وتوثیق عُراها وأرکانها بین المسلمین جمیعاً.

أولًا- رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم داعیة الوحدة:

یمثّل الرسول صلی الله علیه و آله و سلم المحور المرکزی الواعی فی حرکة الرسالة الإسلامیة، فی ذهنیة الامّة الإسلامیة، بغضّ النظر عن طریقة الارتباط بهذه «الشخصیة- الرمز» التی سعت منذ البدایة- من خلال قوّة وعنفوان ووعی فکرها الرسالی- إلی نسف جذور المجتمع الجاهلی الذی کان یتحرّک فی دائرة العصبیات القبلیة والعشائریة والنعرات الطائفیة المعقّدة .. یقول صلی الله علیه و آله و سلم:

«إنّ اللَّه تبارک وتعالی قد أذهب بالإسلام نخوة الجاهلیة وتفاخرها بآبائها .. ألا إنّ الناس من آدم، وآدم من تراب، وأکرمهم عند اللَّه أتقاهم».

وقد کانت السیرة النبویة الشریفة للرسول الأکرم صلی الله علیه و آله و سلم ملیئة بنماذج وحدویة هامّة، وأعتقد أنّ قصة رفع الحجر المعروفة بالنسبة إلینا جمیعاً، مَثّلتْ درساً عملیاً بلیغاً أراده الرسول لنا کی یفهم الناس- علی اختلاف أزمنتهم وأمکنتهم- أن الوحدة قوّة والفرقة ضعف. مع ضرورة التزام

ص: ۳۲۹

القيادة الشرعية العادلة والواعية وهكذا كانت معركة بدر التى انتصر فيها جيش المسلمين- بقلّته القليلة المؤمنة باللَّه- على جيش المشركين بكثرته الغالبة فى الكم والضعيفة فى الكيف والنوعية والروحية. وكذلك كان الأمر نفسه بالنسبة لفتح مكة، وغيرها من النماذج الوحدوية الرائدة فى تاريخ الإسلام، التى أراد من خلالها الرسول صلى الله عليه و آله و سلم أن يبنى فى وعى الناس فكراً وحدوياً رسالياً يرتبط باللَّه الخالق الواحد، والقرآن الواحد، والرسول الواحد، ويذوب فى الرسالة الإسلامية ليرتفع بهم جميعاً إلى مستوى القيادة الحكيمة للإنسانية جمعاء فى خط العدل والتقوى والاستقامة. هذا ما نقرأه فى خطابات رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم:

«المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً».

«مَثَلُ المسلمين فى توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

«.. المسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمّتهم أدناهم وهم يدٌ على من سواهم».

ثانياً: أهل البيت عليهم السلام وحدة الإسلام فى حركية الهدف:

حرص أهل البيت عليهم السلام جميعاً على وحدة وعزّة الامّة، ودعوا إلى إزالة عوامل التناقض والتباعد والخلافات بين أهلها إعلاءً لراية الحق والإسلام وكلمة اللَّه، وهذا ما يمكن متابعته فى حركة الدعوة فى خط الإمام على عليه السلام ومواقفه الإيجابية التى لا تُنسى مع الخلفاء الذين سبقوه فى الحكم ..

قوله عليه السلام يوم السقيفة: «سلامة الدين أحبّ إلينا».

وقوله عليه السلام: «واللَّه لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ...».

وقوله عليه السلام أيضاً فى خطاب تحذيرى إلى قوم من أهل العراق كانوا يسبّون أهل الشام: «إنى أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكن لو وصفتم أفعالهم وذكرتم حالهم لكان أصوب فى القول، وأصدق فى الحجّة، وقلتم مكان سبّكم إيّاهم: ربّنا أحقن دماءنا ودماءهم، واصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم

ص: ۳۳۰

من ضلالتهم حتّى يعرف الحق من جهله، ويرعوى عن الغى والعدوان من لهج به ..».

اما الإمام الحسين عليه السلام فقد نهض فى عاشوراء الإسلام، وانطلق بوعى وثبات من موقع الإيمان بضرورة الحفاظ على وحدة الصف الإسلامى، وتحصينه من الطائفية والعصبيات العشائرية، محاولًا إعادة الامّة إلى حالة الوعى والنقاء الذى كانت عليه زمن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، ومصحّحاً مسيرة النهج الإسلامى الأصيل والرافض لقيم الجاهلية والطغيان والاستكبار والتمرّد على قيم اللَّه ومبادئ الإسلام.

يقول عليه السلام: «إنّى لم أخرج أشِراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح فى دين جدّى، اريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّى صلى الله عليه و آله و سلم ...».

لقد كانت كربلاء محطّة وحدوية إسلامية فى وعى الامّة؛ لأنها وضعت وحدة المجتمع والامة الإسلامية هدفاً لها، كما وكانت- فى الوقت ذاته- قفزة نوعية رائدة فى الفكر والوجدان حاولت، وقد نجحت فى محاولتها تلك، أن تؤسس قواعد راسخة للحياة الحرّة الكريمة فى خط العدالة الإنسانية. ولولا هذه «النهضة- الثورة» لما كان بإمكاننا أن نشهد تلك التغيرات الكمية والكيفية المتنوّعة التى ظهرت على مسرح الأحداث فى العصور اللاحقة.

أما الإمام جعفر الصادق عليه السلام فيقول فى حديثٍ معبّر له عن معاملة الشيعة لبقية المسلمين: «صلّوا فى جماعتهم، وعودوا مرضاهم، واحضروا جنائزهم أو موتاهم، حتى يقولوا:

رحم اللَّه جعفر بن محمد فلقد أدّب أصحابه. كونوا زيناً لنا، ولا تكونوا شيناً علينا ..».

واقع الوحدة الإسلامية

لاشك بأنّ للوحدة الإسلامية دوراً كبيراً فى الحفاظ على المقدّسات الإسلامية، وممارسة الشعائر المرتبطة بها والمعبّرة عن امتداد معاييرها وقيمها إلى ساحة الحياة كلّها. ومن الطبيعى أن يكون العامل الوحدوى- فى هذا السياق- عامل قوّة ووقاية وأمن

ص: ۳۳۱

للإسلام ببعديه الروحى والمفاهيمى، ومدى ارتباط- كلا البعدين- بالمقدّسات الإسلامية، على أساس فهم معنى الوحدة، ودراسة سُبل إنجازها، ووعيها فى واقع المسلمين حاضراً ومستقبلًا.

ومن المهم جدّاً- بالنسبة لقضية الوحدة الإسلامية، فى إطار وعى معنى الدفاع والجهاد- أن نعى حقيقة أساسية مفادها أن هذه المقدسات، التى تمثّل عنواناً إسلامياً بارزاً، هى فى الأساس من أهم العوامل الوحدوية القوية التى يجب ممارستها والسعى لإنجازها، والعمل على إطلاق سراحها من السجون الطائفية والمذهبية التاريخية المختنقة والمغلقة إلى ساحة الحياة الواسعة، لتتنفّس الهواء الطلق، ولتكون عملية التزامها- فى إطار الحياة- واعية وعاقلة وصلبة فى وجه المخططات التآمرية والتحديات المصيرية التى تواجهها امّتنا فى الوقت الحاضر.

لذلك فإن من واجب المثقفين والدعاة الإسلاميين أن يتحرّكوا بوعى عميق على الطريق الذى يبرز أهمية الوحدة، وضرورة تعميقها فى الذهنية الإسلامية عموماً، لكونها وسيلتنا الوحيدة للحفاظ على مقدّساتنا وقيمنا وشعائرنا التى يحاك ضدّها- خصوصاً عندما يتمّ تفسيرها، كما هى فى واقعها الأصيل، فى خط العدل والقوة والمساواة ورفض الظلم والتبعية والاستلاب والذوبان فى الآخر- مخطط استكبارى همجى، تمثّل بولادة الغدّة السرطانية «اسرائيل» فى قلب العالم الإسلامى، من أجل ابتلاع أولى القبلتين وثالث الحرمين (مبتدى المعراج ومنتهى الاسراء- القدس الشريف) وخلق أجواء التوتر والخلافات فى هذه المنطقة بالذات بغية السيطرة على الطاقات، والإمكانيات الطبيعية والبشرية الموجودة فى العالم الإسلامى.

من هنا نؤكّد مرّة اخرى على أهمية وحدتنا فى هذا الظرف العصيب من حياة امّتنا، الذى يراد له أن يكون ظرفاً استكبارياً عالمياً بامتياز على أساس منطق القوّة والتفرّد والهيمنة المطلقة.

وقد لاحظنا مدى القدرة التى يمتلكها الاستكبار العالمى فى الوصول إلى

ص: ۳۳۲

مطامعه ومصالحه عن طريق بثّ التفرقة، والضعف، والشّقاق فى الصف الإسلامى مرّات كثيرة جدّاً بالرغم من السلبيات ونقاط الضعف الموجودة فى داخله (فى داخل قوى الاستكبار).

لـذلك يجب علينا أن نسـتوعب التطوّرات العلميـة «الجديـدة- القديمـة»، ونتفهم واقعنا جيـداً، وندرك تمام الإدراك أن الاسـتعمار- الذى جزّأ امّتنا الإسـلامية الواحدة، وفكّك قوّتها، وحولها إلى شـراذم وعشائر وقبائل متناحرة، وسـيطر على معظم مقدّراتها فى الأرض والفضاء وفى السـياسة والاقتصاد، ورَبطها معه باتفاقيات ومعاهـدات منفصـلة ووثيقة- يريد الآن أن يضـمنَ اسـتمرارية تحكّمه بوجودنا وحريتنـا، وهيمنته علينـا من خلال قيـامه بمسـخ الشخصـية الإسـلامية، وإلغـاء الانتمـاء الرسـالى الإسـلامى بالالتفـاف على المقـدّسات والمبادئ والشـعائر الإسـلامية فى كل مكان، وتفسـيرها بما يتناسب وتحقيق تلك المصالح. ولا حل كائن فى الواقع إلّابالوحدة، وزرع ركائزها ومقوّماتها فى النفوس قبل النصوص؛ لأنّها تشكّل الضمانة الحقيقية للإطار القيمى وأنساقه الحضارية التى تحفظ- من خلالها- حُرْمة مقدّساتنا، ونأمن لشعائرنا الإلهية أن تنطلق فى الخط العام قوّة وحركة مستمرّة.

لهـذا كلّه ولغيره آمنت الجمهوريـة الإسـلامية فى إيران- منذ بداية تفجّر ثورتها الإسـلامية العالمية بقيادة الإمام الخمينى الراحل رحمه الله- بأهمّيـة الوحـدة- وبالحـلّ الإسـلامى لجميع قضايا المسـلمين فى العالم، وبخاصـة القضـية الأساس (فلسـطين- القـدس) من خلال دعوتهـا إلى وحـدة إسـلامية مدروسـة وواعيـة. وقـد عبّر الإمام الخمينى عن هـذا الموقف العملى، وصـرّح به فى جميع مواقفه وأفعاله الشجاعة الجريئة والحكيمة .. من خلال ما يلى:

تقوية العلاقات وأواصـر الاخوّة الإسلامية بين جميع المسلمين، وتوثيق عرى الصف الداخلى عبر انفتاح كلّ فريق (السنّة والشيعة) على الفريق الآخر .. وما اهتمام الإمام الخمينى بأداء فريضة الحج- التى تجتمع فيها كلّ الفرق والمذاهب الإسلاميّة- بصورتها

ص: ۳۳۳

الإبراهيميّة التى ترتكز على الوحدة بين المسلمين والبراءة من أعدائهم وأعداء الإنسانيّة إلا دليل عملى واعٍ تتّصف به الثورة الإسلاميّة على أدائها الوحدوى وبعدها عن التفرقة والتشرذم.. يقول الإمام: «إنّ إحدى الفلسفات الإجتماعيّة لهذا التجمّع العظيم من جميع أنحاء العالم هو توثيق عرى الوحدة بين أتباع نبيّ الإسلام، أتباع القرآن الكريم فى مقابل طواغيت العالم..». ونحن عندما نقرأ الإمام الخمينى فى واقع النهضة الإسلامية فى إيران، لا نرى فيه إلّاقائداً إسلامياً عامّياً نذر نفسه لخدمة الإسلام، ووضع طاقاته ومواهبه كلّها تحت تصرّف المسلمين جميعاً .. فها هو يقول- وقد حوّل قوله هذا إلى فعل واقعى- عند افتتاحه اجتماعاً لطلّاب المدارس العالية: «لقد جئت إلى هذا المكان لأعرض خدمتى عليكم، فأنا خادمكم جميعاً ما دمت حيّاً، أنا فى خدمة الشعوب الإسلامية».

ويقول قدس سره: «كلّنا إخوة، وكلّنا نعيش قلباً واحداً، غاية الأمر أن الحنفى يعمل بفتاوى علمائه، وهكذا الشافعى، وثمّة مجموعة أخرى هى الشيعة، تعمل بفتاوى الإمام الصادق عليه السلام، وهذا لايبرّر وجود الاختلافات .. لا ينبغى أن نختلف مع بعضنا، أو أن يكون بيننا تناقض، كلّنا اخوة .. على الاخوة الشيعة والسنّة اجتناب كل اختلاف، فالاختلاف بيننا اليوم هو لصالح الذين لا يؤمنون بالسنة ولا بالشيعة، ولا بالمذهب الحنفى، ولا بسائر الفرق الإسلامية، وهؤلاء يريدون القضاء على هذا وذاك .. فهدفهم بثّ الفرقة بينكم، عليكم أن تنتبهوا جميعاً. إننا جميعاً مسلمون وأتباع القرآن وأهل التوحيد».

الدعوة إلى الوحدة الإسلامية فى مستوى الخارج (الاخوة الإسلامية) من أجل الدفاع عن القيم والمقدّسات الإسلامية فى وجه الدسائس والمؤامرات.

يقول الإمام الراحل: «إنّ الدعوة إلى الإسلام تعتبر فى الحقيقة دعوة إلى الوحدة، وهى تعنى أن يكون المسلمون مجتمعين معاً حول كلمة الإسلام ..».

والواضح أن هذا الخطاب الوحدوى الخمينى لم يتغيّر بعد تسلمه للسلطة فى

ص: ۳۳۴

إيران، ولا نجد- بالنظر إلى ذلك- تمييزاً فى التوجّه بالعطاء والدعم إلى عموم المسلمين المستضعفين، بين مرحلتى الثورة والدولة.

فمن مرحلة الثورة يمكن أن نستذكر النصّ التالى الذى يوجّه فيه الإمام رحمه الله الحديث إلى حكّام إيران آنذاك: «ليعلم حكّام إيران بأن منهجنا هو الإسلام، وأن رائدنا هو وحدة المسلمين فى أرجاء العالم، وإرساء أسس تحالف رصين مع جميع البلدان الإسلامية للوقوف صفّاً واحداً متراصّاً بوجه الصهيونية وإسرائيل وكل الدول الاستعمارية».

أمّا عندما أصبح قائداً للدولة والمجتمع (منطق الدولة) فإننا نسجّل للإمام الخمينى قوله التالى الذى يعلن فيه- وبوضوح تام- وقوف الجمهورية الإسلامية الإيرانية بكل إمكاناتها ومقدّراتها إلى جانب المسلمين فى كل مكان: «إننى أعلنها صراحةً أنّ الجمهورية الإسلامية فى إيران توقف إمكاناتها وكلّ جهودها لأجل إحياء الشخصية الإسلامية للمسلمين فى كلّ أرجاء المعمورة».

لقد كان التطبيق العملى لكلمات وأقوال الإمام الراحل هو الأصل الثابت فى الموقف الشعبى والرسمى للجمهورية الإسلامية، وهو ما تحكيه عناصر ومكوّنات هذا الخط، بحيث أصبحت مصداقية تجربة التطبيق فى سياسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية تُقاسُ بمدى التزامها (مجتمعاً ودولة) بنهج ومحتوى الخط الخمينى، وثوابته الروحية والفكرية الوحدوية الإسلامية. ويمكن ملاحظة ذلك من خلال مجموعة الإجراءات العملية التى اتبعها الإمام قدس سره فور انتصار الثورة سنة ۱۹۷۹، والتى تدلّ على وعى إيمانى عميق وراسخ بقضية الوحدة الإسلامية:

۱- مقاطعة الكيان الصهيونى، وتحويل سفارته فى طهران إلى سفارة لفلسطين، ومن ثمّ إلى موقع أساسى لعمل المجاهدين الفلسطينيين بعد استسلام عرفات وأتباعه من منظمة التحرير.

۲- تشديد الحصار وتضييق الخناق على الكيان الصهيونى من خلال إقفال أنابيب البترول، التى كانت تضخ النفط

ص: ۳۳۵

إلى فلسطين المحتلة، مع نسف جميع المعاهدات والمواثيق والاتفاقات الموقّعة فى عهد الشاه البائد.

۳- رفع درجة المواجهة مع إسرائيل إلى حالتها القصوى من خلال دعوته إلى تشكيل جيش العشرين مليون مسلم لتحرير القدس وجميع الأراضى الإسلامية المغتصبة.

۴- الدعم المادى والمعنوى للانتفاضة الباسلة (سابقاً) ولجميع الحركات الإسلامية- وغير الإسلامية- الثورية التحررية العاملة ضد الكيان الصهيونى وعملائه فى كلّ مكان.

۵- إعلان الإمام رحمه الله ليوم القدس العالمى فى آخر جمعة من شهر رمضان المبارك، ونقرأ قوله: «إنّ يوم القدس ليس يوم فلسطين فحسب .. بل هو يوم إحياء الإسلام ..».

وقد يثير الكثير من المتابعين لحركة السياسة الإيرانية حالياً بعض الأسئلة (الإشكالية) عن صدقية التوجّهات والسياسات (والنوايا) الإسلامية الراهنة التى دارت (وتدور) حول ضرورة تخلّى الجمهورية الإسلامية عن همومها ومشاغلها خارج الحدود بذريعة التصدّى لأعباء الإعمار، والتفرّغ لمتطلّبات إعادة البناء الحضارى المدنى ..!

.. ولكنّنا نودّ أن نقول للجميع: بأنّ الإمام الخمينى قدس سره لم يعطِ تلك الاتجاهات أيّة فرصة لتنمو وتتعملق وتمتدّ داخل ايران، بل قطع الطريق عليها بمجموعة من المواقف المبدئية الثابتة، وحشَدَ لها نصوصاً وأقوالًا متراصة لا تزال موجودة بقوّة فى الحركة السياسية الخارجية للجمهورية الإسلامية، بل إنّها تعدّ من أهم الشعارات الوحدوية العملية التى سلكت تعابير وطرقاً أخرى، وإنْ بدا ذلك للكثيرين بأنه تراجع عن أسس وثوابت الثورة الإسلامية، على صعيد حركتها الخارجية الداعمة للعدل والتحرّر والوحدة الإسلامية. يقول قدس سره محذّراً المسؤولين فى الجمهورية الإسلامية: «ليعلم المسؤولون أنّ ثورتنا لا تنحصر بحدود ايران، فثورة شعب إيران هى طليعة وفاتحة الثورة الكبرى للعالم الإسلامى». وعلى هذا المسار

ص: ۳۳۶

الإسـلامی المشـرق جاءت مبادرات الإمام الخمینی إزاء اسـتمراریة الدعم الکامل للمقاومة الإسـلامیة الباسلة فی جنوب لبنان، ولجمیع فصائل وحرکات التحرّر الإسلامیة فی فلسطین المحتلة.

وعلی الخط نفسه، ولکن بعنوان وبتعبیر آخر، جاءت رسالـة الإمام إلی غورباتشوف عام ۱۹۸۹، وموقفه من کتاب سلمان رشدی، وغیر ذلـک من المواقف الإسـلامیة الصـلبة والثابتـة، بـالرغم من کـلّ التحـدّیات والأخطـار والـدسائس، ممّـا یعبر عن اسـتمرار نهـج العنایة والاهتمام الکبیر بقضایا وهموم المسلمین، وتخطی الجغرافیة الإیرانیة.

البعد الإنسانی للوحدة الإسلامیة: ویتجلّی ذلک من خلال النظرة الإنسانیة العالمیة التی انطلقت فی خط العدل والحق. ویمکننا، فی هذا المجـال، قراءة عنـاوین إنسانیـة بـارزة فی خطابـات الإمـام الراحـل قـدس سـره: «إنّ ثورتنـا إسـلامیة قبل أن تکون إیرانیـة .. إنّها ثورة المستضعفین فی کلّ أنحاء العالم، قبل أن تتعلّق بمنطقة خاصة».

هـذا وقـد ترسّخ الدور الوحدوی الإسـلامی الرائد للجمهوریة الإسـلامیة الإیرانیة فی الوقت الراهن من خلال إقامة المؤتمرات الفکریة الإسـلامیة، والاحتفالات المختلفة، وتشجیع المبادرات الثقافیة ذات الطابع الوحدوی، وتنسیق المواقف والأدوار والآراء، وإعلان اسبوع خاص بالوحدة الإسـلامیة یتزامن مع ولادة رسول اللّه صلی الله علیه و آله. وذلک عمل أوّلی (تمهیدی) یهدف إلی تعمیق الوحدة فی النفوس. وقـد جاء تأسـیس مجمع التقریب بین المـذاهب الإسـلامیة- ضـمن الاتجاه نفسه- کلبنـة أساسـیة للعمل الوحدوی المشترک، حیث تمّ وضـعه موضع التنفیذ الفعلی، والسـعی الجدّی المسؤول نحو بناء وحدة فکریة وثقافیة ثمّ سیاسیة فاقتصادیة. والواقع أن الآمال المعقودة علی هـذا المجمع کبیرة ولاشک، وهذا الأمر یفترض تحرّکاً واعیاً ومنسـقاً من جمیع الدول الإسـلامیة المسـتقلّة فی أکثر من ستّین دولة، من أجل دعم هذا المشروع الوحدوی المتکامل کخطوة أساسیة علی طریق الوحدة الإسلامیة الکبری

ص: ۳۳۷

التی تشکّل بحدّ ذاتها هدف المسلمین جمیعاً علی هذه البسیطة. والواضح أن هذا المجمع یحتاج إلی دعم کبیر باعتباره باعثاً حیویاً لنصرة جمیع قضایا المسلمین العادلة فی کل مکان. علی أساس أننا أصبحنا نشهد الیوم بدایة إحداث تکتلات سیاسیة واقتصادیة وعسکریة جدیدة علی أنقاض التکتلات والأحلاف السابقة.

الوحدة الإسلامیة وحقیقة السؤال النهضوی الإسلامی عند الإمام الخمینی:

فی خطاب له وجّهه إلی حجّاج بیتاللّه الحرام یقول سماحته: «یا مسلمی العالم، ماذا جری لکم فی صدر الإسلام، علی قلتکم هزمتم القوی العظمی، وحقّقتم وجود الأمة الإسلامیة الإنسانیّة الکبری، وأنتم الیوم تعدّون ما یقارب المللیار نسمة وتملکون الثروات الکبیرة، التی تعتبر رأس الحربة وتعانون إلی هذا الحدّ من الضعف والإنسحاق فی مقابل الأعداء؟ هل تعلمون أنّ کلّ المصائب التی تعانون منها هی نتیجة التفرّق والاختلاف بین رؤساء بلدانکم وبالتالی فیما بینکم؟..».

تدفعنا الإمکانات الوحدویة النفسیة والشعوریة، والطاقات العملیة الذاتیة- التی تختزنها أمّتنا الإسلامیة فی داخل ذاتها الحضاریة، ومنظومتها العقائدیة التاریخیة، وفی داخل أراضیها الطبیعیة- إلی إثارة مواجهة الأسئلة الملحة الراهنة عن واقع المسلمین، وأسباب ما هم فیه من تخلّف وتبعیة وانقسام. ونبدأ من الأسئلة الأساسیة التالیة:

لماذا لا- یزال المسلمون فی شتّی أنحاء العالم خاضعین ورازحین تحت سطوة الحکومات الظالمة المستبدة، والقوی الاستکباریة الکبری؟! ما هو الحل الموضوعی لهذه «المشکلة- العقدة» التی لا- تزال تفعل فعلها فی کلّ مواقعنا وأوضاعنا السیاسیة والاجتماعیة والاقتصادیة؟! وأین یکمن سرّ قدرة المسلمین فی التغلّب علی هذه المشاکل المستعصیة؟! ثمّ إنّ هناک واقعاً عالمیاً جدیداً- بدأ بالتشکّل بعد سقوط الشیوعیة- یلزمنا أن نبحث عن دور

ص: ۳۳۸

لنا فی خضم صراعاته، ودوائر عمله السیاسی والثقافی والحضاری الآن وفی المستقبل .. فهل نبقی فی عزلة وتباعد من خلال أجواء ومناخات التفکّک والتفرقة المسیطرة علی واقعنا، علی أساس أن لکلّ واحد منّا مشاکله وهمومه الخاصة، أم أن هناک آفاقاً ومنافذ وإمکانات حقیقیة یمکننا الالتقاء علیها کمسلمین نطمح إلی مشارکة فعّالة فی المسیرة الحضاریة العالمیة، وممارسة دور رسالی وتبلیغی رائد بین أمم العالم کلّه؟!

إننا نعتقد أن تلک الأسئلة الإشکالیة الخطیرة تعکس هاجس أمّة بقیت تعیش- طوال أجیال متعاقبة- علی هامش الفعل والانتاج والحیاة الحضاریة الإنسانیة، وهی تبذل الآن قصاری جهدها، وتحاول توظیف واستثمار کلّ طاقاتها ومواردها علی طریق إعادة الوعی الذاتی بالإسلام، وصیاغة الفعل الإبداعی الهادف الخاص بالحضارة الإسلامیة، وبالتالی المساهمة الفاعلة فی تولید مجتمع إنسانی تسوده قیم العدالة والمحبّة والسلام.

وقد حاول روّاد النهضة والإحیاء العربی والإسلامی تقدیم بعض الإجابات الفکریة والعملیة عن تلک الأسئلة منذ نحو قرنین من الزمن ..

ولکنّها قلّة تلک الطروحات والمشاریع الاستنهاضیة التی أشارت إلی موضع الخلل، وسبب المعاناة، وأساس الأزمة.

ولعلّ الطرح الفکری الإسلامی الأصیل للإمام الخمینی قدس سره- المبنی علی قاعدة الوحدة الإسلامیة، ومحاولة بعثها وإیقاظها من جدید بین مذاهب المسلمین جمیعاً- کان من أبرز التحلیلات المعمقة التی ربطت بین الوحدة وبین النهضة.

لقد رکّز النص الوحدوی الخمینی- فی سیاق وعیه لإشکالیات وهموم المشروع النهضوی الإسلامی- علی أنّ هناک مشاکل أساسیة لم تأخذ بعد موقعها الصحیح المیّز فی الوعی الإسلامی المعاصر، تقف أمام مسیرة الحرکة الوحدویة والنهضویة الإسلامیة، وتتجلّی فی النقاط التالیة:

۱- انطفاء ورکود الطاقة الروحیة الکامنة فی الذات الإسلامیة.

ص: ۳۳۹

۲- تمركز عقدة الخوف المصطنع (من الآخر) فى نفوس المسلمين.

۳- التبعية والاستلاب وفقدان الشعور العملى الملتهب بالهوية الروحية والثقافية.

لقد أدّت تلك العوائق مجتمعة إلى إصابة المسلمين بعقدة الإحساس بالحقارة والدونية بين أمم العالم، الأمر الذى أفضى لاحقاً إلى تكبيل إرادتهم، وشلّهم عن الحركة والعطاء، وبالتالى انكفاء الأمة عن الانتاج والإبداع، بل وحتّى عن مجرّد التأمّل والتفكير بتغيير الأوضاع المتردية القائمة؛ لأنّ بناء الإنسان معنوياً، وتقوية إرادته ووعيه الذاتى بالإسلام، وشعوره العميق بهويته المفقودة- مع وجود مشروع هادف ومتكامل البنى والعناصر والإمكانات- هو الذى يشكّل القاعدة الصلبة، والمرتكز التكوينى الحقيقى لإطلاق وإثارة القدرات الكامنة للإنسان المسلم، وتركيز طاقاته باتجاه الفعل الخارجى المبدع، بعد تحريره من قيود الخوف الوهمى المصطنع والمضخّم فى الدوائر الظالمة (محلياً وعالمياً) .. وهذا ما يؤكّد عليه إمامنا الخمينى قدس سره فى نصوص كثيرة تفيض بمعانى النهضة الواعية، وتكشف النقاب عن أهمية ودور الطاقة الروحية الإنسانية فى مواجهة تعقيدات الواقع، وأزمات الحياة الإسلامية الراهنة. يقول: «إن من أعظم الخيانات أن يجعلوا طاقتنا الإنسانية متخلّفة، ويَحُوْلوا دون إصلاحها ونموّها». وهذه هى مهمّة الإسلام الأساسية فى أنه «يربّى الإنسان ليكون إنساناً فى جميع الحالات»، لأن بناء الإنسان الصالح والواعى من الداخل هو الركيزة الحقيقية لبناء العالم الخارجى .. «ويمكن لإنسان صالح واحد أن يربّى عالماً بأكمله، ويمكن أن يجرّ إنسان فاسد طالح العالم إلى الفساد».

والواضح أنّ اكتمال الإنسان السليم لا يتمّ إلّابالقضاء التام على الشعور المَرَضى بالخوف من الآخر. هذا الخوف الذى لا يزال يتحكّم ويسيطر على نفسية الإنسان المسلم. ونحن نعتقد- فى هذا الإطار- أن أنظمتنا السياسية القائمة- التى توزّعت فى منطقتنا إثر خريطة سايكس بيكو، ومعاهدات الاستقلال- تساهم مساهمة فاعلة فى

ص: ۳۴۰

ممارسة النهج النفسى الضاغط ذاته الذى مارسه الاستعمار قبلها، وأراد من خلاله تحطيم نفسيات الشعوب المستضعفة، وقتل إرادة النهوض والاستقلال والحرية لديها عبر ممارسة أساليب القمع والكبت، واتباع سياسة كمّ الأفواه، وكتم الأنفاس، وملاحقة الصلحاء والمعارضين، وانتهاك كرامات الناس بطريقة منهجية منظّمة.

من هنا جاء تركيز الإمام الخمينى فى نهضته الوحدوية الرائدة على تحرير الإنسان، وتطهير شعوره من هواجس الخوف، وتأكيده على ضرورة أنّ جهود المخلصين فى أى بلد يجب أن تتجه صوب الشعوب وعموم الناس؛ لتهديم مرتكزات الهيبة الزائفة للقوى السلطوية الظالمة المحلية والعالمية، وإعادة الثقة بالذات الإسلامية.

يقول الإمام الخمينى قدس سره: «عليكم أن توقظوا أبناء الأمة التى ركزوا فى ذهنها خلال سنوات متطاولة عدم إمكان معارضة أمريكا أو الاتحاد السوفيتى (السابق)، ولا زالت هذه الدعاية راسخة فى الأذهان .. عليكم أن تُفهموا الجماهير أنّ هذا الأمر ممكن، وخير دليل على ذلك ما وقع فى ايران».

والأمر لا يقف عند حدّ الخوف من الآخر، بل يتكرّس بشكل أكبر وأوسع من خلال عقدة الانبهار الأعمى بكلّ ما هو أجنبى أو بالتحديد «غربى».

والاستهانة- إلى درجة الاستهزاء المستفز- بكلّ ما هو شرقى وعربى أو بالتحديد «إسلامى». وقد تأطرت هذه العقدة فى الواقع الإسلامى المعاصر من خلال تأثيراتها السلبية على الوعى، وفى السلوك الاجتماعى والسياسى العربى والإسلامى أيضاً، حيث أدّت إلى إيجاد فصل حادّ وخطير بين القدرة والطاقة التى توافرت عند المسلمين، وبين واقعهم المنقسم والمفكّك من خلال قعود المسلمين أنفسهم عن العمل، وانتظارهم السلبى لكلّ شىء من عالم الغرب، كما وأشاعت- تلك العقدة- بعض المفاهيم الاستلابية التى عطّلت ممكنات الحركة، وعمّقت الإحساس الجامد بالأمر الواقع الراهن الذى انغرست فيه بقوّة الأنظمة السياسية التغريبية بمختلف اتجاهاتها، وتياراتها،

ص: ۳۴۱

ومرجعياتها الفكرية التى أوصلت مسيرة الأمة إلى الغايات والأهداف نفسها التى رغبت بتحقيقها الإدارات السياسية الغربية فى واقعنا الإسلامى.

وهنا يعبّر الإمام الخمينى عن هذه العقدة- ويتابع آثارها النفسية والسلوكية- فى نصوص كثيرة نختار منها النص التالى: «نسى المسلمون الشرقيون مفاخرهم كلّها ودفنوها .. نسبوا كلّ شىء إلى الغرب .. نقلوا إلينا كل موضوع من الغرب .. لقد نسينا أنفسنا حقّاً وجلسنا مخلوقاً غريباً فى مكاننا!».

ونقرأ فى نصّ آخر للإمام الراحل رؤيته الموضوعية الخاصة بتجاوز تلك العقدة، وضرورة تحرير المسلم من نتائجها وتراكماتها التاريخية السلبية التى لا تزال تتكدّس بعضها فوق بعض حتّى الآن، وذلك من خلال:

أ- تحقيق الانتماء الرسالى الفعّال إلى الدائرة الإسلامية (العودة إلى الذات).

ب- التمرّد على الضغوطات الغربية، ووجوب مواجهتها ومقارعتها (بحسب الواقع والإمكانات).

ت- تحقيق الحسم السياسى والاجتماعى الداخلى (تغيير أنظمة التبعية والتغريب).

ث- البدء الفورى بإجراءات إحلال النظام الإسلامى كبديل للأنظمة القائمة.

يقول قدس سره: «يتوجّب على الأشخاص الموجودين فى البلاد الإسلامية، من أولئك المعتقدين بالإسلام الذين تنبض قلوبهم من أجل شعوبهم، ويريدون خدمة الإسلام، يجب أن ينهض كلّ واحد منهم ببعث شعبه من الداخل لكى تعثر شعوبهم على ذاتها التى افتقدتها، ذلك أنّ الشعوب التى فقدت ذواتها فقدت فى الحقيقة بلادها».

ويبدو أنّ تحقيق الاستقلال الروحى والفكرى أولًا- كشرط مسبق لتحقيق الاستقلال السياسى والتنموى والحضارى من خلال العودة إلى الذات، ووعى طبيعة متغيّرات الحياة وتحوّلات الواقع الداخلى الذاتى والموضوعى- يشكّل عند إمامنا الراحل قدس سره المعادل النفسى البديل الذى يقضى على المحتوى النفسى للعقدة، ويجهز عليها، ليحل محلّه. أى يحلّ الاعتزاز بالانتماء والهوية مكان

ص: ۳۴۲

الاعتزاز بالغرب والشوق إليه وإلى حمل هويته. على أننا نلاحظ أنّ استعادة الأمة لذاتها وحضارتها لا تقوم فى أطروحة الإمام قدس سره على بدائل مفتوحة لا عدّ لها ولا حصر، وإنّما شرط الاستعادة أن تتمّ بالإسلام المحمّدى الأصيل الذى يعتبره إمامنا النظام العقلانى الموضوعى البديل عن أنظمة القهر والظلم والتبعية التى ساهمت- بحكم تبعيتها واستلابها وتماهيها مع الذات الاستعمارية الغربية- فى زيادة حالة الفشل والإفلاس لمشاريعها السياسية والتنموية، وذوبان الهوية، وترسيخ الأنماط التبعية للمركز والمحور الغربى. هذه الظواهر- وغيرها مجتمعة- عمّقت إحساس الشعوب الإسلامية المستضعفة بالعجز عن التغيير المنشود، وضاعفت من شعورها بضرورة الالتحاق والذوبان الكامل بالغرب كمشروع إنقاذى وحيد.

لقد استطاع الإمام الخمينى قدس سره تحقيق نهضة إسلامية راشدة وناضجة، أكسبت الإسلام المعاصر قوّة محرّكة ودافعة باتجاه تجسيد قيم ومبادئ الرسالة الإسلامية على أرض الواقع المعاش، فى محاولة جادّة ومسؤولة لإعادة الحياة، وبثّ الروح فى طروحاته الرسالية التى كاد الزمن يضعها طى الكتمان والنسيان.

كما وأثبت- فى الوقت نفسه- أنّ الفكر الاجتماعى الإسلامى قادر- بل هو المؤهل حصراً- على قيادة السفينة إلى شاطئ وبر الأمان؛ لأنه يمتلك ديناميات الحركة والتحول الذاتى الخاص بالدوافع الروحية والعملية لمشاعر وإرادات كلّ العرب والمسلمين على طرق التحرير والتنمية والتحديث.

أجل لقد كان إمامنا الخمينى الراحل- كما عبّر عن ذلك الشهيد الدكتور فتحى الشقاقى- «الحل والبديل الإسلامى» الحضارى ليس فى الفكر والتغيير والثورة فحسب، وإنّما فى التقريب والوحدة.

خاتمة البحث

إن المنطق القرآنى والعقلانى يفرض علينا أن نسلك طريق الوحدة فى الواقع العملى للمسلمين؛ لأنّها تشكّل القاعدة الأساسية فى التحرّك الفاعل والمثمر من أجل مواجهة تخلفنا المفروض علينا

ص: ۳۴۳

(الـذى نتحمّـل فيه القسـط الأـوفر من أسـبابه ونتـائجه) لـذلك لابـدّ لنا من تهيئـة الأجواء المناسـبة والظروف الحركيـة المؤاتيـة للعمل الوحدوى، بعيداً عن كلّ حالات الفرقة والتنابذ ومحاولة إيقاف تيّار الوحدة.

إننا نجـد ضـرورة ملحـة فى مؤازرة ودعم الجهود المضـنية الكبيرة التى تبـذلها إيران فى إطار رغبتها إقامة علاقات وحدوية بين جميع الـدول الإسـلامية؛ لأنّ الهـدف واحـد ومشترك وهو لا يختصّ بإيران وحـدها، لذلك من المفروض أن تظهر فى الواقع العملى ردود أفعال إيجابية واضـحة على تلك الدعوات الصـريحة- الصادرة من أعلى هيئات ومؤسسات الحكم الإسلامى فى ايران- من قبل جميع الدول العربية والإسلامية كى يتمّ توفير التربة الخصبة والمناخ المناسب لنمو بذرة الوحدة الفكرية والعملية بين المسلمين.

إننا يجب أن نفهم واقعنا جيداً، ونعرف طبيعة متغيّراته وتطوّراته السـريعة، وننطلق لنمتلك- من خلال وحدتنا- كلّ ما يمكن أن يجعلنا قادرين على التحرّك الفعّال لمواجهة هذا الواقع المعقّد والمظلم، ولو اقتضـى ذلك أن نعانى من مشكلة الزمان، فلا ضير أن نصل إلى هـدف الوحـدة المنشود بعد قرن من الزمان، المهم أن نمتلك المبادرة للانطلاقة المؤثّرة والمنتجة، ونبدأ الحركة باتجاه أهدافنا العالية والطموحـة من موقع الحوار الإسـلامى المنفتح على هدى القرآن وطريقه المسـتنير، ومن موقع المعرفة الواعية لحقيقة ما يدور فى عالم اليوم والغد.

إننـا نؤمن إيمانـاً راسـخاً بـأنّ الجـدران والحواجز التى أقامها الآخرون بين علومهم وتقنيتهم المتطوّرة- التى يعود الفضل الأساسـى فى نموها وإثمارها إلى حضارة العرب والإسـلام- وبين واقعنا المتخلّف المنقسم، لابـدّ من أن نواجهه (بل نقتحمه) بالعمل اليومى الحثيث الصـادق فى كـلّ العنـاوين والمفردات من خلال الـوعى والعلم والعقـل وامتلاـك أسـس التكنولوجيـا الحديثـة. بـالرغم من أنّ ذلك سيصطدم- لا محالة- بأكثر من مشكلة ومشكلة، لكن الأمر المهم هو البدء الفورى بتحقيق شروط الحسم

ص: ۳۴۴

الـداخلی من أجـل بنـاء الاجتمـاع السیاسـی الوحـدوی، ثمّ الانطلاق إلی فتـح الثغرات فی واقع الآخرین؛ لأنّه من غیر المعقول أن نبنی جداراً علی أساس ضـعیف وهشّ ومتخلّف یعانی من التبعیة والاسـتلاب للآخر، لاسـیّما أن هذا الجدار محکوم علیه بالتعرّض للأهوال والعواصف والزوابع التی یثیرها ضدّه الاستکبار العالمی، وکثیر من أصابعه الرجعیة فی المنطقة.

إننا نعتقد أنّه من الأفضل- بالنسـبة للحرکة الإسـلامیة، علی طریق انجاز وحدتها- أن تعمل علی إیجاد قنوات فکریة وسیاسیة وإعلامیة یمکن أن تفسح المجال للتنسـیق فی نطاق خطة مشترکة، أو تصوّر متقارب کوسـیلة أولیة من وسائل اکتشاف أسـس تقاربها ووحدتها مع بعضـها فی کثیر من الطروحات والمناهج والأسالیب بحیث تتمثّل أمامها الصورة الإسـلامیة الصحیحة للمشروع الحضاری الإسلامی العام، مع التنوّع فی دائرة الوحـدة، أو الوحـدة فی خط التنوّع ممّا یسـهِّل للوحـدة ظروفها الثقافیة، ویمهّد الطریق لإنجاز بعض ملامحها العامّـة فی انتظار تکامل مناخاتها وظروفها النفسـیة والعملیـة، والوصول إلی مزیـد من التعاطف والتواصل والتلاقی علی أکثر من قضـیة کبیرة وهامـة. وقد أثبتت التجربة أن من یبدأ بوعی سـیصل إلی مبتغاه مهما کانت الظروف صـعبة والأجواء معقّدة. إننا ندعو- فی هذه الأـجواء- إلی اعتمـاد الحـوار الجریء الهـادئ والموضـوعی باعتبـاره هو القـادر علی إثـارة دفـائن العقول فی خـط الوعی نحو هـدف التقریب والوحـدة بین المسـلمین، کأساس عملی ناهض وقوی لعمل مشترک فی کلّ المجالات الحیاتیـة؛ لأن قیمـة الحوار- فی الواقع العملی للمسـلمین- مؤثرة وضـروریة جدّاً من حیث کونه مطهراً لنفوس المسـلمین من التباغض، والحقد، والعصبیة العمیاء، وعملًا فعالًا للتبادل الثقافی والمعرفی کمرحلـة أساسـیة لتعمیق وإنضاج مرتکزات الأفکار والمعارف من أجل الوصول إلی النقاط الثابتة المشترکة، وبالتالی الإیمان بالحقیقة الواعیة والمستنیرة، طبعاً إذا أخذنا بعین

ص: ۳۴۵

الاعتبار أنّ هذا الحوار سيكون منطلقاً من خلال ثوابت القرآن الكريم والسنّة الشريفة ومعطيات التاريخ الصحيح من خلال إعادة دراسته بنزاهة وموضوعية بعيدة عن الأهواء النفسية والانفعالية، مع تجاوز الذات، وموضوعية القصد والرؤية والهدف، أى من موقع الفكر لا العاطفة. وهذه الطريقة قد تساهم- إلى حدٍّ كبير- فى بناء وتأسيس وحدتنا النفسية الأولية؛ لأنّها تؤدى إلى الوحدة الفكرية التى هى القلب النابض للوحدة الإسلامية الشاملة، ثمّ العمل على ملاحقة التجارب الوحدوية الاخرى فى مجالات العمل السياسى والاقتصادى ..

إلخ، بالرغم من تعقيدات الأوضاع والظروف والمواقف العامّة للمسلمين التى يخلقها الاستكبار العالمى (ونحن نشاركه فى ذلك أيضاً) فى كلّ لحظة كحجر عثرة فى طريق الوحدة الإسلامية المطلوبة. وأود التذكير هنا بأنّ النظرة المثالية لقضية الوحدة- التى يحاول أصحابها النظر إلى القضية من المنظار العاطفى فى مستوى الفكر والتشريع على أساس النظرة التجزيئية للدائرة الإسلامية- لا يمكن أن تحقّق الأهداف والتطلعات الأساسية للمسلمين على طريق إنجاز وحدتهم؛ لأنّ الأمر يتطلّب فى الواقع أن ننظر بعمق إلى المستوى الإسلامى ككيان متكامل فى الفكر والروح والعمل فيما يمثّله من قاعدة للفكر والحياة والإنسان.

ونحن نجد أنّ النظرة الواقعية لمسألة الوحدة تتمثّل- فى تحد تعابيرها وتجلّياتها- فى تلك اللقاءات المتواترة التى تعقد بين القيادة الإسلامية من جهة، وفى وحدة القضايا المصيرية المشتركة والآلام والتحديات القاسية التى تصيب هذا الجسم الإسلامى هنا من جهة ثانية، فيتفاعل معها الجسم الإسلامى هناك.

إننا نجد فى ذلك كلّه حركة إيجابية فى اتجاه الانفتاح الواعى الواسع على الواقع الإسلامى برمّته، بتعقيداته وأجوائه الباردة والساخنة، على مستوى العاطفة المتفاعلة مع النتائج السلبية والإيجابية، والموقف الحاسم فى نصرة الخط والموقع

ص: ۳۴۶

بطريقـة وبأخرى. وربّما نجـد، وفى هـذا المجال، ضـرورةً فى أن نتبّه الحركيين الإسـلاميين- العاملين فى طرق الوحدة والتقريب- إلى أهميـة الاسـتفادة من هـذه الإيجابيات الروحيـة والفكريـة الكبيرة، ومحاولـة تعميقها ذهنياً وشـعورياً وحركياً لتوسـيع مـدارات التجربة، والإكثـار من نماذجهـا الحيّـة، وإبعـاد الأوضاع القلقـة والمواقع المضـطربة والمهتزة التى تحاول دائماً- بفعل عناصـر التخلّف والانقسام المزروعة فى داخلها- التركيز المتواصل على مواطن الخلاف والضعف بدلًا من تركيزها على مواقع اللقاء والتوحُّد والإبداع.

إنّ الزمن يمرّ بسـرعة ونحن لاـ نزال فى حالـة السـكون، وعـدوّنا شـرس ولعين، وهو يفكّر دائمـاً- دون كلـل أو ملل- من أجل إحكام سيطرته على مقـدّراتنا وثرواتنـا الروحيـة والماديـة، وهـو المسـتفيد الوحيـد من حالـة ضـعفنا وتشـرذمنا وضـياعنا فى متاهـاته، ودهـاليز مفاوضاته. ولا مجال أمامنا البتّة إلّاأن نفكّر بتأسيس القوّة الفكرية والعلمية من خلال وحدتنا، وألا ننهار- كما ذكرنا- أمام قضية الزمن كحالة تبعث فى نفوسنا الملل والسكون والاسترخاء والإذعان للأمر الواقع.

نعم .. من الضرورى بالنسبة إلينا جميعاً- كعرب ومسلمين- أن نسبق الزمن ونصل بسرعة، لكن الأهمّ من ذلك أن نعى طريقة الحركة، وكيفية سـلوكها- على أرض الواقع- بوعى وحذر؛ لأن المسألة تتعلّق بالأرض لا بالسـماء، بالواقع لا بالمثال .. وهذا أمر يقتضـى تجنّب سياسة القفز فوق الحواجز (التى ستكون حتماً من مصلحة عدوّنا الذى يحرص دائماً على إثارة خلافاتنا بعناوين بارزة وعريضة) وإدارة أزماتنا وهمومنا الصغيرة والكبيرة.

من هنا نستنتج أنّ طريق الوحدة الإسلامية ملىء بالأشواك، والحفر الحقيقية والعراقيل المصطنعة والوهمية.

من هـذا المنطلق لابـدّ أن نمـارس الأـجواء المحيطـة بنـا- التى يجب أن نعمل على جعلها تتحرّك على خط الوحـدة الإسـلامية- فكراً حركياً رسالياً يعتمد

ص: ۳۴۷

على الحوار العقلانى الواعى، والإيمان باللّه تعالى كأساس للعمل من أجل الوصول إلى أهدافنا الكبيرة.

وهـذا بـدوره يقتضـى من الإسـلام والمسـلمين- فى مجـال الـدعوة والحركـة والوحـدة والجهاد- دراسـة الواقع المحلى والعالمى- فى تفاصـيله ودقـائقه وعنـاوينه الكبيرة والصـغيرة- من أجـل مواكبـة المسـيرة الإنسانيـة فى تحريك مفاهيم الإسـلام وتصوراته، وشـرائعه، وأساليبه الحضاريـة بحيث لا يقف غريباً عن الذهنيـة المعاصـرة الحديثـة، لأنّ علينا- فى إعلامنا وثقافتنا وسياسـتنا وتبليغنا الـدينى- أن نفهم أن الذهنيـة لغـة خاصـة، تماماً كما هى الكلمات والمفردات الاخرى، فمن لا يفهم ذهنيـة العصـر، وأجواء الحياة الراهنة، لا يفهم خطابها، ولا يدرك طريقة التفاهم مع أهل هذا الزمن.

من هنا تكون الأولوية فى أن نعى ذهنية وروح الواقع العالمى، ونمتلك حسّ المعاصـرة؛ لندخل إليه من الباب الواسع والعريض، ليجد إسلامنا- فى داخل هذا الواقع- مكانه وموقعه وامتداده.

وهذه المواكبة أو المسايرة للحياة المعاصرة لا تعنى- بأى حال من الأحوال- أن نتخلّى عن ثقافتنا ووعينا التوحيدى الإسلامى، وشرائط وجوده فى الحيـاة، ولكنهـا تعنى- فيما تعنى- أن نسـتفيد من الإمكانات والمنافـذ المتاحـة لنا فى الحياة من أجل الـدعوة إلى الإسـلام النقى والأصـيل، والعمل على تعميقه فى الذهنية المعاصـرة من خلال الأساليب المتوفّرة بين أيدينا، والتى تؤكّد على ضـرورة انطلاقتها فى خط الـدعوة إلى الإسـلام فى العقيـدة والشـريعة والمنهج والوسائل والغايات من أجل تثبيت الإسـلام فى نفوس المسـلمين فى كلّ بقاع المعمورة، وإطلاقه فى حياة غير المسـلمين؛ لأنّ الخطورة هنا تكمن فى انحسار الإسـلام- الفكر، والممارسـة، والانتماء، والوحدة، والنهضـة- فى الشخصـية السـليمة بفعل ضـغط الأفكار الماديـة، والقيم الغربيـة، والمناهـج الفكرية المنحرفة التى بدأت تطبق بقوّة على العمق الروحى للإنسان المسلم لتبعده عن عقيدته، وفكره، وقيمه الروحية

ص: ۳۴۸

والأخلاقية، وخطوطه ومناهجه فى السلوك والعمل، وهذا ما يندرج ضمن هدف واحد هو: أن نُطلِق الإسلام فى ساحة الحياة الرحبة لنتنفّس معه- ومن خلاله- الصحو والنقاء والصفاء، فى دائرة الضوء، ولا نحبسه فى العلبة الطائفية والعشائرية المظلمة والضيّقة، وبذلك نحرّر أنفسنا، وواقعنا، وحاضرنا، ومستقبلنا، وأجواءنا الرسالية من كلّ أغلال وقيود الآخرين وأوهامهم الذاتية، من أجل أن نكون الفكر الخصب المعطاء الذى يمتدّ بقوّة إلى ساحات الحياة والإنسان ليوحى، ويحاور، ويؤسّس للمستقبل المشرق والمضىء، بعيداً عن دهاليز التجريد الحالم والمحلق عالياً فى الفضاء فى أوهام الخيالات الوردية.

من هذا المنطلق نؤكّد على أنّ الإخلاص للإسلام، وقضية الوحدة، والانفتاح المدروس على الواقع الحاضر وعلى جميع القضايا الكبيرة التى جعلها اللَّه تعالى أمانة فى أعناقنا ورضينا نحن بذلك- يقتضينا، أولًا وأخيراً، أن نضحّى بكثير من الجوانب المتصلة بأحداث وتواريخ وأوضاع إسلامية ماضية وراهنة .. وقد عشنا هذا الأسلوب مع الإمام على عليه السلام فى وعيه العميق لطبيعة الأجواء السلبية التى ترافقت مع انتقال الرسول صلى الله عليه و آله إلى الرفيق الأعلى. حيث يتحدّث الإمام- عن تلك المناخات المتوتّرة، وموقفه الرصين منها- قائلًا:

«.. فما راعنى إلّاانثيال الناس على فلان يبايعونه فأمسكتُ يدى حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يريدون مَحْقَ دين محمّد صلى الله عليه و آله، فخشيتُ إنْ أنا لم أنصر الإسلام وأهله أنْ أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبةُ به علىَّ أعظم من فوت ولايتكم هذه، التى إنّما هى متاعُ أيامٍ قلائلٍ يزولُ منها ما زال كما يزول السراب، فنهضت حتى زاحَ الباطل وزهق، واطمأنَّ الدين وتنهنه ...».

والواقع أنّ هذه الكلمات- وغيرها من المواقف العملية لأهل البيت عليهم السلام جميعاً- تبعث فى نفوسنا إيجابية التعاطى مع الإسلام كلّه فى مواجهة الأخطار الكبيرة التى تقف أمام تقدّم الإسلام والمسلمين حالياً، والتى هى أشدّ وطأة

ص: ۳۴۹

من التحديات والأخطار التى واجهت الواقع الإسلامى سابقاً .. وذلك هو وحده الذى يفرض علينا الانفتاح بعضنا على بعض (كمسلمين) فى الساحة الإسلامية الكبرى؛ لنكون جزءاً من الامّة فى قضاياها المصيرية الكبيرة، لنلتقى- عندما نلتقى- من موقع الوعى الذاتى بالإسلام لمصلحة الإسلام، ولنختلف- عندما نختلف- من موقع الإسلام لمصلحة الإسلام، لنعطى قضية الإسلام كلّ ما عندنا من فكر وحركة وجهاد وإيمان وأصالة، ولنستجيب لنداء اللَّه تعالى: إنّ هذه أمّتكم أمّة واحدة وأنا ربّكم فاعبدون.

من هذا المنطلق نقول: بأنّه إذا ما أراد العرب والمسلمون أن يبقوا- الآن وفى المستقبل- أحياء بالمعنى الروحى والاجتماعى الحضارى فيجب- على نهج وخطى وطريق هذه المقاومة- أن يسيروا وينتجوا ويبدعوا، وأن يتحرّكوا فى الاتجاه نفسه الذى انطلقت وتحرّكت عليه الجمهورية الإسلامية وثورتها بقيادة الإمام الراحل الخمينى العظيم قدس سره والسائرين على خطّه المبارك، من حيث وعيها الإسلامى الملتزم والفعّال لقضايا وهموم الواقع الإسلامى المعاصر بتحدّياته ومتغيّراته ومستجدّاته السريعة والمتلاحقة، إضافة إلى تحملها الكبير لمسؤوليات بناء وإنجاز مواقع صمود ومواجهةٍ قوية وفاعلة فى وجه تعقيدات هذا الواقع. وأنا أتصوّر- فى هذا السياق- أن من مصلحتنا أن نبادر فوراً إلى فتح المغاليق النفسية والفكرية والسياسية مع هذه الدولة الإسلامية، وبناء علاقات التفاهم والحوار، والتعاون معها على ركائز الأخوّة الإسلامية الحقيقية- التى هى المرتكز الهامّ فى حياتنا الإسلاميّة- بما يقطع الطريق على أعداء الأمة، ويمنعهم من التدخّل السافر ضد هذا الطرف أو ذاك.

إذاً ثمّة خطأ استراتيجى بالنسبة إلينا يجب أن نتداركه من لحظتنا الراهنة، وإلّا فإن استمرار هذه القطيعة وذلك الخطأ الفادح، سيحقّق لأعدائنا وحلفائهم والدائرين فى فلكهم مصالحهم فى المنطقة من خلال تعزيز

ص: ۳۵۰

سيطرتهم المباشرة على مقدّرات وثروات الأمة الإسلاميّة، وتوفّر لهم الشرعية بالتحرّك فى أجواء ومياه منطقتنا الإسلاميّة.

إننا نقول، توخياً لعدم الإطالة: إنّ إيران- بعد انتصار الثورة الإسلاميّة فيها- ليست لوحة صعبة ومعقّدة الفهم، ولا يحتاج فهمها إلى كبير جهد، بل يحتاج- فيما يحتاج- إلى وعى حضارى وإنسانى، وإرادة قوية واعية تتحرّك مستقلّة، من دون أخذ الموافقات (الأوامر) من الآخرين أعدائنا وأعداء مبادئنا.

نحن نفهم أن ما يكفى الجمهورية الإسلامية تحضراً، وفخراً، ووعياً حضارياً، ومسؤولية أمام اللَّه تعالى وأمام الأجيال العربية والإسلامية الصاعدة، هى أنّها لا تزال تقف وتساند وتدعم بلا حدود- بالرغم من الأطواق الأمنية والاقتصادية والضغوطات السياسية المفروضة، التى استطاعت التغلّب عليها وكسر حلقات عزلتها من خلال ممارسة سياسة الانفتاح والذكاء والوعى السياسى الخارجى ومعرفتها بمشاكل أمّتنا ومايحيطيها من مصاعب ومؤامرات وخطط إجراميّة تريد النيل منها بل الإطاحة بها وإلغاء وجودها كأمّةٍ قويّة ذات تأثيرٍ فى العلاقات الدوليّة وقادرة على الوقوف على قدميها والنهوض لبناء مستقبلها وحضارتها كما أرادت لها السماء ذلك.

إنّها أمّة جديرة بحمل أمانة السماء وتأديتها خير أداء إذا ما أحسنت إيمانها بعقيدتها الإسلاميّة والتزمت بمبادئها التزاماً قويّاً ولم تخش فى ذلك لومة اللائمين، ومؤامرات الحاقدين، ومخطّطاتهم التى ما انفكّوا عنها من أجل تقويض كياننا الإسلامى ووجودنا.

نسأله تعالى أن يمدّنا لتحقيق كلّ ذلك بقوّة وسداد.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹